



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

قسم الكتاب والسنة

## التناسق الموضوعي في سورة المجادلة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير

إعداد الطالبة / ناهد عمر سعيد سريجي

الرقم الجامعي:

٤٣٠٨٨٢٣٦

إشراف فضيلة الدكتور / عبد الكريم مستور القرني

العام الجامعي (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فقد اشتملت رسالة التناسق الموضوعي في سورة المجادلة على الآتي:

مقدمات تتعلق بالسورة وهي كالآتي:

- اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ النزول.
- مكي السورة ومدنيتها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها ووجه اختصاصها بما اختصت به.
- أسباب النزول للسورة ومقاصدها وأهدافها.
- ما احتوت عليه السورة في داخلها مثل:
- مناسبات السورة لموضوعها.
- ومناسبة فاتحتها لموضوعها.
- موضوعات السورة وتناسقها.
- تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

ثم خلصت إلى نتائج من دراستي الكلية للسورة.

والله الموفق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المشرف:

دا عبد الكريم القرني

الباحثة:

ناهد عمر سريجي

## **Abstract**

Praise be to God, prayer and peace be upon from Al Nabi

And after:

The message included a subjective consistency in Surah Al

Mojadelah on two things:

1- Introductions related to Al Surah as follows:

- Surah name and number of verses and the date of descent.
- Makki Surah and Mdnitha and suitability to the face before and what is unique to its jurisdiction.
- The reasons for the descent of Surah and its purposes.

2- What it contained within it: -

- Surah appropriate of its subject
- appropriate for the subject matter for its opening
- Surah topics and consistency
- Interpretation of the verses of Surah in the light of the consistency of the objective

Then I concluded the results of my total study

May Allah bless our Prophet Muhammad and his family.

**Supervisor**

**Dr. Abdul Karim Al-Qarni**

**Graduator**

**Nahead Omar Sereaji**

## مقدمة البحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذو العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء والرفعة والعلاء والمجد والثناء،  
تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء سبحانه.

وأشهد أن لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين.

بين للمستهدين معالم مراده ونصب لجحافل المستفتحين أعلام امداده، فأنزل  
القرآن قانونا عاما معصوما، وأعجز بعجائبه فظهرت يوما بعد يوم، وما فرط فيه من  
شيء يعظ مسيئا ويعد محسنا، حتى عرفه المصنفون من مؤمن وجاهد، وشهد له  
الراغب والحاسد، فكان الحال بتصديقه أنطق من اللسان، وبرهان العقل فيه أبصر من  
شاهد العيان، وأبرز آياته في الآفاق فتبين للمؤمنين أنه الحق وأصدق البيان.

وأشهد أن محمدا بن عبد الله عبده ورسوله، وصفيه المبشر في نون بأجر  
غير ممنون.

فصلاة الله وسلامه على نبيه وحببيه وصفيه، وخيرته من خلقه، وخاتم الأنبياء،  
وإمام الأتقياء، عدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار وعلى آله وصحبه  
والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشيرا  
للمؤمنين، ونذيرا للمخالفين أكمل به دين النبوة، وختم به ديوان الرسالة.

فيه أتم مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، أنزل عليه بفضل نورا، وهدى به من  
الضلالة وأنقذ به من الجهالة، حكم بالفلاح لمن تبعه، وبالخسران لمن أعرض عنه  
بعدهما سمعه، وأعجز الخليقة عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته،

ثم سهل على الخلق مع إعجاز تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر وبشر وأندر وذكر المواعظ ليتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليعتبر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، ودل على آيات التوحيد ليتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد إلا بدارية تفسيره وإعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه والوقوف على ناسخه ومنسوخة، ومعرفة خاصة وعامة، ثم هو كلام معجز وبحر عميق لا نهاية لأسرار علومه، ولا إدراك لحقائق معانيه. ١

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: "فقد جاء القرآن لا بالمنطق ولا باللغة ولا بالفصاحة ولا بالبيان فحسب، بل الأمر الشامل لكل العقول وهو كتاب الكون ووقائعه وأحداثه تشترك فيه كل الناس" ٢.

فإن رسالة نبينا محمد ﷺ بنيت على معجزة القرآن وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات وأحوال ومع ناس خاصة، أما القرآن فهو معجزة عامة ولزوم الحجة به باقي من أول وروده إلى يوم القيامة ومن أسمى المقاصد التي جاء القرآن لتبليانها: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجز بعد التحدي، والقرآن جمع بين كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه.

(فالله عز وجل أودع فيه البركة لمن يتلوه حق تلاوته ولمن يحفظه ولمن يفسره، وأعظم من ذلك من يتدبره ويتأمله ويعمل النظر في دلالة آياته وألفاظه واستخلاص المعاني والفقهاء منها).

و من أعظم المعاني والحكم التي أنزل القرآن من أجلها تدبر معانيه والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها ثم التذكر والاتعاظ ثم الإلتباع والسلوك والعمل فكما

<sup>١</sup> تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفى سنة (٥١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. ج ١، ص ٣.

<sup>٢</sup> تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وحقق أحاديثه: د. أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم- قطاع الثقافة - القاهرة.

أنا نتعبد الله بقراءة ألفاظ القرآن صحيحة، فإننا كذلك نتعبد الله بفهم معانيه صحيحة كما أراد الله عز وجل.

إن من يبدأ تلاوة القرآن الكريم بتدبر تثيره أشياء كثيرة وتلفت نظره وتستجيش مشاعره، وهي آثار حسنة للتلاوة المتدبرة، ولكنها في الغالب فهوم آنية، ومشاعر وقتية ربما تنتهي بالفراغ من التلاوة.

أما إذا بدأ تالي القرآن \_الباحث عن أسرارهِ\_ تلاوته بعد تحديد هدف معين يسعى للوصول إليه من خلال تلاوة السورة إلى مقاطع، وسياق الآيات التي تتحدث عنه، بل وسيلحظ تلك الروابط من خلال الكلمات المختارة بعناية فائقة لإبراز المعاني التي تحملها العبارات التي تنساب إلى العقل والقلب، وسيشعر أن روحا معينة تسري في كيانه، وأن أنوار القرآن تشع في جنباته لتنتقله من حالة إلى ما له فيها أن يستلهم فيها المعاني من المفردات والألفاظ التي ينطق بها إلى إدراك الروح التي تنساب من خلال الآيات الكريمة.

وبمقدار ما يكون الهدف الذي حدده الباحث للسورة أو الآيات التي يتدبرها في القرآن جليا، يكون مقدار ما يجد من الترابط بين الأجزاء والآيات، وبمقدار ما يلاحظ أن كل المعاني تتوجه إلى إبراز هذا الهدف أو تعميقه في النفس والمشاعر، أو لإلقاء الأضواء عليه بيانا وكشفا وتوضيحا.

فمعاني القرآن لا تنقطع وتأويلاته لا تنتهي على مر الأزمان والدهور، متجددة في كل عصر، وقد تضمن القرآن أنواعا من العلوم والمعارف لا يأتي الحصر عليها.

فمن اشتغل بتلاوة القرآن وحفظه وتأمله وتدبره ومحاولة استنباط المعاني والأحكام يعطيه الله فضلا كبيرا)..<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أبحاث مقترحة لطلاب وطالبات مقررات تفسير القرآن لجميع المستويات، مائة وخمسة عشر بحثا مقترحا شاملة لأبحاث طلبة الدكتوراه والماجستير وطلبة التخرج،

( فالقرآن كتاب علم ودعوة وتربية وجهاد بآن واحد، فهو كتاب تبصير للمسلم في هذه الدوائر كلها.

وأفضل الناس وخيرهم من دار في هذه الدوائر واشتغل بها، فكان شغله الشاغل كتاب الله تعالى وكشف معانيه وأسرار العظام.

إذ أن تأمل القرآن وتدبره، هو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، فالحياة في ظلال القرآن وكنفه نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة تبارك العمر وتزكيه. فمن يرد به خيرا يعيش في هذه الظلال ينقيها ولا يغادرها إلا على ظلال جنة النعيم<sup>١</sup>.

أخرج البخاري في صحيحه حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"<sup>٢</sup>).

وقد كان القرآن الكريم موضع العناية الأول عند العلماء والأدباء والفلاسفة والفقهاء، والمستشرقين، فقد توالى أنواع المؤلفات في أحكامه وتفسيره، وفي بلاغته، وفي لغته، وفي إعرابه حتى ازدهرت في الثقافة الإسلامية ضروب شتى من العلوم والفنون حول القرآن وتحت رايته.

ولذلك مال و اتجه بعض المفسرين إلى هذا الموضوع، فإن أحدا منهم لم يستوعب القرآن كله بذكر الربط والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، وبين سور القرآن بعضها مع بعض في ضوء نظرية شاملة.

---

القرآن الكريم كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس أعدها لطلابه د. أحمد بن أحمد شرشال الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين جامعة برناوي - دار السلام دار الحرمين بالقاهرة. ص ١١

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة الشرعية التاسعة والثلاثون ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، دار الشروق، القاهرة - مصر. ج ١، ص ١١.

<sup>٢</sup> صحيح البخاري كتاب العلم، باب ١١٣ الحديث ٧١

ولقد كان تركيز علمائنا السابقين على منهج التفسير التحليلي، وظهرت الكثير من التفاسير التحليلية للقرآن، قدم فيها أصحابها معاني القرآن وأحكامه التشريعية والفقهية وعلومه وحقائقه. وفي العصر الحديث حاول العلماء الاستفادة بقدر المستطاع من مزية العصر الكبري: التخصص وما ترتب عليه من علوم وحقائق ودقائق في كل جانب من جوانب الحياة، إذ توافرت لهم معان وتيسرت لهم علوم وأصبح بإمكانهم من خلالها أن يلاحظوا كثيرا من المعجزات القرآنية والكثير من أسرار القرآن اللامتناهية. فكان أن بزغ من هذا الباب في علم التفسير التناسق بين آيات السورة الواحدة وبين السور بعضها مع بعض.

إذ أن من أوجه الإعجاز في القرآن التدبر الشمولي للسورة.

قال ولي الدين الملوي: "و قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفارقة، وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سورته كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصاله بما قبلها وما سيقنت له".<sup>١</sup> هـ.

إذن فمن خلال معرفة وجه اتصال السورتين قبلها وما سيقنت له ندرك أن علمائنا قد ركزوا على ضرورة البحث عن الصلة والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة. بل كان البقاعي يلوم علماء بغداد لإهمالهم الكلام في هذا الشأن. كما نراهم كذلك قد ركزوا على المناسبة بين سور القرآن عامة. وهذه قضايا بمجموعها نادرا ما تجد تفسيرها قد خلا عن طرف منها، ونادرا ما تجد مفسرا إلا وقد عرج عليها ما بين أكثر ومقل<sup>١</sup>. ونقل عن أبي بكر بن العربي أنه قال في كتابه "سراج المريدين":

<sup>١</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر و التوزيع، الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ- ١٩٩٣ م، ج ١١ ص ٢٣-٢٤.

"ارتباط أي القرآن بعضها مع بعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم".

ونقل الزركشي عن عز الدين بن عبد السلام: "المناسبة علم حسن ويشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، والقرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه بعض<sup>١</sup>. فعجائب الصلة بين الآيات والسور ما لا يمكن أن يخطر ببال بشر، بحيث يجد أنواعا من الوحدة الشاملة التي تضم معاني القرآن وآياته وسوره بما يحير الأبواب ويدهش الأبصار والبصائر".

فإن التناسق الموضوعي أو ما يسميه البعض بـ (الوحدة الموضوعية) لا يعد تفسيراً، وإنما هو مقصد وغاية يسعى الباحث إلى تحقيقه، والكشف عن جماله، وسحر بيانه، وذلك بإحاطة السورة بنظرة شمولية<sup>٢</sup>.

ولكن الوحدة الموضوعية غير التناسق الموضوعي وهو ما أوضحه وفصله الدكتور بازمول في كتابه التناسق الموضوعي في السور القرآنية<sup>٣</sup>.

كما يمكننا الوقوف على أسرارها من خلال التغلغل في السورة الواحدة لمعرفة المحور الذي تدور حوله، والخيوط الخفية التي تجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها، أو بتعبير آخر، تكوين صورة شاملة لملامح السورة كلها<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> تفسير التحرير و التنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الطبعة الأولى طبعة جديدة و منقحة و مصححة، مؤسسة التاريخ بيروت - لبنان، ج ١ ص ١١٤.

<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي و منهجية البحث فيه للدكتور زياد خليل الدغامين ص ٢٢.

<sup>٣</sup> يرجع إلى كتاب التناسق الموضوعي في السور القرآنية إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول. فقد بسط الفرق بين التناسق الموضوعي و الوحدة الموضوعية بشمول و توسع كبيرين.

<sup>٤</sup> تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل لمحمد الغزالي ص ١٢٨.



وكان من جامعتنا الموقرة أن قامت بعمل هذا المشروع الضخم من أجل هذا الغرض العظيم الشريف لخدمة كتاب الله الكريم وتفسيره، فكان أن قررت مشروع (التناسق الموضوعي في سور القرآن الكريم).

وقد من الكريم جل شأنه على أمته الفقيرة بأن اختارني ويسر لي أن أكون تحت راية كتابه الكريم، بأن يسر لي أخذ منهل من علم التفسير المبارك، ودراسته في هذا المجمع المبارك، وكان لي نصيبا عظيما وافرا إذ كنت ممن وقع عليهم الاختيار في هذا المشروع العظيم " الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم ". وكان من نصيبي الوافر أن حصلت على (سورة المجادلة) هذه السورة المباركة العظيمة من الجزء الثامن والعشرون، فكان موضوع بحثي المختار { التناسق الموضوعي لسورة المجادلة }.

فعثت مع كتاب الله في كل حرف كتبته وصغته في هذا البحث الذي أرجو وأتوسل إلى إلهي ومولاي عز وجل أن يلهمني فيه الصواب، فإن كان قد حصل ذلك فهو بفضل الله تعالى وبتوقيفه، وإن كان هناك خطأ أو زلل فهو من نفسي والشيطان، واستغفر الله العظيم منه.

اللهم اجعلني من أهل القرآن وخاصته وأصحاب شفاعته، اللهم إن أحسنت فبفضلك وكرمك ومنك علي، وإن كانت الأخرى فاغفر لي مولاي وتجاوز عني. اللهم أرجوك حسن العاقبة وأن ألقاك وأنت راض عني، فاجعل اللهم هذا العمل خالصا لوجهك وابتغاء مرضاتك ولا تجعل للعباد والشيطان فيه نصيبا، واجعله اللهم ذخرا لي إلى يوم ألقاك. يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المشرف بالشفاعة ببقاء شريعته إلى قيام الساعة، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار وأتباعه الأخيار صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار.

استعنت بالله وأبدأ:

## أهمية الموضوع:

١- إن الوحي الإلهي في صيغته الصحيحة الوحيدة حالياً، يتمثل بالدليل والبرهان بما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ من قرآن وحكمة، هذا القرآن الذي كانت مهمة محمد ﷺ فيه البلاغ والبيان وهو حجة الله على أن محمدا عبده ورسوله. هذا القرآن الذي لا بد لنا من إبراز كمال الحجية فيه، والإجابة على شبهات الخلق في شأنه. ومن هذه الشبه وأعجبها ما تثيره أكثر دوائر الكفر بشكل مهذب أو وقح حول الوحدة القرآنية والصلة بين سور القرآن بعضها ببعض، مع أن هذا الموضوع وحده هو من أعظم مظاهر الإعجاز في القرآن، ولكن الأمر يحتاج إلى بيان، ومع هذا البيان لمثل هذا الشأن وغيره مما تندفع به الشبه وتقوم به الحجة في الرد عنه فيما افتراه أهل الشبه وزعموه بأن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع ولا يربط بين سوره رابط، وذلك لا يليق في كلام البشر، فكيف بكلام رب العالمين. إنها لشبهة فظيعة جداً أن يحاول محاول إشعار المسلمين بأن كتاب الله ينزل عن كتب البشر في هذا الشأن. ولو كان هذا الأمر من تأليف البشر لما خلا من تناقض واضطراب وعيب ومؤاخذه لكنه " تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ " [فصلت: ٤٢]

٢- إن القرآن الكريم تقرأه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب قوي الاتصال أخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته ونسقت جملة

وآياته وجاء آخره مصداقا لأوله وبدأ أوله لآخره. قال تعالى: " وَلَوْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا " [ النساء: ٨٢].

٣- إكساب الباحث الذي يتعلم التفسير والتفقه في القرآن اتزاناً واعتدالاً وتكاملاً فلا ينحاز ولا يميل لأن المصدر الذي يتلقى من علومه واحداً فلا يطغى عليه جانب دون جانب. وتنمية ملكة التفكير السليم والنظر السديد والتصور الصحيح فينعكس ذلك على سلوكه.

٤- إن المفسر في هذا العصر لابد له من المرور بجميع عصور التفسير وعلمائه وبذلك يكون المفسر قد ألم بجميع عصور التفسير ومراحلها، واستفاد من سابق تجاربهم، ويكون بذلك حدد لنفسه منهاجاً وطريقاً خاصاً به، يميزه، ويميز عصره، ويخدم حاجاته ومناسباته.

٥- الحاجة إلى تفسير القرآن حاجة مستمرة وممتدة، ففي عهد نزول القرآن فسر الرسول ﷺ للناس بعض الآيات بحسب حاجاتهم، وكذلك في عصر الصحابة، ومن ثم عصر التابعين، وهكذا إلى عصرنا الحالي، فكان يفسر القرآن في كل عصر برؤية أهل ذلك العصر ومن ذلك تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الحياة الإنسانية وانفتاح الميادين للنظريات العلمية الحديثة التي لا يمكن تغطيتها.

٦- من جهة الجانب العلمي فإن المفسر الذي يتفقه في تفسير القرآن الكريم يمر على الآيات القرآنية فيتكامل الموضوع لديه لأن موضوع الآيات القرآنية ومقاصدها مسوقة في موضع واحد وليست في سياق واحد. وبذلك يكون الكشف عن إعجاز القرآن الكريم في السورة الواحدة منه والكشف عن وجوه إعجازه وعجائبه التي لا تنتهي.

- ٧- تأصيل الدراسات القرآنية وتكميل مسارها، فإن كثيرا من العلوم غير واضحة الصلة بالهدايات القرآنية ولا نجد نصوصا محددة من القرآن الكريم أو السنة النبوية تتناولها وإنما نستشف أصولها من خلال التمعن بالنصوص.
- ٨- البحث والكشف ثم استنتاج الهدف الأساسي لكل سورة على حده إذ أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية وكذلك طريقة عرضها وصلتها بالسور الأخرى.
- ٩- من خلال التناسق الموضوعي لكل سورة على حده يستطيع الباحث والمفسر أن يبرز جوانب جديدة وعديدة من وجوه الإعجاز القرآني الذي لا تنتهي معجزاته وعجائبه.
- ١٠- إن فهم آيات السورة في ضوء الترابط والتناسق الموضوعي فيها يعطي شمولية في الفكر والنظر، حيث تظهر دلالة هذا الفهم عند إرادة التطبيق الواقعي لمنهج القرآن الكريم في حياة الناس، وعند تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تعارفوا عليها وتشبثوا بها دون الاهتمام بنصوص الوحي.

## أسباب اختياري لهذا الموضوع:

- ١- قناعتي بأهمية الموضوع كما سبق.
- ٢- القرآن كله بركة، وهو الخير الكثير، لأنه إما راشداً إلى خير، وإما صارفاً عن شر وفساد كما قال تعالى: " كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا

ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " [ص: ٢٩].<sup>١</sup>

- ٣- هذه السورة تحمل ثروة علمية تتعلق بالأحكام الشرعية، والآداب الرفيعة وغيرها من الأحكام التي تعالج أمراض المجتمع، والمسلم بحاجة لمثل هذه الأمور والعلاجات.
- ٤- جودة الموضوع وقلة المؤلفات في التناسق الموضوعي رغم أهمية هذا الموضوع ومكانته ولذلك أحببت الكتابة فيه والوقوف على مقاصد الكتاب العزيز.
- ٥- حب العيش مع كتاب الله وتدبره، فإن الاشتغال بذلك فيه منفعة عظيمة لا تخفى على المؤمنين.
- ٦- أن التفسير وعلومه هو الوعاء والحاضن الطبيعي لنمو الشخصية وتربيتها، فهو يسهم مساهمة فعالة في بناء الذات الإنسانية المؤمنة في جميع الجوانب.
- ٧- ما اشتملت عليه سورة المجادلة من مميزات تتمثل فيما يلي:
  - أنها السورة التي فصلت قضية الظهار وبينت حكمه وكفارته.
  - أن كل آية في السورة ورد بها لفظ الجلالة إذ لم تخلو آية من ذكره مرة أو أكثر.
  - ذكرت أحكام النجوى العامة والخاصة.

<sup>١</sup> أبحاث مقترحة لطلاب وطالبات مقررات تفسير القرآن للدكتور أحمد شرشال ص ٩.

- ذكرت عقيدة الولاء والبراء.

ومن هذا المنطلق وبعد أن استخرت الله كان أول سبب لاختياري البحث في هذا المشروع هو محبتي الشديدة للقران الكريم، وتفسيره، والتبحر في كلام الله، ورغبتني أن أظل دائما وأبدا مع كلام الباري لعلي أحظى بأن أكون من أهل القرآن، فلم ولن أحظى ما حييت بأكبر وأكثر من ذلك الخير والفضل العظيم الذي أسأل الله أن يبقى لي ولذريتي في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

### أهداف البحث في الموضوع:

قبل أي سبب كان العامل الرئيس خدمة الدين الحنيف و العمل على طلب العلم الشريف المبارك و التبحر فيه .

ومن ثم تأتي الأهداف التالية:

- ١- إظهار التناسق الموضوعي لسورة المجادلة.
- ٢- إبراز بعض الفوائد والفرائد التي لم تظهر من خلال بعض البحوث والدراسات التي أعدت في السورة.
- ٣- إيضاح بعض أسرار الإعجاز القرآني في سورة المجادلة.

### الدراسات السابقة:

انقسمت الدراسات السابقة في هذا المجال لقسمين فهناك كتب مؤلفة و هناك رسائل علمية :

### أولا: الكتب المؤلفة :

- ١- كتاب ظلال القران لسيد قطب: فقد كان رحمه الله مولعا بعرض أهداف وأساسيات كل سورة قبل البدء في تفسيرها وبيان شخصيتها. فذكر عند

تفسيره لسورة المجادلة التفسير الموضوعي للسورة بصورة مختصرة  
وبنوع من الإيجاز.

٢- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم إعداد نخبة من علماء التفسير  
وعلم القرآن بإشراف أ. د مصطفى مسلم كلية الدراسات العليا والبحث  
العلمي جامعة الشارقة.

وقد تم تفسير سور القرآن في هذا التفسير ومنها سورة المجادلة وذلك في المجلد  
الثامن من الصفحة ٢٩ إلى الصفحة ٥٣. وتعرض للوحدة بصورة مختصرة فيما لم  
تتجاوز ٢٣ صفحة وهي دراسة مختصرة وموجزة، لم يكن بها تفصيل وإيضاح.

#### ثانيا : الرسائل العلمية :

١- سورة المجادلة دراسة تحليلية. دراسة ماجستير للباحث راجح عبد السلام  
راجح من جامعة الإيمان، اليمن.

ابتدأ الباحث بتمهيد ذكر فيه بتعريف للسورة، ثم ذكر التحليل اللغوي والتحليل  
الإيماني والعقدي، ثم ذكر التحليل الفقهي والأصولي. ثم التحليل السلوكي والتربوي،  
وهو بعيد كل البعد عن التناسق الموضوعي للسورة.

٢- المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة المجادلة.  
للدكتور زهدي محمد أبو نعمة، قسم التفسير كلية أصول الدين الجامعة  
الإسلامية غزة فلسطين.

وقد هدف البحث لتبيين جانب من جوانب الإعجاز البياني للقرآن متمثلا ببيان  
المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، وسورة المجادلة تحتوي جميع آياتها على  
فواصل قرآنية لها علاقة مع موضوع الآية. ولم يتطرق للتناسق الموضوعي للسورة.

٣- المسائل الفقهية في سورة المجادلة دراسة مقارنة. للباحث عبد الله بن محمد  
العبدلي. ماجستير. جامعة مكة المفتوحة. وشملت الدراسة الجانب الفقهي  
الذي تعرضت له السورة.

إن جميع الدراسات السابقة المذكورة أنفا بعيدة عن موضوع التناسق الموضوعي ولم تتعرض له البتة - وإن ذكر بعضها التناسق فكان وجيزا مختصرا ليس بموسع ولا شامل - وإنما تبحث في مسائل أخرى، وجوانب مختلفة للسورة.



## هيكل الرسالة

**عنوان البحث:** التناسق الموضوعي في سورة المجادلة.

**هدفه:** إظهار جانب من جوانب الإعجاز، وذلك من خلال ترابط الموضوعات المختلفة، داخل السورة القرآنية الواحدة، مما يشكل نسقا واحدا تحت غرض وهدف واحد.

### محتويات البحث:

**مقدمة:** تناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الموضوع، والدراسات السابقة.

### الباب الأول: التناسق الموضوعي في سورة المجادلة:

و يحتوي على التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحا، وثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** التعريف بسورة المجادلة، واسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها، ويشمل أربع مباحث:

**المبحث الأول:** التعريف بالسورة.

**المبحث الثاني:** اسم السورة وما اشتهرت به من أسماء.

**المبحث الثالث:** ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.

**المبحث الرابع:** عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.

**الفصل الثاني:** المكي والمدني في سورة المجادلة، ووجه اختصاصها بما اختصت به ويشتمل على ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** المكي والمدني في السورة.

**المبحث الثاني:** وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

**المبحث الثالث:** ما اختصت به سورة المجادلة من موضوعات.

**الفصل الرابع:** أسباب نزول سورة المجادلة، ومقاصد السورة وأهدافها، ويشتمل على مبحثين:

**المبحث الأول:** أسباب النزول التي وردت في السورة.

**المبحث الثاني:** مقاصد السورة وأهدافها.

**المبحث الثالث:** تاريخ نزول سورة المجادلة، والجو العام الذي نزلت فيه السورة.

**الباب الثاني:** دراسة تطبيقية للتناسق ويحتوي على ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** مناسبات السورة الكريمة .

ويشمل تمهيدا، وخمسة مباحث:

**المبحث الأول:** تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح.

**المبحث الثاني:** مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها، وفيه

مطلبان:

**المطلب الأول:** مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحديد التي قبلها.

**المطلب الثاني:** مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحشر التي بعدها.

**المبحث الثالث:** مناسبة اسم السورة لموضوعها.

**المبحث الرابع:** مناسبة فاتحة السورة لخاتمها.

**الفصل الثاني:** الموضوع الكلي للسورة.

**الفصل الثالث:** موضوعات السورة وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

و يشمل تمهيد ومبحثان:

**المبحث الأول:** المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

**المبحث الثاني:** تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومنها ما هو خاص معه ﷺ. وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل. ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

**الباب الثالث:** التفسير التحليلي لسورة المجادلة في ضوء تناسقها الموضوعي ويحتوي: الخاتمة وفيه النتائج والتوصيات.

والله الموفق

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحثة: ناهد عمر سريجي

المشرف: د/ عبد الكريم القرني

## شكر وتقدير

الحمد لله في الأولى والآخرة، حمدا يليق بجلال ربنا، الذي لولا توفيقه لما خرج هذا البحث إلى النور، فأحمده سبحانه أن يسر لي إتمام هذا العمل المتواضع.

و اقتداء بقول رسول الله ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"<sup>١</sup>. لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر، والامتنان إلى كل من:

- والذي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود -حفظه الله-، الذي شملنا برعايته وكرمه المعتادين.
- حكومة المملكة العربية السعودية ممثلة في وزارة التعليم العالي، والحاضنة الأم جامعة أم القرى.
- مشرفي الفاضل الدكتور عبد الكريم مستور القرني حفظه الله، الذي بذل الكثير من الوقت لنصحي وتوجيهي، من أجل إثراء هذه الرسالة وإخراجها في أحسن صورة، حتى خرجت إلى الوجود واضحة المعالم بينة الأهداف، فأسأل الله تعالى أن يبارك له في وقته وعمله وعلمه ويجزيه عني خير ما يجزي شيخ عن تلامذته.
- قسم الكتاب والسنة، وعمادة كلية الدعوة وأصول الدين.
- جميع أساتذتي اللذين أمدوني بالعلم والمعرفة في السنة التمهيدية.
- جميع علمائنا وشيوخنا الأفاضل اللذين أمدونا وأتحفونا بكتبهم القيمة وآراءهم النيرة والجليلة رحم الله الميت منهم، وبارك في حياة من كان حيا.
- جميع المكتبات التي استفدت منها في إعداد هذه الرسالة.

<sup>١</sup> سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب (ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك) (41339) حديث رقم ١٩٥٤. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

## الإهداء

- إلى رسول الأمة و معلمها، الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور محمد بن عبد الله ﷺ .
- إلى أُمي الغالية التي بذلت الغالي والنفيس من أجل تربيّتي، و تعلّمي فجزاها الله عني خير الجزاء.
- إلى والدي العظيم الذي قضى عمره من أجلي و لإسعادي فجزاه الله خير الجزاء عني.
- إلى شريك حياتي، وشريك دربي (زوجي الغالي).
- إلى الشمس التي أضاءت عمري ابن الغالي حمزة بارك الله لي به، و حفظه بما يحفظ به عباده الصالحين.
- إلى من أرشدني في هذا البحث فأحسن المنهج و الطريق مشرفي ( الدكتور عبد الكريم مستور القرني).
- إلى كل من شجعني و دعمني و ساعدني بقليل أو كثير، (إخوتي و أصدقائي).
- إلى كل من بذل وقته و جهده لدراسة كتاب الله الكريم، و بيان أسرارهِ ومعانيهِ.
- وإلى كل من قدم لدينه وسعى لخدمته، ودافع عنه.

أهدي هذا البحث المتواضع سائلة المولى عز و جل أن يتقبله مني ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

مقدمته الطالبة:

ناهد عمر سريجي

## الباب الأول

التناسق الموضوعي في سورة المجادلة و يحتوي على:

- مقدمة تعريفية.
- التمهيد و يشمل التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحا.
- الفصل الأول: التعريف بسورة المجادلة، واسم السورة وفضلها وعدد آياتها، و تاريخ نزولها، وفيه أربع مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

المبحث الثاني: اسم السورة و ما اشتهر لها من أسماء.

المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.

المبحث الرابع: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.

- الفصل الثاني: المكي والمدني في سورة المجادلة، ووجه اختصاصها

بما اختصت به ويشمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المكي المدني في السورة.

المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

المبحث الثالث: ما اختصت به سورة المجادلة من موضوعات.

- الفصل الثالث: أسباب نزول سورة المجادلة، ومقاصد السورة

وأهدافها، ويشمل على ثلاث مباحث :

المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة.

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الثالث: تاريخ نزول السورة، والجو العام الذي نزلت فيه السورة.

## تمهيد

### التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحا

التناسق لا يخرج عن كونه الانسجام التام والتناسق الكامل بين الآيات في السورة الواحدة، وبين السور في مجمل القرآن.

فإنها وإن اشتملت على نجوم متعددة وأغراض مختلفة ومعان متنوعة، لكنها ترمي إلى هدف واحد. وتندرج تحت مقصود لا تنفك عنه.

وهذا وجه من إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن آيات القرآن نزلت في أوقات متباعدة، والطريقة التي اتبعت في ترتيب آياته حيث كان يقول ﷺ: "ضعوا آية كذا في موضع كذا" <sup>١</sup>.

وها هو القارئ يقرأ السورة الطويلة المنجمة في نزولها فلا يحس بشيء من تناكر الأوضاع، بل يرى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، فلم يكن الانتقال بين الأغراض المختلفة في السورة الواحدة أمرا اعتباطيا بلا هدف، بل هناك صلوات وثيقة بين هذه المعاني والأغراض بحيث تتضافر جميعا لتصل إلى الغاية القصوى والهدف العام الذي تدور حوله السورة، وهو ما يطلق عليه بعض العلماء الوحدة الموضوعية أو عمود السورة ونظامها.

قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ

بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحَارٍ مَا نَفَذَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [لقمان: ٢٧].

<sup>١</sup>مسند أحمد ابن حنبل برقم ٤٩٨، ج ١، ص ٤٩٩ و ضعفه الأرئووط ،انظر: أبو داود :سليمان بن أشعث السجستاني ،سنن أبي دواد برقم ٧٨٦، ج ١، ص ٢٠٨، ضعفه الالباني .انظر الترمذي سنن الترمذي ،كتاب التفسير باب ١٠ ،من سورة التوبة برقم ٣٠٨٦، ج ٥، ص ٢٥٤، ضعفه الألباني ،و النسائي السنن الكبرى ،كتاب فضائل القرآن ،السورة التي يذكر فيها كذا برقم ٨٠٠٧، ج ٥، ص ١٠٠، هذا الحديث يدور إسناده على يزيد الفهرسي الذي رواه عن ابن عباس تفرد به عنه عوف ابن أبي جميلة و هو ثقة و يزيد ذكره البخاري في الضعفاء فلا يقبل تفرد به و اختلف فيه هل هو يزيد بن هرمز الذي واقفه ابن شهاب أم لا ،الجرح و التعديل ج ٩ ص ٢٩٣ .

إذ أن من الإعجاز التأمل في انتظام مجموع الآيات تحت سورة معينة بعينها. وترى كثيرا من سور القرآن أن الكلام ينتقل من معنى إلى آخر ثم يعود على ما بدأ منه ولم يكن هذا الانتقال والانجرار من معنى إلى آخر إلا لوجود رابطة مهمة تربط بين الآيات والمقاصد يقتضيها السياق.

قال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "إني رأيت في ترتيب كلام الله وله الحمد على ما أراني أن الكلام ينجر إلى أمر وكله جدير بأن يكون مقصودا فيشفي الصدور ويجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء فيصير كالحلقة.

وإن من عادة وفطرة البلاغة أن ينجر الكلام من أمر إلى آخر ثم يعود إلى الأول أو الأوسط وإذا كان المخاطب عالما بأسباب الكلام عاقلا له بقلبه لم يشكل عليه نظمه"<sup>١</sup>.

فالتناسق الموضوعي إذا أرادنا تعريفه فإننا لا بد من تفصيله إذ هو لفظ مركب توصيفي، مكون من لفظين التناسق، والموضوعي. وسنن العلماء في تعريف المركب أن يبدأ بتعريف كل لفظة من ألفاظ هذا المركب على حدة، ثم ينظر في تعريفه بعد التركيب والتناسق الموضوعي مركب من كلمتين التناسق والموضوعي.

**التناسق في اللغة:** (مادته النون والسين والقاف وهذه المادة تدل على التتابع في الشيء. و هو (النسق) أيضا ما جاء من الكلام على نظام واحد، و(النسق) بالتسكين مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض وبابه نصر. و(التنسيق) التنظيم<sup>٢</sup>).

( "نسق" النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نسقته تنسيقا ويخفف ابن سيده نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء وانتسق هو وتناسق، والاسم النسق وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطف عليه

<sup>١</sup> ذكره الدكتور حكمت حريري في موقع ملتقى أهل الحديث الإلكتروني -الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم -

على هذا الرابط <http://www.ahlaltheeth.com/vb/showthread.php?t=37879>

<sup>٢</sup> مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفى سنة ( ٦٦٦هـ )، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا ، ٣٠٩ .



شيئا بعده جرى مجرى واحدا، وروي عن عمر أنه قال: "ناسقوا بين الحج والعمرة". قال شمر: ناسقوا وواتروا يقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما، وثغر نسق إذا كانت الأسنان مستوية، ونسق الأسنان انتظامها في النبتة وحسن تركيبها، والنسق العطف على الأول، والفعل كالفعل وثغر نسق وخرز نسق أي منتظم قال أبو زيد:

بجيد ريم كريم زانه نسق      يكاد يلهبه الياقوت إلهابا

والتنسيق التنظيم والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد، والنسق بالتسكين مصدر نسقت الكلام إذا عطفت بعضه على بعض ويقال نسقت بين الشئيين وناسقت<sup>١</sup>.

وذكر مثل ذلك الفيروز أبادي وزاد: "ومن الثغور المستوية، ومن الخرز المنظم، وكوكب الجوزاء، أو هي بضميتين، ومن كل شيء: ما كان على طريقة نظام عام. وأنسق: تكلم سجعاً. والتنسيق: التنظيم. وناسق بينهما تابع. وتناسقت الأشياء، وانتسقت وتنسقت بعضها إلى بعض: بمعنى"<sup>٢</sup>.

ويظهر أن النسق في اللغة ما جاء من الكلام على نظام واحد متتابع، معطوف بعضه على بعض، ليخرج الكلام بوحدة متناسقة.

**التناسق في الاصطلاح:** تسلسل الألفاظ والمعاني الواردة في السورة، وتتاليها بحيث تكون كل جملة آخذة بعنق الأخرى إلى أن يتلاحم بعضها ببعض فلا يكون منها خارج السياق. ويمكن تعريفه بأنه بناء الكلام الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين ألفاظه.

<sup>١</sup> لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل ابن منظور المتوفى سنة (٧١١هـ)، ط١، دار صادر - بيروت ج١٤ ص٢٤٧، و ينظر المعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة ج١٢ ص٩١٩

<sup>٢</sup> القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٩٢٥

أو هو بناء الكلام الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين ألفاظه.

**الموضوعي في اللغة:** (من الموضوع، ومادته الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه. ووضعت بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

ووضع في تجارته يوضع: خسر. والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها. الوضيع: الرجل الدني. والدابة تضع في سيرها وضعا، وهو سير سهل يخالف المرفوع.

ووضع الرجل: سار ذلك السير. وذكر أن الواضعات: الإبل تأكل الخلة. والرجل الموضع: الذي ليس بمستحکم الأمر. ا.هـ<sup>(١)</sup>.

( ومنه المواضعة بمعنى الموافقة، إذ يجتمع أهل الإصطلاح على كلمة لمعنى يتفقون عليه<sup>(٢)</sup>).

(أصله وضع ضد الرفع: (الموضع) المكان والمصدر أيضا و(وضع) الشيء من يده يضعه (وضعا) و(موضعا) و(موضوعا) أيضا وهو أحد المصادر التي جاءت على المفعول<sup>(٣)</sup>).

(عنى بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به والمرفوع ما أظهره وتكلم به والمواضع<sup>(٤)</sup>).

**الموضوع في الاصطلاح:** (المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه<sup>(٥)</sup>).

(الفكرة (القضية) التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه<sup>(٦)</sup>).

<sup>١</sup> معجم مقاييس اللغة (ج٦ ص١١٧-١١٨)، نقل باختصار .

<sup>٢</sup> انظر القاموس المحيط حيث قال: "المواضعة: المراهنة و مشاركة البيع و الموافقة في الأمر. ا.هـ."

<sup>٣</sup> مختار الصحاح للرازي ص٣٤١

<sup>٤</sup> لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٢٣٠

<sup>٥</sup> المعجم الوسيط ج٢ ص١٠٤

<sup>٦</sup> قال الجرجاني: في التعريفات ص٣٠٥

(والموضوع هو محل العرض المختص به. وقيل هو الأمر الموجود في الذهن وموضوع لكل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية.) انتهى<sup>١</sup>.

( وكأن المتكلم لما يتكلم يطرح مقالته للنظر فيها، ولعل من هنا جاءت الأطروحة، والله أعلم<sup>٢</sup>).

### التناسق الموضوعي :

فهو المعنى الذي يربط بين موضوعات السورة وبين علل ترتيبها لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين موضوعات السور، بعد تحرير مقاصدها والغاية التي ترمي إليها كل سورة ، فتنظم موضوعات القرآن الكريم في تناسق تام، ونظام بديع، يبهر العقول، ويأخذ الألباب.

( فالتناسق هو إبراز نظام البناء الموضوعي للسورة في ترتيب وترابط وانسجام<sup>٣</sup>).

---

<sup>١</sup> و اعتمد هذا المعنى مجمع اللغة العربية، انظر المعجم الوسيط مادة (وضع )، ج٢، ص١٠٠٤  
<sup>٢</sup> التناسق الموضوعي في السورة القرآنية للدكتور محمد بازمول ص٩  
<sup>٣</sup> التناسق الموضوعي في السورة القرآنية إعداد: الدكتور محمد بازمول ص١١، نقل بتصريف يسير.

**الفصل الأول: التعريف بسورة المجادلة، واسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها،  
وتاريخ نزولها.**

ويشمل أربع مباحث:

**المبحث الأول: التعريف بالسورة.**

**المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهرت به من أسماء.**

**المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.**

**المبحث الرابع: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.**

## المبحث الأول: التعريف بسورة المجادلة.

سورة المجادلة من السور المدنية المتأخرة النزول، يظهر ذلك جليا من خلال معالجتها للموضوعات التي حدثت بعد الهجرة النبوية، فهي مميزة بموضوعاتها منفردة بها، حيث بدأت بتحقيق إجابة دعوة المظلومة و نصرتها، و حكمت في قضية من قضايا الجاهلية كانت مسيطرة على العباد في تلك الحقبة وذلك المكان، وتناولت أيضا عقيدة المنافقين وفضحتهم وكشفت أمرهم، وبينت عقابهم وجزاء أعمالهم في الدنيا والآخرة، شأنها كشأن غيرها من السور المدنية، وتناولت القضية العقدية البراء والولاء، وقسمت كذلك الخلق إلى قسمين: إما مع الله تعالى وفي حربه، وإما مع الشيطان في ضلاله وغيه وفي حربه. مفسرة ومفصلة لقوله تعالى: "وَهَدَيْنَاهُ"

النَّجْدَيْنِ" [البلد: ١٠].

كما تناولت هذه السورة المباركة تشريعات وأحكام فقهية وقوانين أخلاقية تكون لبنة في بناء هذا الدين الحنيف في المجتمع المدني الذي تفرض عليه العبادات والشرائع، بعدما تخلص المسلمون من الشرك والكفر وعبادة الأوثان في مكة، فما هو يتكون مجتمع مدني قابل للتشريع والتنظيم.

إذ ارتباط السورة في طريق عرض الشكاية/ ووسيلة العرض شكاية قد تخفي، والحديث في الوحدة الموضوعية أحيانا مباشر وأحيانا متفرع عن فرع مثل: النجوى فرع عن فرع وأصله مثل على دقة علم الله عز وجل فناسب أن امتداد الحديث بأحكام تفصيلية عن النجوى مع المنافقين والمؤمنين ومع الرسول ﷺ وعلاقة الحديث عن المنافقين بالعلم أن النفاق أمر خفي والله عز وجل اطلع عليه وأطلع المؤمنين عليه، وآخر آية تتناول أحكام الولاء والبراء والمودة هي خالص المحبة وهي في القلب ويطلع عليها الله جل جلاله<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> منتديات طالبات القرآن و علومه على الرابط: <http://qurangirls.yoo7.com/t290-topic>

**المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهرت به من أسماء**

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: الفوائد و الحكم من تسوير السور.**

**المطلب الثاني: مصدر أسماء السور.**

**المطلب الثالث: اسم السورة.**

## تمهيد

إن المتأمل في كتاب الله العزيز يجد أنه قد بلغ شأنًا عظيمًا في إعجازه بلغت كل جزئية فيه، حتى أصبح يتحدى بأسلوبه المعجز وروعة بيانه أهل اللغة وأرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، كذلك كانت أسماء السور رمزا للتحدي والإعجاز.

ولهذا أعطى الإسلام للأسماء أهمية كبيرة، لأنها تحمل قدرا كبيرا من المعاني للمسميات، وقد كانت أسماء السور في القرآن الكريم نموذجا للإيحاء بالمعاني الجليلة التي ذكر بعضها وترك بعضها، ولذلك لكل سورة اسم يميزها عن غيرها.

ترتبط سور القرآن الكريم بأسماء خاصة بها، وقد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير في القرآن الكريم، وقد يكون لها اسمان كسورة البقرة يقال لها فسطاط القرآن لعظمتها وبهائها، وقد يكون لها ثلاثة أسماء كسورة المائدة والتي تسمى بالعقود والمنقذة. وغير ذلك من تسميات السور الكريمة.

## المطلب الأول: الفوائد والحكم من تسوير السور.

كل ما ذكره الشرع كان له فائدة عظيمة، وقيمة جليظة ظهرت للعيان أم كانت خفية، فهي حاضرة لا محالة. ومن ذلك كان تسوير السور الكريمة، والحكمة من ذلك، وتبرز أهميتها في الفوائد والحكم التي تتضمنها. و منها:

- التيسير على الناس وتشويقهم إلى مدارس القرآن وحفظه لأنه لو كان سبيكة واحدة لا حلقات بها لصعب عليهم حفظه وفهمه.
- الدلالة على موضوع الحديث ومحور الكلام فإن في كل سورة موضوعا بارزا تتحدث عنه كسورة البقرة وسورة يوسف مثلا.
- الإشارة إلى أن طول السورة ليس شرطا في إعجازها بل هي معجزة وإن بلغت غاية القصر كسورة الكوثر.
- أن القارئ إذا أتم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله.
- أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ومنه حديث أنس: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا"<sup>١</sup>.

ولذلك الحاجة لتسوير السور أكيدة لما شملت من فوائد جمة تبرز وجه الإعجاز لكلام الله تعالى، وأنه منزل من لدنه عز وجل.

---

<sup>١</sup> رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان كتاب الرقائق باب قراءة القرآن ج ٣ ص ٧٤٤ فيه "عد فينا" بدل "جد فينا" و صحح إسناده شعيب الأرنؤوط و كذا صححه هو و من معه في تحقيق مسند أحمد بن حنبل برقم ١٢٢١٥ ج ١٩ ص ٢٤٧ عند تعليقهم على هذا الحديث .



## المطلب الثاني: مصدر أسماء السور.

ذهب جمهور أهل العلم من أهل القرآن وعلومه على أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية من النبي ﷺ حيث جعل لكل سورة اسما خاصا بها، ودليله أن تسمية السور قد اشتهرت فيها الروايات الكثيرة التي تفيد أن جبريل عليه السلام كان يعلم الرسول القرآن ويبين له موضع السور ويأمره بوضع الآيات المنزلة في سورتها المذكورة مصداقا لقوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" [الحجر: ٩]. والرسول

أمر أصحابه أن يضعوها في مكانها من سورة كذا ويسميها باسمها، وذلك أمر لازم لإثبات الآيات وتمييزها عن غيرها. من ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما "أنها لما نزلت آخر آية وهي قوله تعالى "وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ <sup>ط</sup> ثُمَّ

تُؤَفَّفُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" [البقرة: ٢٨١] قال جبريل للنبي ﷺ :

"ضعها في رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة" <sup>١</sup>. كل ذلك يعضد ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من أن أسماء السور توقيفي لا مجال فيه للاجتهاد.

<sup>١</sup> أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج ١١١-٣٧١) حديث رقم (١٢٠٤٠) عن محمد بن السائب، و ذكره القرطبي في تفسيره عن أبي الصالح (ج ٣١٣-٣٧٥) على القول بأنها من آخر ما نزل. انظر الدوسري: دامنيرة الدوسري. أسماء سور القرآن و فضائلها، رسالة دكتوراة، مطبوع دار ابن الجوزي ١٤٢٦ هـ، ص ٧٣-٧٤

## المطلب الثالث: اسم السورة.

سميت هذه السورة المباركة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة (سورة المجادلة) بكسر الدال أو بفتحها<sup>١</sup>. وتسمى سورة (قد سمع) \_ ذكره الشيخ السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان<sup>٢</sup> \_ وهذا الاسم المشتهر في الكتائب في تونس.

و سميت في مصحف أبي بن كعب (سورة الظهار) وذكره أيضا الإمام السيوطي في الإتيان<sup>٣</sup>.

قال الإمام ابن عاشور: ولم يذكر المفسرون ولا شارحو كتب السنة ضبطه. بكسر الدال أو فتحها. وذكر الخفاجي في حاشية البيضاوي عن الكشف أن كسر الدال هو المعروف، ولم أدر ما أراد الخفاجي بالكشف الذي عزا إليه هذا)، فكشف القزويني على "الكشاف" لا يوجد فيه ذلك، ولا في التفسير المسمى "الكشف والبيان" للثعلبي. فعمل الخفاجي رأى ذلك في الكشف، الذي ينقل عنه الطيبي في مواضع تقاريرات لكلام الكشاف وهو غير معروف في عداد شروح الكشاف، وكسر الدال أظهر لأن السورة افتتحت بذكر التي تجادل في زوجها فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدل، وهي التي ذكرها الله بقوله: "أَلَّتِي تَجُدُّ لَكَ فِي زَوْجِهَا" [المجادلة: ١]. ورأيت

نسخة من حاشية محمد الهمداني على الكشاف المسماة (توضيح المشكلات)، بخط مؤلفها جعل علامة كسرة تحت دال المجادلة. وأما فتح الدال فهو مصدر مأخوذ من فعل "تُجَدُّ لَكَ" كما عبر عنها بالتحاور في قوله تعالى: "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ" ]

<sup>١</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم إعداد نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا و البحث العلمي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ٨، ج١ ص ٢٩

<sup>٢</sup> ذكره الشيخ السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٤٣

<sup>٣</sup> الإتيان في علوم القرآن ص ١٤٧

المجادلة: ١]'. والفتح والكسر كلاهما جائز كما ذكر أهل العلم.

و ما قاله الإمام برهان الدين البقاعي: فلما كان مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه سورة الحديد، بمن حاد الله ورسوله لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، واللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها<sup>١</sup>.

وذكر الفيروز أبادي بأنها سميت سورة المجادلة، لقوله: "مُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا"<sup>٢</sup>. والذي تجلّى من أقوال العلماء أن الذي أجمع عليه علماء التفسير أنهم اختاروا اسم المجادلة لهذه السورة المباركة.

<sup>١</sup> تفسير ابن عاشور ج ٢٨ ص ٥

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ) خرج أحاديثه و وضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ج ٧ ص ٤٧٤

<sup>٣</sup> بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج ١ ص ٤٥٦

## المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.

من البديهيات المسلم بها، أن النفس البشرية جبلت على حب الفضيلة، والترغيب فيها مع احتياجها بين الفينة والأخرى للمرغبات والمحفزات، ومن أعظم ما تحفز إليه النفس البشرية وترغب فيه القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا. لذا اهتم أهل العلم بالتصنيف في فضائل الكتاب العزيز وسوره لإدراكهم رحمهم الله جميعا بأنه دافع عظيم للمسلم ليقبل على كتاب ربه، ومن هنا اكتسبت الفضائل الأهمية والخصوصية بين علوم القرآن الكريم ، فكل ما ورد في فضل القرآن الكريم فهو فضل لجميع سوره المباركة.

وبعد البحث والاطلاع مما يسره الله تعالى لي لم أفق على أحاديث صحيحة صريحة في فضل هذه السورة المباركة.

وكل ما تيسر لي هو حديث واحد موضوع وهو:

عن رسول الله ﷺ : "من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة"<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، ضبط و توثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي -بيروت ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، قال: أخرجه الثعلبي و ابن مردويه و الواحدي ج٤/ص٢٥٨ بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه . هذا الحديث أخرجه بطوله ابن الشجري في الأمالي الشجرية (ج١/ص٧٩)، وابن عدي في الكامل (ج٧/ص٢٥٨)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (ج١/ص٢٤٠)، وقال بعده: (قد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنها ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث محال). ثم قال: (حديث فضائل السور مصنوع بلا شك) ، وقال: (نفس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفذ السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم). قلت: والحديث له طرق كلها تالفة:

الطريق الأولى: تفرد بها أبو الخليل بزيع بن حبان، قال الدارقطني: وهو متروك.

الطريق الثانية: تفرد بها مخلد بن عبد الواحد، قال ابن حبان في «المجروحين»: منكر الحديث جدا ينفرد بأشياء مناكير لا تشبه أحاديث الثقات، فبطل الاحتجاج به.

الطريق الثالثة: تفرد بها ميسرة بن عبد ربه، قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من = قرأ كذا فله كذا»؟! قال: وضعتة أربغ الناس فيه.

الطريق الرابعة: تفرد بها هارون بن كثير، قال ابن عدي: وهارون غير معروف، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد. وروى العقيلي في الضعفاء (ج١/ص١٧٥): عن عبد الله بن المبارك قال في حديث أبي بن كعب في فضائل السور: أظن الزنادقة وضعتة.

وقال العجلوني في كشف الخفا (ج٢/ص٤١٩): فضيلة قراءة كل سورة، روي ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مفترى وموضوع بإجماع أهل الحديث.

**المبحث الرابع: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك**

و فيه تمهيد وثلاث مطالب:

**المطلب الأول: تعريف الآية لغة واصطلاحاً**

**المطلب الثاني: فائدة علم عد الآيات.**

**المطلب الثالث: عد آيات سورة المجادلة.**

## تمهيد

يمكن القول بأن علم عدد أي السور قد أشار إليه القرآن، كما في قوله تعالى:  
"وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" [الحجر: ٨٧].

فعن أبي سعيد بن المعلى قال مر بي النبي وأنا أصلي فدعاني، فلم آته حتى صليت ثم أتيت فقال: "ما منعك أن تأتني" فقلت كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا تَحْيِيكُمْ" ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد " فذهب النبي ليخرج من المسجد فذكرته فقال: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" <sup>١</sup>.

فقوله ﷺ: "هي السبع المثاني" أي عدد آياتها سبع. كما أشارت إليه السنة في جملة أحاديث منها: عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" <sup>٢</sup>.

انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله تعالى وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه. بل كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها. ثم يقرؤها النبي ﷺ على أصحابه، ويأمر كتاب الوحي بكتابتها معينا لهم السورة التي تكون فيها الآية وموضع الآية من هذه السورة وكان يقول: "ضعوا آية كذا في سورة كذا" <sup>٣</sup> وكان يتلوه عليهم مرارا وتكرارا، في صلاته وعظاته وفي حكمه وأحكامه. و كان يعارض به جبريل كل عام مرة وعارضه به في العام الأخير مرتين.

<sup>١</sup> صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "و لقد آتيناك سبع من المثاني و القرآن العظيم" برقم ٤٧٠٣، ج٣، ص ٢١٩

<sup>٢</sup> صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف و آية الكرسي، ج١، ص ٤٦٥.

<sup>٣</sup> سبق تخريجه، ينظر ص ٢٦.

كل ذلك كان الترتيب المعروف لنا في المصاحف. وممن حكى هذا الإجماع جماعة منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر في البرهان إذ يقول ما نصه: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.

قال الإمام الزرقاني: "ويعود سبب الخلاف في عد الآي، أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآيات، تعليماً لأصحابه بأن هذا الموضوع رأس آية، حتى إذا علموا ذلك وصل الآية بما بعدها، طلباً لتمام المعنى، فيظن بعض المستمعين أن ما وقف عليه الرسول ليس بفاصلة، فيصلها بما بعدها، معتبراً أن جميع ما قرئ آية واحدة، وبعضهم يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها. فمثل هذه المواضع كانت محط اختلافهم وسبب اجتهادهم"<sup>١</sup>.

وسبب اختلاف العلماء في عد الآي ذكر الإمام السيوطي - رحمه الله - عن بعض العلماء: "سبب اختلاف السلف في عد الآي أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج ١ ص ٣٠٧.

<sup>٢</sup> الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ١٧٥.

## المطلب الأول: تعريف الآية في اللغة والاصطلاح

### في اللغة:

الآية في اللغة تطلق على عدة معان:

- ١- العلامة: ومنها قوله تعالى: "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ" [البقرة: ٢٤٨]. أي علامة ملكه.
- ٢- الشخص والجماعة: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيء، وآية الرجل شخصه، إذا قصدت آيته وتعمدته<sup>١</sup>.
- ٣- المعجزة: و منها قوله تعالى: "سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ" [البقرة: ٢١١]. أي معجزة واضحة.
- ٤- العبرة: ومنها قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً" [هود: ١٠٣]. أي عبرة لمن يعتبر.
- ٥- البرهان والدليل: نحو قوله تعالى: "وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ" [الروم: ٢٢].

### وفي الاصطلاح:

قال الجعبري: " حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ أو منقطع مندرج في سورة"<sup>٢</sup>.

### المطلب الثاني: فائدة علم عد الآي.

- ١- قال الامام السيوطي ما نصه: " يترتب على معرفة الآي وعددها وفواصلها أحكام فقهية منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات، ومنها اعتبارها في الخطبة فإنه يجب فيها قراءة آية

<sup>١</sup> انظر مختار الصحاح للرازي، ج ١، ص ٢٩، و كذلك انظر المعجم الوسيط ج ١، ص ٣٥ .

<sup>٢</sup> الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ١٨٧



كاملة ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة وكذا الطويلة على ما حققه الجمهور".

٢- العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي ﷺ ، وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار، ووجه ذلك أن الله تعالى أعلن التحدي بالسورة الواحدة فقال سبحانه: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ

مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ" [البقرة: ٢٢].

والسورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة، وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر وهي ثلاث آيات قصار. فثبت أن كل ثلاث آيات قصار معجزة وفي قوتها الآية الواحدة الطويلة التي تكافئها<sup>١</sup>.

٣- أنه لو لم يعرف العدد لما علم الناسخ والمنسوخ.

٤- اعتبار علم العدد في باب الإمامة، وبخاصة عند من له الإمامة في رؤوس الآية في السورة المخصوصة، وأعني أبا عمرو البصري وورشاً حيث لهما التقليل في ذلك.

### المطلب الثالث: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.

هذه السورة المباركة مثلها كمثل غيرها من سور القرآن الكريم التي لم يوحد العلماء آرائهم في عدد آياتها ولم يتفقوا على ذلك.

ذكر الإمام ابن عاشور - رحمه الله - : "وأياها - يعني سورة المجادلة - في عد أهل المدينة وأهل مكة إحدى وعشرون، وفي عد أهل الشام والبصرة والكوفة اثنتان وعشرون"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> مناهل العرفان للزرقاني ج ١١ ص ٣٤٤-٣٤٦

<sup>٢</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٢٨ ص ٦

وكذلك ذكر مثله الإمام السيوطي في كتابه الإتقان: "واختلافهم في آية "إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَىٰنَ ﴿٢٠﴾" فمن اعتبرها آية منفصلة عد اثنتين وعشرين ومن اعتبرها جزءا من الآية التي تليها عدّها واحدا وعشرين"<sup>١</sup>.

وقد ذكر المفسرون أنها اثنتان وعشرون آية أجمع معظم على ذلك وذكره في تفاسيرهم منهم الامام البقاعي، والبغوي، وأبو السعود، والرازي، والنيسابوري، والنسفي، والقاسمي، والامام الشوكاني، والشيخ أبي بكر الجزائري، وكذلك الشيخ الصابوني، وأيضا الإمامان جلال الدين السيوطي وجمال الدين المحلي في كتابهما تفسير الجلالين.

وذكر الفيروز آبادي: أن آياتها اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المكيين. وكلماتها أربعمئة وثلاث وسبعون. وحروفها ألف وسبعمئة واثنتان وتسعون. المختلف فيها آية واحدة: " فِي الْأَذْلَىٰنَ " <sup>٢</sup>.

وخالفهم الرأي ونأى برأي خاص به الإمام شهاب الدين الألوسي - رحمه الله - حيث قال: إنها إحدى وعشرون في المكي والمدني الأخير، واثنتان وعشرون في الباقي، وفي التيسير: هي عشرون وأربع آيات وهو خلاف المعروف في كتاب العدد<sup>٣</sup>.

وأكد ذلك أبا عمرو الداني بقوله: وهي إحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي واثنتان وعشرون في عدد الباقيين اختلافها آية "أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَىٰنَ" لم يعدّها

<sup>١</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن ج٨ ص٢٩

<sup>٢</sup> انظر بصائر ذوي التميز للفيروز آبادي ج١١ ص٤٥٦

<sup>٣</sup> انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، تحقيق و تخريج دالسيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران، دار الحديث - القاهرة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج١٤ ص٢٦٥ .

المدني الأخير والمكي وعدّها الباقيون، وفيها مما يشبه الفواصل موضع واحد وهو "شديدًا"<sup>١</sup>.

وفي الأدلين المدني الثاني.. وأيضا المكي يهملان

وفي سورة المجادلة موضع واحد مختلف فيه، وهو قوله تعالى: "أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ" وقد بينت في البيت الثاني أن المدني الثاني والمكي يهملان عده وغيرهما يعده، والله تعالى أعلم<sup>٢</sup>.  
و هي في المصاحف التي بين أيدينا الآن اثنان وعشرون آية، والله تعالى أعلم.

<sup>١</sup> البيان في عد أي القرآن: المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٤٢.

<sup>٢</sup> فراند الحسان في عد أي القرآن، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي المتوفى سنة (٤٠٣هـ)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ، ص ٦٥.

**الفصل الثاني: المكي والمدني في سورة المجادلة ووجه اختصاصها بما اختصت به، ويشمل ثلاث مباحث:**

**المبحث الأول: المكي والمدني في السورة.**

**المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.**

**المبحث الثالث: ما اختصت به السورة من موضوعات.**

**المبحث الأول: المكي والمدني في سورة المجادلة.**

و فيه تمهيد وثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: تعريفات المكي والمدني.**

**المطلب الثاني: السبيل الموصول للمكي والمدني.**

**المطلب الثالث: مدني سورة المجادلة ومكيها.**

## تمهيد

لقد أنزل القرآن الكريم على النبي ﷺ منجما في ثلاث وعشرين عاما، وهي المدة الكاملة التي قضاها النبي ﷺ في هذه الدنيا بعد تشریفه بالرسالة في سن الأربعين، وانقسمت هذه الفترة إلى مرحلتين هامتين في تاريخ الدعوة الإسلامية: هما الدعوة في الفترة المكية، والدعوة في الفترة المدنية. وكان القرآن ينزل على النبي ﷺ طوال هاتين الفترتين.

وكان نزول القرآن في هذه المدة فبعضه نزل في مكة، وبعضه نزل في المدينة بعد الهجرة، فكان ينزل عليه القرآن أينما أقام في السفر والحضر فكان منه المكي والمدني.

والذي سيكون الحديث عنه من خلال المطالب الآتية:

## المطلب الأول: تعريفات المكي والمدني.

قال الزركشي: اعلم أن للناس في ذلك ثلاث اصطلاحات:

- ١- المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم المدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار<sup>١</sup>.
- ٢- المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الوسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.
- ٣- المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة<sup>٢</sup>.

---

<sup>١</sup> و هذا الرأي هو الراجح كما أقره جمهور العلماء حيث إنه لم يوجه إليه نقد أو إعتراض بخلاف القولين الآخرين ففيهما نظرٌ و الله تعالى أعلم .

<sup>٢</sup> البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا -بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ج١، ص٢٣

## المطلب الثاني: السبيل الموصل للمكي والمدني.

يقول الزرقاني: لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني. وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه، وأسباب نزوله عياناً وليس بعد العيان بيان"<sup>١</sup>.

قال القاضي أبو بكر في الانتصار: "إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك القول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول"<sup>٢</sup>.

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال: " والله الذي لا اله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم أحداً، أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني كتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> الزرقاني مناهل العرفان ج١، ص١٧٩.

<sup>٢</sup> البقلاني: أبو بكر ابن الطيب. الانتصار للقرآن، ج١، ص٢٤٧.

<sup>٣</sup> انظر البخاري. الجامع الصحيح، في باب (القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)، رقم ٥٠٠٢، ج٣، ص٣٤٧.



### المطلب الثالث: مكي سورة المجادلة ومدنيتها.

بحسب زمن النزول انقسمت سور القرآن الكريم وآياته إلى ما يسمى بالمكي والمدني، وكان لكل قسم منهما خصائصه وسماته وأغراضه وأهدافه ومقاصده، والتي يختلف كل قسم منها إلى حد بعيد عن القسم الآخر، حسب طبيعة المرحلة التي اقتضت ذلك النزول، فالسور المكية يمكن التعرف عليها من خلال مقاصدها وأغراضها، وكذلك بالنسبة للسور المدنية.

سورة المجادلة مدنية بالاتفاق قاله الفيروز آبادي<sup>١</sup>. وهي كذلك لما تحتويه من صفات السور المدنية وخصائصها، من الإطالة، والحكاية عن المنافقين وفضح حالهم، حيث كان النفاق في المدينة ولم يكن في مكة، حيث كان في مكة الكفر ظاهرا جليا وكذلك العداوة للرسول ﷺ والمؤمنون.

قال النحاس: حدثني يموت بن المزرع: حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد الجستاني، أنبأنا أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثنا يونس بن حبيب: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهدا عن تلخيص أي القرآن، المدني من المكي فقال: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: " .. ونزل بالمدنية سورة الأنفال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد وما بعدها إلى التحريم". هكذا أخرجه بطوله، وإسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات<sup>٢</sup>. - والمجادلة من السور التي قبل التحريم بالطبع -.

وقال البيهقي في دلائل النبوة: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، حدثنا علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، حدثني يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالوا: .. وما نزل بالمدينة. .. وذكر منه والمنافقون، والمجادلة، والحجرات<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> ينظر بصائر ذوي التميز للفيروز آبادي ج١ ص٥٦٤

<sup>٢</sup> الإتيان للسيوطي ص٣٧-٣٨

<sup>٣</sup> دلائل النبوة ج١٧ ص١٤٢-١٤٣ بسند حسن. من كتاب الإتيان .

وقال ابن الضريس في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، أنبأنا عمر بن هارون، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كانت إذا أنزلت فاتحة سورة. .. وأما ما أنزل بالمدينة: .. ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات<sup>١</sup>.

وقال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، نبأنا هشام، عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن: .. والرحمن، والمجادلة، والحشر....<sup>٢</sup>.

وفي تفسير القرطبي مدنية في قول الجميع. إلا رواية عن عطاء: أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي، وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى:

"مَا يَكُونُ مِنْ جَوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ" نزلت بمكة<sup>٣</sup>.

قال الإمام الألويسي: وهي على ما روى عن ابن عباس، وابن الزبير رضي الله عنهما مدنية، قال الكلبي وابن السائب: إلا قوله تعالى: "مَا يَكُونُ مِنْ جَوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ" وعن عطاء: العشر الأول منها مدني وباقيها مكي<sup>٤</sup>. وذكر السيوطي أيضا

<sup>١</sup> فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة : أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي المتوفى سنة ( ٢٩٤هـ )، تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، دمشق - سوريا، ص٣٣-٣٥

<sup>٢</sup> الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم تأليف الإمام ابي جعفر محمد بن أحمد بن اسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري المعروف بأبي جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨هـ) رواية أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي النحوي ، نسخه صححه و مقرؤه على العلامة أحمد بن أمين الشنقيطي ، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، ص٥٢-٥٣

<sup>٣</sup> الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م ، ج١٩ ص٢٢٩

<sup>٤</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني لألوسي ج١٤ ص٢٦٥

استثناءات المكي والمدني والعكس من ذلك: فذكر أنه استثنى من سورة المجادلة: "مَا

يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةِ" الآية. حكاه ابن فرس وغيره<sup>١</sup>.

وذكر ابن الجوزي أنها مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة والجمهور<sup>٢</sup>. وأخرج ابن مردويه عن الزبير. والله أعلم.

و قد عدها الزركشي في السور المدنية ولم يذكر أن بها آية مكية.

هذا وبعد الاطلاع على مميزات السور المدنية وتمحيصها وجدت أن هذه السورة المباركة تتفق مع تلك الصفات والميزات ولا تخرج عنها فالسور المدنية من شأنها:

- ١- أن يخاطب القرآن فيها - غالبا - مجتمعا إسلاميا فكان الغالب تقرير الأحكام التشريعية للعبادات، والمعاملات، والحدود، والفرائض، وباقي الأحكام.
- ٢- نشأ في المجتمع المدني طائفة من المنافقين فتحدث القرآن الكريم عن طبائعهم وهتك أستارهم، وبين خطرهم على الإسلام والمسلمين وكشف عن وسائلهم ومكائدهم وخبائهم ومخططاتهم للكيد للمسلمين، - وهذا ظاهر جلي في آيات السورة المباركة واضحا في عرضه - ولم يكن في مكة نفاق لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين فكان الكفار يحاربونهم جهارا.
- ٣- عاش بين المسلمين في المدينة طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود وكانوا يمكرون مكرًا سيئًا، ويكيدون للإسلام وأهله، فكشف القرآن في المدينة سرائرهم وأبطل عقائدهم، وكشف تحريفهم لديانتهم، وبين بطلان عقائدهم، ودعاهم إلى الإسلام بالحجة والبرهان.

<sup>١</sup> الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي ص٥٤

<sup>٢</sup> زاد المسير في علم التفسير للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) دار ابن حزم بيروت-لبنان، الطبعة الأولى الجديدة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص١٤٠٤

٤- الغالب على الآيات والصور المدنية طول المقاطع والصور لبسط الأحكام التشريعية، فقد كان أهل المدينة مسلمين يقبلون على سماع القرآن. وينصتون حتى كأن على رؤوسهم الطير، فالمقام ليس مقارعة ولجاجا يناسبه الإيجاز، بل مقام إقبال وإنصات وإذعان يناسبه الاسترسال والإطناب<sup>١</sup>.

وهذه الأساسيات التي سردها في السور المدنية تشكل هنا المحاور الرئيسية لسورة المجادلة وتفصل ما ورد في هذه السورة من موضوعات واطروحات ناقشتها السورة وفصلت فيها.

---

<sup>١</sup> دراسات في علوم القرآن الكريم تأليف أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي أستاذ الدراسات القرآنية كلية المعلمين بالرياض، مكتبة التوبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٣٢. تم جمعها و صياغتها .

**المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.**

و فيه تمهيد ومطلبين:

**المطلب الأول:** تعريف خواص القرآن الكريم لغة واصطلاحاً.

**المطلب الثاني:** وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

## تمهيد

من العلوم التي لها ارتباط وثيق بتدبر القرآن والعمل به، ويعتبر من أهم الدوافع للإقبال على القرآن الكريم علم خواص القرآن، لذا فقد أهتم به العلماء قديما وحديثا وصنف فيه مؤلفات لتأصيله، وبيان أهميته، وتعلقه بعلوم القرآن الكريم.

### المطلب الأول: تعريف خواص القرآن الكريم لغة واصطلاحا.

#### تعريف الخواص في اللغة:

قال الجوهري: خصه بالشيء خصوصا، واختصه بكذا، أي يخصه به. والخاصة خلاف العامة<sup>١</sup>.

قال الراغب: التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم، والتعمم، والتعميم، وخصان (والخصان كالأخاسة)، ومنه قولهم: إنما يفعل هذا خصان الناس، أي خواص منهم.

الرجل: من يختصه بضرب من الكرامة، والخاصة ضد العامة، قال تعالى: "وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً<sup>٢</sup>" [الأنفال: ٢٥]. أي بل

تعمكم، وقد خصه بكذا يخصه، واختصه يختصه، قال: "يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ"<sup>٣</sup> [آل عمران: ٧٤].

<sup>١</sup> الصحاح، تاج اللغة، و صحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطاء، دار العلم - بيروت ١٤٠٧ هـ، ج٣، ص١٠٣٧.

<sup>٢</sup> مفردات ألفاظ القرآن تصنيف العلامة الراغب الأصفهاني المتوفى بعد (٤٢٠ هـ) راجعه و علق عليه نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. ص٣٠٠.

قال ابن منظور: " خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا وخصوصية وخصوصية والفتح أفصح خصيصى وخصصه واختصه أفرده به دون غيره ويقال اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد وخص غيره واختصه بیره"<sup>١</sup>.  
وخاصة الشيء ما يختص به دون غيره، و(الخاصية) نسبة إلى الخاصة.  
والخواص جمع خاصة<sup>٢</sup>.

### الخواص اصطلاحا:

خواص القرآن يتعرف بها الآثار المترتبة على قراءة القرآن الكريم، والخواص المناسبة لها<sup>٣</sup>.

### المطلب الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به:

لكل سورة من سور القرآن فضيلة أو فضائل تمتاز به عن غيرها باقي السور، فكل سورة من السور اختصت بما ذكر فيها دون غيرها فكان مزية لها تميزها.

لقد تناولت سورة المجادلة في طياتها العديد من الموضوعات، العقدية والتشريعية، والتاريخية والأخلاقية، شأنها شأن السور المدنية التي جاءت لبناء الإنسان ككيان مستقل له حريته وتصرفاته، غير خاضع لأي قوة من قوى الأرض الضعيفة التي من شأنها استعباد البشر ومصادرة حرياتهم، ولهذا كان للسور المدنية، أهداف ومهام واضحة، ومن تلك الأهداف التشريع للعبادات، وإرساء الحقوق والعدل بين الناس.

فقد عالجت سورة المجادلة موضوعات عدة جليلة لم يذكر بعضها إلا في هذه السورة، وبعضها بسط في موضع آخر وفصل بها، وهناك من الموضوعات كانت تتمتها في هذه السورة المباركة، وبعض الموضوعات ذكرت بها باختصار وفصلت

<sup>١</sup> ابن منظور لسان العرب ج١، ص٢٤.

<sup>٢</sup> الفيروز أبادي القاموس المحيط ص٦١٧.

<sup>٣</sup> الهويل: التركي بن سعد بن فهيد. خواص القرآن الكريم، رسالة علمية للدكتوراه، بإشراف دابدر بن ناصر البدر، دار ابن الجوزي ١٤٢٩هـ، ص١٩.

في مواضع أخرى من كتاب الله تعالى، وتلك عادة كتاب الله تعالى في التناسق والانسجام فهو يكمل بعضه بعضاً، وهو كل لا يتجزأ. ومع ذلك فإن لكل سورة منه تميزها وتفردها الذي تفردت به عن غيرها من السور.

#### أولاً : الموضوعات التي تميزت بها السورة .

١- كانت سورة المجادلة بما فيها من الآيات ترد على كل من ينكر وجود الله عزوجل فهي دليل على وجوده سبحانه وتعالى، بأنه أنزل الوحي على نبيه، فنزول الوحي مباشرة عندما شكت المجادلة للرسول ﷺ دليل على علاقة البارئ عز وجل بخلقه وعباده المؤمنين وقربه منهم ورحمته بهم في تفريج كرباتهم "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" [الحديد:٤] أي مطلع عليهم. ولذلك نزل

القرآن سريعاً في التو واللحظة إذ كان سماع الله تعالى لها سماع إجابة بدليل أنه أنزل الحكم مباشرة بعد بث الشكوى ودعائه تعالى<sup>١</sup>.

٢- حين جاءت النبي ﷺ تشكي إليه زوجها أوس بن الصامت، الذي ظاهرها فكانت شكواها للرسول ﷺ وقلبها موقن ومؤمن بالله مولاها وربها، واثقة بأنه سيفرج همها ويفرج كربها، من الخصائص المهمة التي تميزت بها هذه السورة المباركة دون غيرها من سور القرآن الكريم أنها عالجت أحكام الظهار في مطلعها، وبينت حكمه، وأحكامه، وبسطت القول في ذلك. وقد تطرقت السورة لبعض حقوق المرأة حيث أنها رفعت عنها ظلم الجاهلية والعدوان عليها، وذلك بأن أبطلت الظهار والذي كان بمنزلة الطلاق في الجاهلية، وحرمته أبداً، وأعدت للمرأة كرامتها وإنسانيتها، التي أكرمها الله بها. والمرأة عندما تتقين أن هذا الدين ينصفها ويعطيها حقها تربي أسرتها على مبادئ هذا الدين وعلى الوحدة. ومن اللافت أن هذا الجزء (٢٨) ابتداء بقصة امرأة وانتهى بذكر نماذج نسائية في آخر سورة التحريم، وهما امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، تماماً كما جاءت سورة كاملة باسم النساء وهذا فيه حجة ودليل على من يدعي أن الإسلام بخس المرأة حقها في المجتمع.

<sup>١</sup> يرجع إلى تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وحقق أحاديثه: أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم -قطاع الثقافة- القاهرة. نقل بتصرف يسير .



٣- النجوى مما تفردت به هذه السورة وتميزت، إذ بينت حكم النجوى وآدابها وضوابطها، وهو موضوع مرتبط بالموضوع الكلي للسورة، كذلك ذكرت النجوى الخاصة بالرسول ﷺ وتفردها بهذه الآيات الخاصة بهذا الموضوع وتقديم الصدقة قبل مناجاته ﷺ، ونسخت الآية والتي بعدها ولم يذكر هذا الحكم إلا في هذه السورة الكريمة وكانت هذه الآية من أهم ما يميز هذه السورة المباركة.

٤- تميزت السورة الكريمة بذكر آداب المجالس والمكافأة على هذه الآداب، وعلى الامتثال لأوامر الله ورسوله ﷺ كما تحدثت عن فضيلة العلم الشرعي وأهله، وأن لهم منازل عالية حسية ومعنوية في الدارين، ونكرت الدرجات لشدة علو منازل أهل العلم، قال ابن مسعود: "مدح الله العلماء في هذه الآية"<sup>١</sup>. وقال القرطبي: "بين في هذه الآية أن الرفعة عند الله بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس"<sup>٢</sup>. وتأكيد وتأسيس عرى الإيمان بين المؤمنين وأنها هي الرابط الأقوى والأول فيما بينهم.

٥- معيته تعالى لخلقه، الناتجة عن علمه، فهو المطلع بشؤونهم، القائم بأحوالهم، فهو عزوجل مطلع على كل ذرة في الكون، لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه سرا ولا علانية وذلك لإحاطته بما يجري بين عباده من حديث ونجوى، والغرض أنه تعالى حاضر مع عباده مطلع على أحوالهم وأعمالهم، وما تهجس به أفئدتهم<sup>٣</sup>.

٦- تنبيه وتحذير المسلمين بأن لا يحذوا حذو هذه الفرقة الضالة المخادعة. حيث تعرض لصفاتهم وبين خبايا نفوسهم ونواياهم، وفريقهم الذي ينتسبون إليه ومنابتهم للمؤمنين. وختم السورة بمدح أوليائه لعدم موالاتهم لهؤلاء الأعداء<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ج١٤ ص٣٠٠

<sup>٢</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٥٤

<sup>٣</sup> صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص١٢٩٦

<sup>٤</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨ ص٣٣

## ثانيا : الأسلوب الذي تميزت به .

١- إن سورة المجادلة بدأت ببداية مؤكدة بحرف التوكيد "قد". و"قد" أصله حرف تحقيق الخبر، فهو من حروف توكيد الخبر ولكن الخطاب هنا للنبي ﷺ وهو لا يخامرته تردد في أن الله يعلم ما قالتها المرأة التي جادلت في زوجها. فتعين أن حرف "قد" هنا مستعمل في التوقع، أي الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع<sup>١</sup>. قال صاحب الكشاف: لأن رسول الله ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها<sup>٢</sup>.

٢. قال المفسرون: ابتداء الله هذه الآيات بالعلم بقوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ" واختتمها بالعلم بقوله: "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ". لينبهه باحاطة علمه. قال ابن كثير: وقد حكى بالإجماع على أن المراد بالمعينة في هذه الآية "إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ". معية علمه تعالى، ولاشك في إرادة ذلك، فسمعه مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء<sup>٣</sup>.

٣- ومن الخصائص التي تميزت بها هذه السورة المباركة أن فيها آية نسخت حكما لا تلاوة فالآية المنسوخة هي قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ.. الآية. والناسخ لها الآية التي تليها "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَتٌ" وهذا قول جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين كعلي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وعكرمة والحسن البصري وغيرهم،

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ٢٨ ج٧-٨

<sup>٢</sup> الكشاف للزمخشري، ج٤ ص٣٦٥

<sup>٣</sup> تفسير القرآن العظيم تأليف أبو الفداء الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي ت سنة (٧٧٤هـ) راجعه و نقحه الشيخ خالد محرم، الطبعة ٢٠١١م-١٤٣٢هـ، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت . ج ٤ ص٢٩٠

ورجحه ابن كثير والزرکشي والسيوطي أيضا<sup>١</sup>. وإلى ذلك أشار محمد بن حزم كما نقل عنه صاحب الروح والريحان حيث قال: قال محمد بن حزم: سورة المجادلة كلها محكم إلا آية واحدة وهي قوله تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَكَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةٌ.. " الآية " من المجادلة نسخت بقوله: "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَتٌ" فنسخ الله تعالى ذلك باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله وللرسول<sup>٢</sup>.

٤- و لا تزال السورة في شمولها لعلم الله عزوجل بالوجود واحاطته بخلقه إذ هو الأعم بحال المنافقين وخبائهم حيث يعرض حالهم ويفضح أمرهم ويكشف سرهم، واستحوذ الشيطان لهم وتسيره لهم، وبين عاقبتهم بالخسران والعذاب المهين لهم في الدنيا والآخرة.

#### ثالثا : الألفاظ التي تميزت بها السورة .

ورود ألفاظ في هذه السورة لم ترد في غيرها (تُجَدِّلُكَ- تَشْتَكِي-تَحَاوَرُكُمْ- كُتِبُوا- تَفَسَّحُوا- أَنْشُرُوا-أَسْتَحْوَذَ-عَشِيرَتِهِمْ). فكان من جمال هذه السورة الرائعة وإبداعها كونها أصبحت درسا للمسلمين في الشجاعة وعدم المهابة من الظالم وسالب الحق - مهما كان قويا وقادرا على الظلم - لأنه يجب أن يكون الإيمان بقوة الله وقدرته أكبر وأعظم من مهابة خلقه وقدرتهم الضعيفة.

و كان هذا النموذج الجميل والرائع أنموذجا من نماذج الحياة في عهد رسول الله ﷺ بكل تفاصيلها ودقائقها المربية التي بقيت كما ذكرنا درسا وعبرة للمؤمنين في علاقتهم بخالقهم وفي علاقتهم بعضهم ببعض، وفي هذا كله صورة من حياة تلك الجماعة الفريدة في تلك الفترة، وشعورها بتلك الصلة المباشرة، وانتظارها التوجيه

<sup>١</sup> ينظر كل ذلك جامع البيان ج١٢ص٢٠-٢٢، القرآن العظيم ج٤ص٢٩٤-٢٩٥، الأتقان ص٥٢٥، البرهان في علوم القرآن ج١٢ص٢٨،

<sup>٢</sup> الروح و الريحان للشيخ محمد هري .

من السماء في كل شأن من شؤونها، واستجابة السماء لهذا الانتظار، الذي يجعل الجماعة كلها عبادا لله وهو يرعاها، وهي تتطلع اليه تطلع الطفل الصغير لرعاية والديه<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> يرجع إلى في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥٠٦ نقل بتصريف .

**الفصل الثالث: أسباب نزول سورة المجادلة، ومقاصد السورة وأهدافها،  
وتاريخ نزول السورة والجو العام الذي نزلت فيه .**

ويحتوي على ثلاث مباحث:

**المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة .**

**المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.**

**المبحث الثالث : تاريخ نزول سورة المجادلة و الجو العام الذي نزلت فيه .**

**المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة.**

و فيه تمهيد ومطلبان:

**المطلب الأول: تعريف أسباب النزول عند العلماء، وفوائدها.**

**المطلب الثاني: أسباب النزول الواردة في السورة.**

## تمهيد

أسباب النزول من الموضوعات المهمة في علم التفسير، لارتباطه بتنزل كلام الله الذي هو أشرف الكلام، وشرف العلم مبني على شرف المعلوم، لارتباطه بتفسير كتاب الله، والكشف عن الحكم والأحكام التي لا تدرك إلا به، ولأنه سبب رئيس في إبراز تناسق كلام الله، ووحدة نظمه، ناهيك عن تعلقه بالكثير من علوم التفسير.

**المطلب الأول: تعريف أسباب النزول عند العلماء، وفوائدها:**

لفظة (أسباب النزول) تتكون من كلمتين: أسباب، ونزول.

**السبب في اللغة:**

الحبل وما يتوصل به إلى غيره<sup>١</sup>.

**معنى النزول:** النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل من مكان كذا حط رحله فيه<sup>٢</sup>.

**سبب النزول في الاصطلاح:**

قال السيوطي: "والذي يتحرر في سبب النزول وهو ما نزلت الآية أيام وقوعه

"<sup>٣</sup>

وقال الزرقاني: "سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أي مبينة لحكمه أيام وقوعه"<sup>٤</sup>.

إن لأسباب النزول فوائد جمة وعظيمة، لا كما يزعم البعض أنها ليست بذات فائدة أو أن فوائدها قليلة.

<sup>١</sup> ابن منظور، لسان العرب ج ١، ص ٤٥٥، القاموس المحيط ج ١، ص ١٢٣

<sup>٢</sup> المحرر في أسباب نزول القرآن تأليف: خالد بن سليمان المزيني، رسالة دكتوراه إشراف د علي سليمان العبيد، دار ابن الجوزي ١٤٢٩ هـ، ج ١، ص ١٠٢.

<sup>٣</sup> الاتقان للسيوطي ج ١، ص ٩٠.

<sup>٤</sup> مناهل العرفان للزرقاني ج ١، ص ١٠٦.

- **الفائدة الأولى:** معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام ومن أجلها جاء هذا التنزيل. وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإيمان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان خصوصا إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد<sup>١</sup>.

- **الفائدة الثانية:** أنه يعين على فهم الآية، ودفع الإشكال عنها. قال الواحدي في حديثه عن علوم القرآن ومنه أسباب نزول الآية: "إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"<sup>٢</sup>.

وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"<sup>٣</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"<sup>٤</sup>.

- **الفائدة الثالثة:** قال الزركشي: "دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر".

- **الفائدة الرابعة:** تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب<sup>٤</sup>.

- **الفائدة الخامسة:** معرفة اسم من نزلت فيه الآية وتعيين المبهم فيها، ومن ذلك ما روي في سبب نزول سورة المجادلة التي بين أيدينا، وذكر المجادلة التي هي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت كما ورد في الصحيحين.

<sup>١</sup> مناهل العرفان للزرقاني ج ١، ص ١٠٩-١١٣.

<sup>٢</sup> أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، و اعتنى به وليد الزكري، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ- ٢٠١١ م، ص ٨.

<sup>٣</sup> السيوطي الاتقان في علوم القرآن ج ١، ص ٨٣.

<sup>٤</sup> ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد ج ١٣، ص ٣٣٩.

<sup>٤</sup> يرجع للمصدر نفسه.



- **الفائدة السادسة:** تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها. وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس<sup>١</sup>.

### المطلب الثاني: أسباب النزول التي وردت في السورة.

بدأت السورة بقاعدة التخلية قبل التحلية، فردت عادات الجاهلية وودتها فافتتحت الآيات بحل مشاكل المجتمع المسلم، فافتتحت آيات أحكام الظهر بذكر سبب نزولها وتنويها بالمرأة التي وجهت شكواها إلى الله تعالى، بأنها لم تقتصر في طلب العدل في حقها وحق بنيتها. ولم ترض بعمل زوجها وإبتداره إلى ما ينثر عقد عائلته دون تبصر ولا روية، وتعلما لنساء الأمة الإسلامية ورجالها واجب الذود عن مصالحها<sup>٢</sup>. و هي خولة بنت ثعلبة : هي خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن غنم بن عوف من ربات الفصاحة والبلاغة والجمال وصاحبة النسب الرفيع ، لم يتأكد من تثبيت سنة وفاتها ومدفنها<sup>٣</sup>. زوجها هو أوس بن الصامت : أبوه: الصامت بن قيس بن أصرم بن فهد بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرجي الأنصاري. أمه: قرّة العين بنت عبادة. وهو ممن شهد بدرا وأحدا، وأغلب الغزوات مع رسول الله ﷺ. وأنجبت منه زوجته خولة ولدهما الربيع بن أوس.

١. سبب نزول قوله تعالى: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي

إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَائِرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾".

<sup>١</sup> مناهل العرفان للزرقاني ج١، ص١١٣.

<sup>٢</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج٢٨، ص٦.

<sup>٣</sup> من كتاب نساء حول الرسول للدكتور بسام محمد حمادي صفحة ٤٨

أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لا أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: "قَدْ

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا" وهو أوس بن الصامت<sup>١</sup>.

٢. سبب نزول قوله تعالى: "يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ تُوَعُّظُونَ بِهِ<sup>٢</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا<sup>٣</sup> فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا<sup>٤</sup> ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>٥</sup> وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ<sup>٦</sup> وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ"

وأخرج أحمد وأبو دواد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام قال: حدثتني خولة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه، فدخل عليا يوما فراجعه بشيء فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي، ثم رجع فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليا فإذا هو يريدني عن نفسي، قلت كلا والذي نفس خولة بيده لا تصل إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فما برحت حتى نزل القرآن، فتغشى رسول

<sup>١</sup> أخرجه البخاري ١٣ / ٣١٦ في التوحيد، باب قول الله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} تعليقا، ووصله النسائي ٦ / ١٦٨ في النكاح، باب الظهار، وأخرجه أحمد في "المسند" ٦ / ٤٦، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم في "المستدرک" ٢ / ٤٨١ ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٠٦٣)، وأخرجه الحاكم في "المستدرک" ٢ / ٤٨١ وصححه ووافقه الذهبي.

الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه، فقال لي: يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك، ثم قرأ علي "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ" إلى قوله: "عَذَابٌ أَلِيمٌ".

فقال رسول الله ﷺ : مريه فليعتق رقبة، قلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين، قلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر، قلت: والله ما ذاك عنده، قال: رسول الله ﷺ : فإننا سنعيه بعرق من تمر، فقلت: وأنا يا رسول سأعيه بعرق آخر، فقال: قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصديقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا، قالت: ففعلت<sup>1</sup>.

وروى الإمام أحمد في مسنده: لما روي عن خولة بنت ثعلبة قالت: والله في وفي أوس بن الصامت أنزل الله - عز وجل- صدر سورة المجادلة قال: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال: أنتي علي كظهر أمي قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريدني على نفسي، قال: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ قول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه" قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه، فقال لي: "يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك" ثم قرأ علي "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ

قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصِيرٌ ① إلى قوله: "وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" فقال لي رسول الله ﷺ "مريه فليعتق

رقبة". قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: "فليصم شهرين متتابعين" قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال: "فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر" قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، فقال رسول الله ﷺ : "فإننا سنعيه بعرق من تمر" قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعيه

<sup>1</sup> المستدرک للحاکم .

بعرق آخر، قال: " قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا، قالت: ففعلت"<sup>١</sup>.

وروى أبو داود عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت: " ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت رضي الله عنه فجننت رسول الله ﷺ أشكو إليه ورسول الله ﷺ يجادلني فيه ويقول: اتقي الله فإنه ابن عمك، فما برحت حتى نزل القرآن "قد سمع

الله" إلى الفرض، فقال: يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال: يصوم شهرين متتابعين،

قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال فليطعم ستين مسكينا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به قال: فأتي ساعتئذ بعرق من تمر، قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بعرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا، وارجعي إلى ابن عمك "<sup>٢</sup>. وروى الدار قطني أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " إن أوس بن الصامت رضي الله عنه ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة رضي الله عنها فشكت إلى النبي ﷺ فقالت: ظاهر مني حين كبر سني ورق عظمي، فأنزل الله آية الظهار، فقال رسول الله ﷺ لأوس اعتق رقبة، قال: مالي بذلك يدان، قال: فصم شهرين متتابعين، قال: أما إني إذا أخطأني أن أكل في اليوم مرتين يكل بصري، قال فأطعم ستين مسكينا، قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له، والله رحيم " قال: وكانوا يرون أن عنده مثلها، وذلك لستين مسكينا<sup>٣</sup> ، وللدار قطني أيضا والبيهقي " أن خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها رآها زوجها وهو أوس بن الصامت أخو عبادة رضي الله عنهما وهي تصلي فراودها فأبت فغضب، وكان به لمم وخفة فظاهر منها، فأتت رسول الله ﷺ فقالت إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما خلا سني ونثرت له بطني جعلني عليه كأمه "<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> أخرجه أحمد في المسند، أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ٢٦٩٠٩

<sup>٢</sup> أخرجه أبو داود ٢٢١٤ و ٢٢١٥ و ابن حبان ٤٢٧٩ و البيهقي ٣٩١١٧-٣٩٢ و أحمد ٤١٠٦-٤١١ من حديث خولة و إسناده ضعيف، لجهالة معمر بن عبد الله، انظر الميزان ١٥٥١٤ .

<sup>٣</sup> أخرجه الدار قطني ٣١٦١٣ من حديث أنس و للحديث شواهد. راجع أيضا أسباب النزول للنيسابوري ص ٢٢٨-٢٢٩ .

<sup>٤</sup> أخرجه البيهقي ٣٩٢١٧ من حديث خولة بنت ثعلبة، و هو حسن في الشواهد .

وللطبراني من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: " كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به لمم، فقال في بعض هجراته: أنت علي كظهر أمي، قال: ما أظنك إلا قد حرمت علي، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي وأحب الناس إلي والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله لا تقل كذلك والله ما ذكر طلاقا، فرأدت النبي ﷺ مرارا، ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاقتي ووحدتي وما يشق علي من فراقه " <sup>١</sup> الحديث، ومن طريق أبي العالية قال: فجعل كلما قال لها " حرمت عليه " هتفت وقالت: أشكو إلى الله، فلم ترم مكانها حتى نزلت الآية، وروى أبو داود عن هشام بن عروة أن جميلة كانت تحت أوس ابن الصامت وكان رجلا به لمم فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز وجل فيه كفارة الظهار <sup>٢</sup>.

٣. سبب نزول قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ

وَلَا آدِنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا

عَمَلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ "

ومن معيته تعالى لخلقه أن تلك المعية موجودة بالفطرة في النفس البشرية وإن

حدثتها، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" .. نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن

أمية: كانوا يوما يتحدثون، فقال: أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم

بعضا ولا يعلم بعضا. وقال الثالث: إن كان يعلم بعضا هو يعلم كله <sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> أخرجه الطبراني و هو مرسل .

<sup>٢</sup> أخرجه أبو داود ٢٢١٩ عن هشام بن عروة مرسلا .

<sup>٣</sup> ذكره الزمخشري في الكشاف بلا سند ، ج٤ ص٣٦٨

٤. سبب نزول قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ  
يَعُودُونَ لِمَا هُؤُا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ  
الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي  
أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ<sup>ج</sup> حَسْبَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا<sup>ط</sup>  
فَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

ذكرت عادات المنافقين ومؤامراتهم، ففي قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤُا  
عَنِ النَّجْوَى.. " فكشفت ما خفي من نواياهم و عما تنطوي عليه قلوبهم فبان  
حقيقتهم للمؤمنين.

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود  
موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن  
أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله  
"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤُا عَنِ النَّجْوَى" الآية، وأخرج أحمد والبخاري بسند  
جيد عن عبد الله بن عمرو أن يهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم ثم  
يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول. فنزلت هذه الآية. "وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ  
بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ" وفي الباب عن أنس وعائشة<sup>٢</sup>.

صح من رواية البخاري ومسلم غيرهما عن عائشة: " أن أناسا من اليهود دخلوا  
على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال ﷺ وعليكم، قالت عائشة:  
وقلت: عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم "و في رواية "عليكم السام والذام

<sup>١</sup> مسند أحمد . و مسند البخاري .

<sup>٢</sup> لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٤٣٢

واللعنة" فقال ﷺ: يا عائشة إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، فقلت: ألا تسمعهم يقولون: السام؟ فقال ﷺ: أو ما سمعت أقول: وعليكم؟

وهذا معصية من معصياتهم للرسول ﷺ وأنموذجا منها. فكانوا يلقون التحية عليه الصلاة والسلام بغير ما أنزل الله، وكانت دعاء عليه بغير لفظ السلام.

فكانوا يحرفون ذلك السلام بقولهم السام عليك: أي الموت، أو قولهم بتحايا الجاهلية مثل أنعم صباحا أو غير ذلك، مردين بذلك معصيته ﷺ ومخالفة أمره.

والله تعالى يقول: "وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ" [النمل: ٥٩].

قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك في قلوبهم وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني قال: أخبرنا محمد بن إسحاق السراج قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال أخبرنا جرير عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم وفعل الله بكم، فقال: رسول الله ﷺ: "مه يا عائشة فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش" فقلت: يا رسول أدرى ما يقولون؟ قال: "ألست ترين أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: وعليكم". ونزلت هذه الآية في ذلك

<sup>١</sup> متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٥٠١٥) حديث رقم ٦٠٣٨ من طريق ابن أبي مليكة.. به، و مسلم في صحيحه (١٧٠٧/٤-٢١٦٥) من طريق مسروق.. كلاهما ابن أبي مليكة، مسروق عن عائشة.. به.

"وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ تُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ..".<sup>١</sup>

وروى أحمد والبخاري والطبراني بإسناد - قال الهيثمي في المجمع إنه جيد لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك. ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت<sup>٢</sup>.

٥. سبب نزول قوله تعالى: "إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"

فبعد أن بين فعلهم ونواياهم عليهم إذ أنهم لا يقدموا الشر للمؤمنين فهم مجرد أفواه تصيح وقلوب تبغض قال تعالى: "إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ" قال الواحدي: قال المفسرون: إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات<sup>٣</sup>.

وقال الإمام الطبري أيضا حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن عاشور، عن معمر قال: كان المسلمون إذا رأوا المنافقين يتناجون، يشق عليهم، فنزلت "إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> أسباب النزول للنيسابوري ص ٢٢٩، سنن ابن ماجه، باب رد السلام على أهل الكتاب ج ٢ ص ١٢١٩، حكم الألباني: صحيح.

<sup>٢</sup> أخرجه البخاري ٢٢٧١ و الطبراني كما في المجمع ١٢٢١٧ و أحمد (٦٥٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال الهيثمي: و إسناده جيد.

<sup>٣</sup> فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني راجع و علق عليه: الشيخ هشام البخاري، الشيخ خضر عكاري، المكتبة العصرية صيدا - بيروت الطبعة الثانية ١٩٤٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٥ ص ٢٣٢

<sup>٤</sup> تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٥-١٦ (حديث رقم ٣٣٧٦٤-٣٣٧٧٢)



٦. سبب نزول قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي

الْمَجْلِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ<sup>ط</sup> وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ<sup>ج</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ<sup>ر</sup>"

ولما نهى تعالى عباده المؤمنين عما يكون سبب للتباغض والتنافر، أمرهم بما يصير سببا لزيادة المحبة والألفة، فكانت الدعوة للتعاوض والتألف والإحساس ببعضهم البعض فكانت الدعوة للكثير من مكارم الأخلاق ودعاوى الألفة بينهم، وأثار التراحم والتواد.

عن مقاتل قال: كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر، فيهم ثابت بن قيس وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ فقال لمن حوله - من غير أهل بدر - قم يا فلان، ثم قم يا فلان، بعدد الواقفين من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وطعن المنافقون في ذلك، فقالوا: ما عدل مع هؤلاء، قوم أخذ مجالسهم، وأحبوا القرب منه فأقامهم، وأجلس من أبطأ عنه؟؟ فأنزل الله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ

فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ<sup>ط</sup>... "الآية<sup>١</sup> .

وكان النبي ﷺ يقول: "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس ولكن أفسحوا يفسح الله لكم"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٠٨ من قول مقاتل .  
<sup>٢</sup> أخرجه البخاري ٦٢٧٠ و مسلم ٢١٧٧ و أبو داود ٤٨٢٨ و الترمذي ٢٧٤٩ و أحمد ١٢٤١٢ من حديث ابن عمر . و في الباب من حديث جابر عند مسلم ٢١٧٨ و البيهقي ٢٣٣١٣

٧. سبب نزول قوله: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ

حُجُورِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ



وتظل الآيات الكريمة في تناسقها وتناسبها العجيب الفريد، فهاهي في مكارم الأخلاق والآداب تكمل مسيرة وسلسلة الآداب ثم تأتي وترتفع بنا إلى أسمى الآداب وأرفعها، وهو الأدب مع سيد الخلق ﷺ ، فأنزل الخطاب للمؤمنين موجهها لهم في طريقة تعاملهم مع نبيهم ﷺ فقال: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ

يَدَيْ حُجُورِكُمْ .. "

قال مقاتل بن حيان نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرن مناجاته ويغلبون الفقراء في المجالس حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا، وأما أهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله فنزلت الرخصة.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي " يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا " كان لي دينار فبعته، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفذ، فنسخت بالآية الأخرى "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ حُجُورِكُمْ صَدَقْتُمْ" <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ومسلم، وابن مردويه، والحاكم [كنز العمال ٤٦٥١] أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٣/٦، رقم ٣٢١٢٥) ، والحاكم (٥٢٤/ ٢) ، رقم (٣٧٩٤) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

قال الإمام السيوطي: أسباب نزول الآية ١٢ و ١٣ قوله تعالى: " إِذَا نَجَّيْتُمْ

.. " الآية. وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل " إِذَا نَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ " الآية، وأخرج الترمذي وحسنه غيره عن علي قال: لما نزلت " يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ " قال لي النبي ﷺ : ما ترى في دينار ؟ قلت لا يطيقونه، قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقونه، قال فكم ؟ قلت شعيرة، قال: إنك لزهيد فنزلت " ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتِ " الآية، فبني خفف الله عن هذه الأمة. قال الترمذي: حسن<sup>١</sup>.

٨. سبب نزول قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ

مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " ﷻ

بعدما كانت الآية السابقة تمحيص للمؤمنين وتأكيد لما في قلوبهم من خير للرسول ﷺ وللإسلام، وامتثالهم المباشر لأوامر مولاهم عزوجل كانت الآيات التي تليها كشف لما في قلوب حزب الشيطان من المنافقين الذين كانوا يستترون بالإسلام

<sup>١</sup> أخرجه الترمذي ٣٣٠٠ والنسائي في الكبرى ٨٥٣٧ وابن حبان ٦٩٤١ و ٦٩٤٢ والعقيلي في الضعفاء ٣٤٣٦ و أبو يعلى ٤٠٠ من حديث علي، وإسناده وضعيف علي بن علقمة الأنماري لم يرو عنه غير سالم بن أبي الجعد وضعفه العقيلي و ابن الجارود و الذهبي = وقال البخاري: في حديثه نظر انتهى. - و ورد بنحوه عند الطبراني ٣٣١ و أحمد ١٨٥١١ من حديث سعد بن أبي وقاص مختصرا. قال الهيثمي: وفيه سلمة الأبرشي وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره اه. وفيه أيضا ابن اسحاق مدلس، وقد عنعنه.

ويدعون ولأئنه والبراء من غيره، فكشف علام الغيوب عنهم بقوله: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

تَوَلَّوْا قَوْمًا.. "

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا " الآية، قال بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل<sup>١</sup>.

قال السدي ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: " علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ " فحلف بالله ما فعل ذلك فقال له النبي ﷺ: فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه. فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>٢</sup>.

من رواية سماك عن ابن جبير عن ابن عباس قال: " كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال: إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فقال حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فقال: ذرني آتيك بهم، فانطلق فدعاهم فحلفوا ما قالوا وما فعلوا. فأنزل الله تعالى الآية " لفظ الحاكم<sup>٣</sup>.

و في رواية أن النبي ﷺ قال: لأصحابه: " يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان " فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية،

<sup>١</sup> لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٤٣٥

<sup>٢</sup> أسباب النزول للنيسابوري ص ٢٣١، قال ابن حجر: لم أجده هكذا. و روى أحمد ٢٦٧١١ و البزار و الطبراني و الطبري

٣٣٨٠٥ و ابن أبي حاتم و الحاكم ٤٨٢١٢

<sup>٣</sup> الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر، و ذكره النيسابوري في كتابه أسباب النزول من رواية الحاكم في صحيحه عن الأصم عن ابي عفان عن عمرو و العنصري. عن اسرائيل، عن سماك.

فقال النبي ﷺ : علام تشتمني أنت وأصحابك، فحلف بالله ما فعل " فقال له: فعلت. ف جاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت<sup>١</sup>.

٨- قوله تعالى: " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي " روي أن مقاتلا قال:

المؤمنون: لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله على فارس والروم، فقال عبد الله بن أبي سلول: أظنون الروم وفارس مثل القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك فأنزل الله تعالى: " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ " أي قضى الله ذلك<sup>٢</sup>.

٩. سبب نزول قوله تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ

مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٢﴾"

ثم هاهي السورة المباركة تختتم بما بدأت به حيث ذكرت في بادئ السورة نموذج من حزب الله، وأخيرا تعرض وتكشف في آخر السورة صفات ذلك الحزب تفصيلا، وتسميه بحزب الله، وتؤكد على فلاحه واستحقاقه لذلك الشرف الذي نالوه من ربهم جلا وعلا.

قال تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..."

روي عن ابن مسعود أنه قال أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا

<sup>١</sup> أخرجه الحاكم ٤٨٢١٢ و الطبراني في الكبير ١٢٣٠٧ و الواحدي في أسبابه صد٢٣١ و أحمد ٢٤٠١١ و ٢٦٧ من حديث ابن عباس و إسناده حسن و قد صححه الحاكم على شرط مسلم ، و وافقه الذهبي .

<sup>٢</sup> نفس المصدر السابق ج ٩ ص ٢٥٩

رسول الله دعني أكن في الرعدة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: "متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري"<sup>١</sup>. وفي مصعب بن عمير ﷺ قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد<sup>٢</sup>. وخرق سعد بن أبي وقاص ﷺ الصفوف يومئذ على أخيه عتبة بن أبي وقاص غير مرة ليقبله فراغ عنه روغان الثعلب، فنهاه رسول الله ﷺ وقال: أتريد أن تقتل نفسك وقتل محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ أخاه من الرضاع كعب بن الأشرف اليهودي رأس بني النضير<sup>٣</sup>. وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي علي وحزمة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر<sup>٤</sup>، وذلك قوله تعالى: "وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ"<sup>٥</sup>.

و قال ابن حجر: وهو في تفسير مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وذكره الثعلبي عن تفسير مقاتل، وروي أيضا أنها نزلت في أبي بكر ﷺ، وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها، فقال له رسول ﷺ: "أو فعلته"؟ قال: "نعم"، قال: "لا تعد" قال: والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته. قال ابن حجر نقله الثعلبي عن ابن جريج قال: "حدثت أن أبا قحافة.. فذكره"<sup>٦</sup>.

وذكر سبب نزول قوله تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْمًا" قال السدي: أنها نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول، جلس إلى النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ ماء، فقال له: بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبي، لعل الله يطهر بها قلبه؟ فأفضل له فأتاه بها، فقال: له عبد الله: ما هذا؟ فقال: هي فضلة من شراب النبي ﷺ جنتك بها

<sup>١</sup> أخرجه الحاكم ٤٧٤/٣-٤٧٥ عن الواقدي مرسلًا و الواقدي ضعيف. و خبر أبي عبيدة له شواهد.

<sup>٢</sup> ذكره البغوي في تفسيره ج٤ ص٢٨٥ هكذا بلا سند.

<sup>٣</sup> حديث جابر عند البخاري ٤٠٣٧ وفيه قصة قتل كعب بن الأشرف.

<sup>٤</sup> ينظر تفسير البغوي أيضا ج٤ ص٢٨٥

<sup>٥</sup> ذكرت في أسباب النزول للنيسابوري. ص٢٣١

<sup>٦</sup> ذكر في الكاف الشاف في تخريج الكشاف لابن حجر العسقلاني ج٤ ص٣٧٤

تشربها لعل الله يطهر قلبك بها. فقال له أبوه: فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها.  
فغضب وجاء إلى النبي ﷺ ، وقال: يا رسول الله أما أذنت لي في قتل أبي ؟ فقال  
النبي ﷺ : "بل ترفق به وتحسن إليه"<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩ ج ٢٦٠ ص ٢٦٠. قال القرطبي: هذا مرسل ولم أجد من أسنده عن السدي .

## المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

إن الله جل جلاله هو الذي تكلم بهذا القرآن، لقوله تعالى: "وَإِنَّ أَوَّلَ آيَاتِهِ لَخَرَاءُ الْمَشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ" [التوبة: ٦]. فلذلك كان علم مقاصد السورة له أهمية عظمى راجعة إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن هو التدبر والهداية.

فعندما نتحدث عن مقاصد وأهداف القرآن الكريم نقصد بذلك: الغايات والأهداف التي أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم من أجلها، ولقد كان للعلماء اجتهادات واسعة في استخراج المقاصد من كتب الفقه وأصوله، وكان الأحرى بهم أن يستلهموها من القرآن الكريم نفسه، فهو النور المبين، والأساس المتين في استجلاء مقاصد القرآن كما نبه إلى ذلك محمد عبد السلام الحضيبي<sup>١</sup>.

فبمعرفة مقصد السورة تنتظم آيات السورة وتظهر المناسبات بين آياتها، قال الإمام البقاعي: من حقق المقصود من السورة عرف تناسب آياتها وقصصها وجميع أجزائها.

ولقد تكلم كثير من العلماء عن مقاصد القرآن الكريم، إلا أنها لم تحظ بالنصيب الأوفر كما حظيت به مقاصد التشريع التي أفاض الأصوليون القول فيها، وتعددت فيها الدراسات قديما وحديثا.

إلا أن بعض المفسرين اهتموا به وأشاروا له ضمنا بدون تصريح، ومنهم من صرح به، ومن أهل العلم من دون فيه مصنفات كالفيروز آبادي، والإمام البقاعي وغيرهما.

<sup>١</sup> بحث منشور بعنوان: مقاصد القرآن و أهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني: محمد عبد السلام الحضيبي، جامعة الشارقة كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، ١١-١٢ جماد الأولى، ٤-٢٥-٢٦-٣٢٢هـ - ٢٠١٠م (2)



قال الفيروز آبادي في سورة المجادلة: معظم مقصود السورة: بيان حكم الظهار ، وذكر النجوى والسرار، والأمر بالتوسع في المجالس ، وبيان فضل أهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، والحكم على البعض بالفلاح، وعلى البعض بالخسران، في قوله: "هُمُ الْخَسِرُونَ" [المجادلة: ١٩] و

"هُمُ الْفَلِيحُونَ" [المجادلة: ٢٢] .<sup>١</sup>

و ذكر الإمام برهان الدين البقاعي مقصود السورة لديه قائلاً: "مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد، بمن حاد الله ورسوله ﷺ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها، وعلى تكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة تكرير ٠ لم يكن في سواها بحيث لم تخل آية منه، وأما الآيات التي تكرر في كل منها المرتين فأكثر فكثرة كل ذلك للدلالة على أن الأكثر منها المراد فيها بالخطاب من يصح أن ينظر إليه تارة بالجلال وتارة بالكمال فيجمع له الوصفان، وهو من آمن وقع منه هفوة أو عصيان، ولهذا ضمتها أشياء شدد النكير فيها حين وقع فيها بعض أهل الايمان، ولم يبحها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع إلى ما دعا إليه الطبع كما فعل في غيرها كالأكل والجماع في ليل رمضان من غير تقييد بيقظة ولا منام، لمنابذتها للحكمة، وبعدها عن موجبات الرحمة، وهذا مؤيد لما تقدم من سر إخلاء الواقعة والرحمن والقمر من هذا الاسم الجامع، والله الموفق<sup>٢</sup>.

تهدف السورة إلى أن تصل الإنسان وتبقيه مرتباً بالله عز وجل، مراقباً لله عز وجل، عالماً أن الله عز وجل موجود وأنه مطلع على كل شيء، فهو لاء البشرية وهو لاء

<sup>١</sup> بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ج ١، ص ٤٥٦

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور لبرهان الدين البقاعي ج ١٧، ص ٤٧٤

الناس لا ينفصلون في حال من الأحوال عن علم الله عز وجل أينما كانوا وفي أي حال كانوا<sup>١</sup>.

وبعد البحث والإطلاع تبين لي أن مقصود السورة الكريمة ما يلي:

يهدف القرآن في سوره عامة إلى ذات المقاصد والأهداف فهدفه الأول الدعوة إلى الله وتوحيده عزوجل ونزع الشرك من نفوس العباد فهو يقوم: أولاً بتربية الفرد ومن شأن كل بناء أن يبدأ بالقطع الصغيرة يصفها بعضاً إلى بعض حتى يصبح بناءاً عظيماً، والأفراد هم لبنات المجتمعات وتهذيب الأفراد وتربيتهم تأسيس لبناء محكم متقن ومن أسس هذه التربية: تطهير قلوبهم من أدران الشرك، وغرس عقيدة التوحيد، والتربية بالعبادة. قال تعالى:

"اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "

[الأنعام: ١٠٦]، إذ انتقل القرآن بالفرد من صحة العقيدة إلى صحة العبادة فشرع العبادات التي تهذب سلوك الفرد، وتربطه بربه في كل شأن من شؤونه ومنها: الصلاة والزكاة والصيام والزواج وغير ذلك من الشرائع.

وكذلك التربية بتهذيب السلوك: وبعد تنقية القلب من أدران الشرك وغرس العقيدة الصحيحة وتوثيق الصلة بين العبد وربه، رسم بحكمة العلاقة بين العباد وجعلها تقوم بالمحبة والمودة، ونهى عن كل ما يؤدي إلى ضعفها أو وهنها، ونرى معالم هذه التربية في صور منها: تزكية النفس، وتوثيق أواصر الصلة بين العباد والنهي عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف: قال تعالى: "يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

<sup>١</sup> منبر علماء اليمن – الشيخ صالح بن يحيى صواب – علوم سورة المجادلة. [http://olamaa-yemen.net/main/articles.aspx?article\\_no=11985](http://olamaa-yemen.net/main/articles.aspx?article_no=11985)

تَفَرَّقُوا<sup>ع</sup> وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ  
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا" [آل عمران: ١٠٣].

وبهذا يكتمل بناء الفرد ويصبح لبنة صالحة لبناء أسرة صالحة، قائمة على أسس  
ثابتة وقواعد راسخة.

بناء الأسرة، بالزواج: وهو الطريق الصحيح إلى بناء الأسرة، والأرض الصلبة  
التي يقوم عليها البناء، ولأهمية هذا الأمر وضرورته وحتى يجد الناس كلهم الدافع  
القوي لذلك جعل غريزة الجنس من أقوى الدوافع لسلوكه فهذبها بالزواج وحفظها  
بالآداب "وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا  
[النساء: ٢١]"

وقد قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا  
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [الروم: ٢١].

و بين ما للزوج على زوجته من حقوق وما للزوجة على زوجها من حقوق.

فإذا أدى الزوج حق زوجته وأدت الزوجة حق زوجها وأدى الابن حقوق والديه  
وأدى الآباء حقوق الأبناء أصبحت الأسرة متماسكة مترابطة تصلح لبناء مجتمع  
قوي<sup>١</sup>. ونبذ الظلم بينهم، وقطع كل حبال الطغيان والجور فيما بينهم.

ثم تأخذنا هذه السورة المباركة إلى معية الله تعالى لخلقه معية كاملة ودائمة وذلك  
من قيوميته بعباده وشؤونهم.

فهو تعالى مع المؤمنين في أدق شؤون حياتهم، فهو يدبرهم في أصغر الأمور  
وأعظمها إذ اهتم بشأن تلك الأسرة الصغيرة وأنزل حكما منصفا لها وللأئمة كافة من  
بعدها، فهي درس في وجوب التوكل على الله حق التوكل مع الأخذ بالأسباب الكاملة

<sup>١</sup> دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي ص ٣٠٧.

فإن ذلك من صفات المؤمن الحق، ونتيجة ذلك سيكون الجزاء موفورا، والطلب مجابا من رب العالمين.

فسماعه عزوجل لم يكن مجرد سماع للصوت والنداء بل هو سماع إجابة وتحقيق للمطلوب وذلك لحسن التوكل وقوة اليقين.

وإلغاء وتحريم كل عادات الجاهلية الظالمة المضلة، وإبدال الناس بعوض خيرا منها من ربهم الرحمن الرحيم وذلك بأحكام عادلة لجميع المؤمنين، فكانت درسا لتعليم رجال الأئمة ونسائها، ووجوب الذود عن مصالحهم وطلب العدل في حقهم والسعي الحثيث للحصول عليه.

إن من نهج الشريعة الإسلامية التخلية قبل التحلية، فها هي بينت حكم الظهار ثم بينت كفارته، إذ ورد في هذه السورة حكم الظهار وكفارته تفصيلا، إذ تجب المحافظة على الحدود التي فرضها الشارع وأن من تعداها فقد ذهب لحد الكفر والعصيان "وَمَا

جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْفَى تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ" [الأحزاب: ٣]

كما ذكرت حكم النجوى كافة والاستثناءات الواردة فيها: "لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ<sup>ط</sup>

وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ<sup>ط</sup>" [الأنبياء: ٣].

ومن كمال رحمته بهم وتمام رأفته على عباده المؤمنين، علمهم مراعاة حسن الأدب بينهم، فيما كان من أمور العادة دون أحكام العبادة كالتفصح في المجالس والنظام في حال الزحام والكثرة. وأعزز بأقوام أمرهم بدقائق الأشياء بعد قيامهم بأصول الدين وتحققهم بأركانه<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> لطائف الإشارات للقشيري لطائف الإشارات، تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى سنة (٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة ج٣ ص٥٥٣.

إذ أن أحدا لا يعادي الله ولكن من عادى أولياء الله عادى فقد عاد الله تعالى<sup>١</sup>.  
أيضا تقديم الصدقة قبل التناجي مع رسول الله ﷺ ، ولما كان الإذن في النجوى  
مقرونا ببذل المال امتنعوا وتركوا، وبذلك تظهر جواهر الأخلاق ونقاوة الرجال<sup>٢</sup>.  
ونسخ ذلك الحكم بتلك الآية.

كذلك كان في السورة عرض طريقة التعامل مع المنافقين وكشف نواياهم، إذ  
أن المنافقين واليهود وكل من كفر بالله واتبع الشيطان فهو من حزب الشيطان وجنوده  
وأشياعه.

و في المقابل فإن المحاد لهؤلاء هم حزب الله وأوليائه وخاصته.

و أن من الثوابت هذا الكون أن الغلبة لا تكون إلا الله وحزبه مهما طالت  
الأزمان. قال تعالى " وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ  
الْغَلْبُونَ " [المائدة: ٥٦].

<sup>١</sup> بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة (٣٧٣هـ) [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، المكتبة الشاملة الاصدار الأول ج٣ ص٤١٥  
<sup>٢</sup> لطائف الأشارات للقسيري ج٣ ص٥٥٣.

### المبحث الثالث: تاريخ نزول سورة المجادلة، والجو العام الذي نزلت فيه.

لقد عاشت الجزيرة قبل مبعث النبي ﷺ في جاهلية جهلاء، وعصبية مقيئة، وقتل وسفك للدماء، وانتهاك للحريات، مما أشاع التعبد لغير الله، والتعلق بالأصنام والأشجار والأحجار، ومع ما يعيشه الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من استبداد وظلم للحقوق، ونشر للرذيلة حتى سمي ذلك المجتمع بالمجتمع الجاهلي.

فهياً الله تبارك وتعالى بقدرته وحكمته، وما سبق في علمه، مبعث النبي الأمي العربي محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي الذي جاء بالنور المبين، فهدى الله به من الجهالة، وأنقذ به من الضلالة، فبدأ بصيص النور يشع من مهبط الوحي مكة المكرمة ، ثم ينتقل إلى مهاجر النبي الكريم ﷺ ، بعد أن قذف الله الايمان في قلوب فتية آمنوا بالله وحده، وعبدوه ونذروا أنفسهم لتبليغ دين ربهم، ونصرة نبيهم ﷺ فكتب الله على أيديهم زرع نواة الإسلام الأولى في يثرب التي هي جزء من الجزيرة العربية وقد أصابها ما أصاب الجزيرة العربية إلا أنها تفضل عنها بدين اليهودية المحرف الذي وفد إليها، وزرع بين أهلها وسكانها التناحر، والتباغض.

ولكن بمقدم نبي الهدى والرحمة الذي فرح بمقدمه مؤمنوها فقابلوه بالفرح والاستبشار، أزاح الله عنهم التناحر والتباغض بدخولهم في الإسلام واستجابتهم لدعوته ﷺ فأصبحوا بنعمته إخوانا ودعاة إلى الحق ونصرته كما أصبحوا أعوانا له.

ومحا ما كان يسيطر عليهم من عادات الجاهلية وظلمها القاهر للعباد وسلب للحقوق. فأعادت العدالة للناس حقوقهم.

وفي المقابل وجد النبي ﷺ أصنافاً أخرى من البشر أظهرت الإسلام وأبطنت الكفر، واشتدت عداوتها للنبي ﷺ وللإسلام وسعيهم في نشر الفرقة والتخذييل بين

الصفوف وقد برز في أكثر من واقعة، وصنف آخر هم اليهود؛ أهل الحقد الدفين على الإسلام وأهله.

ولعل فيما سبق وصف موجز للجو الذي نزلت فيه سورة المجادلة، ووصف للحال في تلك الحقبة من الزمن.

فقد عالجت سورة المجادلة عدة قضايا في الواقع كانت بحاجة للمعالجة والفصل فيها من المنهج الرباني الذي يتلهم الناس لمعرفته والعمل به لتنهأ حياتهم ويرضى عنهم ربهم.

وهي السورة المائة وثلاث في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة المنافقين/ وقبل سورة التحريم. والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل سورة الأحزاب لأن الله تعالى قال في سورة الأحزاب [4]: "وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ أَلْتَى تُظَهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ"، وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في سورة المجادلة لأن قوله:

"مَا جَعَلَ" يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة. وإنما أبطل بآية سورة المجادلة.

وقال السخاوي كما نقل عنه الإمام ابن عاشور: نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين وقبل سورة الحجرات.<sup>١</sup>

والذي ذكر في البرهان أنها بعد المنافقين وتليها الحجرات<sup>٢</sup>، مثلما ذكره السخاوي، وكذلك وافق الإمام ابن عاشور في نزولها بعد المنافقين. والله تعالى أعلم.

<sup>١</sup> ينظر التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٦  
<sup>٢</sup> البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ١٤٠

أخرج ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المجادلة بالمدينة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. والله أعلم<sup>١</sup>.

ولقد ارتبط نزول هذه السورة، بحادثة عظيمة في تاريخ المسلمين، وكان لها صداها الواسع، وكانت هذه الحادثة دليل على صدق رسول الله ﷺ فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ منجما في ثلاث وعشرين عاما، وهي المدة الكاملة التي قضاها النبي ﷺ في هذه الدنيا بعد تشريفه بالرسالة في سن الأربعين، وانقسمت هذه الفترة إلى مرحلتين هامتين في تاريخ الدعوة الإسلامية: هما الدعوة في الفترة المكية، والدعوة في الفترة المدنية. وكان القرآن ينزل على طوال هاتين الفترتين. و بحسب زمن النزول انقسمت سور القرآن الكريم وآياته إلى ما يسمى بالمكي والمدني.

يقول سيد قطب: " في هذه السورة وفي هذا الجزء كله تقريبا مع أحداث السيرة في مجتمع المدني. مع الجماعة المسلمة الناشئة، حيث تربي وتقوم، وتعدده للنهوض بدورها العالمي، بل بدورها الكوني، الذي قدره الله لها في دورة هذا الكون ومقدراته . وهو دور ضخم يبدأ من إنشاء تصور جديد كامل شامل لهذه الحياة في نفوس هذه الجماعة، وإقامة حياة واقعية على أساس هذا التصور كذلك. وهو دور ضخم، إذ يقتضي إعدادا كاملا ولقد كان أولئك الذين يعدهم الله عز و جل لهذا الدور الضخم، ناسا من الناس، منهم السابقون من المهاجرين والأنصار الذين نضج إيمانهم واكتمل تصورهم للعقيدة الجديدة، وخلصت نفوسهم لها، ووصلوا إلى حقيقة وجودهم وحقيقة هذا الوجود الكبير"<sup>٢</sup>.

ويذكر الإمام السعدي: " فقد نزلت هذه الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله وجادلته إلى رسول الله ﷺ لما حرمها على نفسه، بعد الصحبة

<sup>١</sup> الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، ج٨/ص٦٩.

<sup>٢</sup> ينظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦/ص٤٣٥.



الطويلة، والأولاد، وكان هو شيخا كبيرا فشكت حالها وحاله إلى الله والرسول ﷺ وكررت ذلك وأبدت وأعدت فيه "¹.

كما نشهد جانبا من الصراع الطويل بين الإسلام وخصومه المختلفين من مشركين، ويهود، ومناققين².

فالسورة نزلت على المجتمع المدني الذي كان يفتقر إلى قواعد وأسس للتعامل مع كافة الفئات والعقول المتعايشة معا.

كما ذكر الإمام أبو بكر الجزائري : "أنه في هذه الأيام التي نزلت فيها هذه السورة المباركة كان النفاق بالغا أشده، وكان اليهود كذلك كثر، ومنتحزين ضد الإسلام وأهله وذلك قبل إجلائهم من المدينة ففي هذه الآيات يحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معا ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنون فيقول تعالى: "أَلَمْ تَرَ" أي تنظر يا رسولنا إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود تولاهم المنافقون، ولاية نصرة وتحزب ضد الرسول والمؤمنون"³. وذلك يدل أن السورة المجادلة نزلت قبل عام الجلاء، وهو الظاهر. والله تعالى أعلم.

إذن لقد كان جو من الضغينة والعدوان والكراهية، والتعاون، والتضافر على المعصية والعداء للرسول ﷺ وللمؤمنين، والعمل على هدم هذا الدين والحد من انتشاره، ومقاومته وإضعاف أهله ووهنهم.

¹ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت سنة (١٣٧٦ هـ) قدم له الشيخ عبد الله بن عبد العزيز عقيب، و الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به تحقيقا و مقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مركز الفجر للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٤٤،

² في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥٠٣

³ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير تأليف أبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، الطبعة الأولى الخاصة بالمؤلف طبعة مزيدة و منقحة و مصححة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م. ج٥ ص٢٩٦

## الباب الثاني

### التناسق الموضوعي دراسة تطبيقية

و فيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة، والموضوع الكلي فيها.

ويحتوي على تمهيد، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحديد التي قبلها.

المطلب الثاني: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحشر التي بعدها.

المبحث الثالث: مناسبة اسم السورة لموضوعها.

المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

- الفصل الثاني: الموضوع الكلي للسورة.

- الفصل الثالث: موضوعات السورة وارتباطها

بالموضوع الكلي للسورة.

و يشمل تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته،

والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل

شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع

الكلي للسورة.

**المبحث الثاني:** تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومنها ما هو خاص معه ﷺ . وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل . ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

**الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة. والموضوع الكلي فيها،**

ويشمل تمهيد، وخمسة مباحث:

**المبحث الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.**

**المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: مناسبة السورة لما قبلها سورة الحديد.**

**المطلب الثاني: مناسبة السورة لما بعدها سورة الحشر.**

**المبحث الثالث: مناسبة عنوان السورة لموضوعها.**

**المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمها.**

## المبحث الأول : تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح

### المناسبة لغة:

قال ابن فارس: النون، والسين، والباء، كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب . وهو نسيب فلان. والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض<sup>١</sup>.

وفي لسان العرب: ليس بينهما مناسبة، أي مشكلة<sup>٢</sup>. والمشكلة بمعنى: المماثلة. تقول: هذا أشكل هذا، أي مثله.

فالمناسبة لغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة.

والمناسبة تعريفها عند السيوطي: المناسبة في اللغة المشكلة والمقاربة<sup>٣</sup>.

وعرفها الزركشي: وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة ومنه المناسبة في العلة في باب القياس، الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول<sup>٤</sup>.

### المناسبة في الاصطلاح:

المناسبة علم تعرف منه علل ترتيب بين أجزاء القرآن وهي سير البلاغة في أدائه، وتحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٥ ص٤٢٤-٤٢٣

<sup>٢</sup> لسان العرب لابن منظور ج٤ ص١١٩

<sup>٣</sup> الأتقان في علوم القرآن للسيوطي ص٦٩٥

<sup>٤</sup> البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٤١

<sup>٥</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١ ص٥

وقيل: هي الرابط بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وبعدها<sup>١</sup>.

ومرجعها في الآيات ونحوها معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلّة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه. وفائدته أن يجعل أجزاء الكلام بعضها أخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، فنقول: ذكر الآية بعد الأخرى: إما أن يكون ظاهر الارتباط، لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البديل، وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما أن لا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> مباحث في التفسير الموضوعي بقلم أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم دمشق، الطبعة السادسة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٥٨.

<sup>٢</sup> الإتقان في علوم القرآن السيوطي ص٦٩٥.

المبحث الثاني: مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحديد التي قبلها.

قال الإمام جلال الدين السيوطي: إذ اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ثم يخفى تارة، ويظهر أخرى<sup>١</sup>.

فلا يخفى على لبيب ومتأمل لكتاب الله عز وجل أن القرآن كعقد فريد النظم، بعضه يكمل بعضه و يجانسه، ويفسر بعضه بعضا، وكل سورة فيه تكمل السورة التي قبلها أو التي بعدها، موضحة لبعضها بعضا، وهي جزء لا يتجزأ من كتاب الله العظيم لا يمكن فصلها أو إفرادها دون غيرها بمعنى مستقل بها فكل سور القرآن تفسر بعضها بعضا.

ومن ذلك الصرح العظيم الارتباط الوثيق لسورة المجادلة بباقي السور. بما قبلها من سورة الحديد ارتباطا وثيقا غليظا لا يخفى على لبيب متأمل لكتاب الله عز وجل في تلك السورتين.

فقد عنيت سورة الحديد بالتشريع والتربية والتوجيه، وبناء المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية، والخلق الكريم، والتشريع الحكيم، وإلى جانب ذلك عالجت الموضوعات الآتية:

الأول: الإيمان وآثاره.

الثاني: الدعوة إلى خشية الله.

الثالث: وحدة الرسالات السماوية<sup>٢</sup>.

وكذلك أوضحت عظيم سعة ملك الله عز وجل، واتجاه الإنسان اتجاهها كاملا لمولاه. وكذلك تطرقت إلى حال المنافقين يوم الحشر وعذابهم.

<sup>١</sup> أسرار ترتيب سور القرآن تأليف جلال الدين السيوطي، تحقيق رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية صيدا - بيروت ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص٤١

<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج٨/ص٣.

ثم جاءت سورة المجادلة بعد ذلك لتبين عظيم قدرة الله تعالى، وسمعه وبصره الذي وسع جميع ملكه العظيم الذي ذكره في سورة الحديد، آية (٤) ومن ثم أعطى نموذجا للإيمان الكامل والاتجاه المطلق لرب الناس ومولاهم، وبيان فضله على عباده الذين اختصهم وكان ذلك في حادثة المجادلة وما وقع لها.

ومن المناسبة في ذلك أيضا ما ذكره الإمام البقاعي: "أنه لما ختمت سورة الحديد بعد إثبات عجز الخلق ببيان عظيم فضله سبحانه على خلقه، من آية (١-٦) كان سماع أصوات جميع المخلوقات من غير أن يشغله صوت عن صوت، وكلام عن كلام، من ذلك الفضل العظيم".<sup>١</sup>

وذكرت أيضا صفات المنافقين وأعمالهم وخبث سرائرهم التي استحقوا بها العذاب الذي ذكر في سورة الحديد.

وصفات المؤمنين وعقيدتهم الخالصة النقية الطاهرة الموحدة بالله، والتي أزالنا من نفوسهم وقلوبهم كل أحد سوى الله، فأنارت تلك القلوب، فاستحقوا عليها النور في الآخرة والرضا.

وهو جزاؤهم المذكور، والذي بشروا به في سورة الحديد: "يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [الحديد: ١٢].

فإذا كانت سورة الحديد حققت بالمعاني الإيجابية للهداية، فإن سورة المجادلة تحرر من المعاني السلبية التي تحول دون الهداية.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٧٤

<sup>٢</sup> يرجع إلى الأساس في التفسير لسعيد حوى ج ١٠ ص ٥٧٧٩



ذكر الإمام السيوطي: لما كان مطلع الحديد ذكر صفاته الجليلة ومنها الظاهر والباطن، وقال: "يَعْلَمُ مَا يَلْبُجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ كُنْتُمْ مَا" [الحديد: ٤].

افتتح هذه بذكر أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه ﷺ . ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها حين نزلت: (سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، إني لفي ناحية من البيت لا أعرف ما تقول). وذكر بعد ذلك قوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ". وهو تفصيل لقوله: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ" [الحديد: ٤] ، وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين

الحديد والحشر، مع تأخيها في الافتتاح بـ "سَبَّحَ". وقال الإمام الألوسي: وجه مناسبتها لما قبلها أن الأولى ختمت بفضل الله تعالى وافتتحت هذه بما هو من ذلك، وقال بعض الأجلة في ذلك: لما كان في مطلع الأولى ذكر صفاته تعالى الجليلة، ومنها الظاهر والباطن، وقال سبحانه: "يَعْلَمُ مَا يَلْبُجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا

تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ" [الحديد: ٤]

افتتح هذه بذكر أنه جل وعلا سمع قول المجادلة التي شكت إليه تعالى، ولهذا قالت عائشة فيما رواه النسائي وابن ماجه والبخاري تعليقا حين نزلت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله تعالى: "قَدْ سَمِعَ" [المجادلة: ١] «إخ<sup>١</sup>، وذكر سبحانه بعد

ذلك: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى

ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ" الآية، وهي تفصيل لإجمال قوله تعالى: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا

<sup>١</sup> أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطي ص ٩٩

<sup>٢</sup> سبق تخريجه ص ٧٩

كُنْتُمْ "وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر مع توأخيهما في الافتتاح - بسبح - إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتأمل<sup>١</sup>.

ومن العلماء اللذين أشاروا إلى ذلك أيضا صاحب تفسير المراغي فقال: مناسبتها لما قبلها من وجهين:

- ١- أن الأولى ختمت بفضل الله وافتتحت هذه بما هو من هذا الوادي.
  - ٢- أنه ذكر في مطلع الأولى صفاته الجليلة ومنها: الظاهر، والباطن وذكر في مطلع هذه أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه تعالى<sup>٢</sup>.
- و من التكامل الملحوظ بين سورتي المجادلة والحديد: في سورة الحديد يأتي قوله تعالى:

"ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ"، "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ"، وقوله تعالى: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ". وفي سورة المجادلة يأتي قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا". وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ءَأُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ". إنهما سورتان تتعانقان وتتكاملان، ولا غرابة فيهما، مجموعة واحدة، فسورة الحديد تأمر بالإيمان بالله ورسوله، وسورة المجادلة تتحدث عن محاربة الله ورسوله.

قال سعيد حوى رحمه الله: فالسورتان تفصلان في صفات الفريقين المتقابلين: المتقين والفاستقين لتحقيقا في التقوى، وتحررا من الفسوق، وكما تفصلان في صفات الفريقين من ناحية فإنهما تتكاملان كمجموعة واحدة ضمن قسم واحد، كل مجموعة تؤدي دورها في تكميل أختها داخل القسم، ليؤدي القسم كله دورا متكاملا في البناء المكمل للأقسام الأخرى، فإذا عرفت هذا كله، وعلمت بعد ذلك أن هذا القرآن نزل

<sup>١</sup> انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج ٤ ص ١٩٧  
<sup>٢</sup> ينظر تفسير المراغي لصاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلامية و اللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا، خرج أحاديثه بأسل منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ج ٢٨ ص ١.

منجما خلال ثلاث وعشرين سنة تقريبا حسب الحوادث والنوازل، أو حسب التدرج في بناء أمة جديدة بما يقتضيه وضع بنائها شيئا فشيئا حتى اكتمل ترتيب القرآن بترتيب الله على صيغته الحالية، وكان في هذه الصيغة مثل هذا الترتيب العجيب البديع، الذي يحقق مقاصد جمّة، والذي نرى فيه الإجمال، والتفصيل، والوحدة الجزئية، والوحدة الكلية، والسياق الخاص للسورة، ومحلها في السياق القرآني العام، أن هذا القرآن جل أن يكون بشري المصدر<sup>١</sup>.

قال أبو جعفر: لما نزه سبحانه نفسه عن مقول الملحدين وأعلم أن العالم بأسره ينزهه عن ذلك بالسنة أحوالهم لشهادة العوالم على أنفسها بافتقارها لحكيم أوجدها لا يمكن أن يشبه شيئا منها بل يتنزه عن أوصافها ويتقدس عن سماتها فقال: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" [الحديد: ١] ومضت أي تعرف بعظيم سلطانه

وعلي ملكه، ثم انصرف الخطاب إلى عبادته في قوله: "ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" "

[الحديد: ٧] إلى ما بعد ذلك من الآي، وكان ذلك ضرب من الالتفات الواقع منه هنا

أشبه شيء بقوله سبحانه في سورة البقرة " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ " [البقرة: ٣٠]

فإنه بعد تفصيل حال المتقين وحال من جعل في طرف منهم، وحال من تشبه بظاهره بالمتقين وهو معدود في شرار الكافرين، فلما تم هذا النمط عدل بعده إلى دعاء الخلق

إلى عبادة الله وتوحيده "يَتَّيِبُهَا لِّلنَّاسِ ۖ يَعْبُدُوا رَبَّكُمُ" [البقرة: ٢١] ثم عدل بالكلام

جملة وصرف الخطاب إلى تعريف نبيه عليه الصلاة والسلام ببدء الخلق "وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ ۖ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" [البقرة: ٣٠] فجاء ضربا من الالتفات

<sup>١</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى ج ١٠ ص ٥٧٧٨-٥٧٨٠

فكذا الواقع هنا؛ إذ بين سبحانه حال مشركي العرب وقبح عنادهم وقرعهم ووبخهم في عدة سور، غالب أيها جار على ذلك ومجرد له، أولها سورة (ص)، كما نبه عليه في سورة القمر، وإلى الغاية التي ذكرت فيها إلى أن وردت سورة القمر منبئة بقطع دابرهم، وانجر فيها الإغذار المنبه عليه، وكذا في سورة الرحمن بعدها.

ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال النزول الأخرى في سورة الواقعة مع زيادة تقرير وتوبيخ على مرتكبات استدعت تسبيحه تعالى وتقديسه عن شنيع افتراءهم، فأتبعت بسورة الحديد ثم صرف فيها الخطاب إلى المؤمنين، واستمر ذلك إلى آخر السورة، وجرت سورة المجادلة على هذا القصد مصروفا خطابها إلى نازلة يتشوف المؤمنون إلى تعرف حكمها وهو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعدل بالكلام بعد كما كان قد صرف إليه في قوله: "ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" [الحديد: ٧] بأكثر من التعرض لبيان حكم يقع منهم.

ثم إن السور الواردة بعد إلى آخر الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء ما قصد في التعريف بأخبار القرون السالفة والأمم الماضية، وتقرير من عاند وتوبيخه، وذكر مآل الخلق واستقرارهم الأخرى، وذكر تفاصيل التكاليف والجزاء عليها من الثواب والعقاب، وما به استقامة من استجاب وآمن وما يجب أن يلتزمه على درجات التكاليف وتأكيدها، فلما كمل ذلك صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين في أحكامهم وتعريفهم بما فيه خلاصهم ومعظم أي السورة بعد هذا شأنها، وإن انجر غيرها فلاستدعاء وموجب وهو الأقل كما بينا<sup>١</sup>.

**المطلب الثاني: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحشر التي بعدها.**

<sup>١</sup> البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر المتوفى سنة (٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٣٣٠-٣٣١.

لما ختمت سورة المجادلة بغلبة الله ورسله وحزبهما، ضد الشيطان وأوليائه وحزبه، ذكر في سورة الحشر تأكيد ذلك بغلبته وقهره لبني النضير وحشرهم، وقبل ذلك بدأت السورة بتسبيح الله وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته.

فما كانت سورة الحشر إلا لتوضح وتبين للمنافقين الذين أصابهم الغرور والكبر، وشدوا ساعدهم باليهود، وقوا نفوذهم بعلاقتهم بهؤلاء المغضوبين، إلا لتوضح لهم مآل اليهود أنصارهم الذين ألقوا إليهم المودة. فهي بيان للمنافقين وإنذار أيضا بأنهم إن لم يعودوا لطريق الحق والصواب فإن مآلهم سيكون كمال أعوانهم وأنصارهم من اليهود.

ولما كانت سورة المجادلة في عمومها تتحدث عن علم الله التام والمطلق بالكون وبجميع خلقه، بدأت سورة الحشر بـ: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [الحشر: ١] بتسبيح الله عز وجل وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته وهو أهل لذلك.

قال الإمام البقاعي: بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص بإثبات القدرة الشاملة بدليل شهودي على أنه يغلب هو ورسله، ومن حاده في الأدلين، لأنه قوي وعزيز، المستلزمة للعلم التام المستلزم للحكمة البالغة – للحشر المظهر للفلاح المفلاح وخسار الخاسر على وجه الثبات الكاشف أتم الكشف لجميع صفات الكمال<sup>١</sup>.

ومما اشتركت به السورتان المباركتان هو الاشتراك في ذكر أسماء الله الحسنى، فقد ذكرت سورة المجادلة لفظ الجلالة في كل آية من آياتها مرة أو أكثر، فكذلك ذكرت سورة الحشر الكثير من أسماء الله الحسنى كما لم يكن في غيرها من السور.

<sup>١</sup> انظر نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٥٠٩

فكانت موجبة للدعوة للتقوى والخشوع بالتدبر في آيات السورتين إذ ما ذكر من لفظ الجلالة بين في سورة الحشر بأنه هو:

" ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ  
﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ  
الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ " . [الحشر: ٢١-٢٢-٢٣-٢٤]

### المبحث الثالث: مناسبة عنوان السورة لموضوعها

ترتبط سور القرآن الكريم بأسماء خاصة بها، مما ينبغي الإشارة إليه أن كل سورة من سور القرآن الكريم، لها اختصاص بما سميت به، كما هو عادة العرب في كثير من المسميات، حيث تأخذ أسماءها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، كما أنهم يسمون الجملة من الكلام، أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن الكريم<sup>١</sup>.

وقد طعن المستشرقون في قضية التسمية للسور حيث قالوا: بأن عنوان السورة غالبا لا يدل على محتويات السورة<sup>٢</sup>. والجواب على ذلك: أن العنوان لا يدل دائما على محتويات السورة، فهو بحاجة إلى بيان، فبعض العلماء يعتبر أسماء السور توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها، ولا يمنع أن يكون هناك أسماء توقيفية -الأسماء التوقيفية هي التي سماها به الرسول ﷺ أما الأسماء التي استنبطها العلماء فهي أسماء اجتهادية- استنبطها العلماء من موضوع السورة كتسمية سورة (النحل) بسورة النعم، وذلك لما فيها من ذكر نعم الله الكثيرة على الناس، وكذلك سورة (الحجرات) بسورة

<sup>١</sup> يرجع إلى الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ١٤١ البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ١٩٠

<sup>٢</sup> قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية "نقد مطاعن ورد شبهات": د. فضل حسن عباس، دار البشير للنشر و التوزيع: ص ٣٨

(الآداب)، لأنها اشتملت في معظمها على توجيهات وآداب لا بد منها للأفراد والجماعات. .. وإذا كانت عناوين هذه السور لا تدل لأول وهلة على محتويات هذه السور فمما لا ريب فيه أن عنوان السورة إنما يشير إلى قضية بارزة فيها تدور جميع موضوعات السورة حولها... وما يجده بعض الناس من عناوين لبعض السور، لا تدل على موضوعاتها، فإن ذلك يحتاج منهم إلى إمعان نظر وإحالة فكر، فيجدوا هناك نقطة أو قضية أرادت السورة إبرازها والتأكيد عليها، لأنها من الأهمية بمكان، لذا عنونت بها<sup>١</sup>.

فاسم السورة –العنوان- ليس كما يقول المستشرقون لا يدل على محتويات السورة بل كل عنوان أشار إلى موضوعات السورة الظاهرة الدلالة، أو أشار إلى جوانب بارزة في السورة يريد الله سبحانه وتعالى إبرازها وإظهارها<sup>٢</sup>.

وبهذه السورة المباركة – المجادلة - تكذيب لهؤلاء المستشرقون لأن في اسمها تصريح واضح لما حوته من موضوع رئيس.

فقد سميت سورة المجادلة، أو سورة الظهار كما تقدم لأنه ذكر واقعة المجادلة – خولة بنت ثعلبة - وسميت الظهار لأنه ذكر بها الظهار وحكمه وكفارته، ولم يفصل في سورة غير هذه السورة.

لما كانت السورة تتحدث عن علم الله تعالى المطلق واطلاعه الذي وسع كل شيء، كان تعالى عالما بأدق شؤون الحياة. فهذه أسرة صغيرة فقيرة لم يعلم أحد عنها وبحالها إلا ربها عزوجل الذي أنزل قرآنا بحالها إلى يوم القيامة.

فقد جاءت هذه السورة تبين علم الله و قدرته ، و من عظم هذه القدرة أن وسع سمعه الأصوات كلها<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> نقل من آراء المستشرقين حول القرآن الكريم و تفسيره (دراسة و نقد) للدكتور عمر إبراهيم رضوان ج١٢ص٤٨٦

<sup>٢</sup> يرجع إلى قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية "نقد مطاعن و رد شبهات" :د. فضل حسن عباس، دار البشير للنشر و التوزيع:ص١٩-٤١ نقل بتصرف .

فالمجادلة خولة بنت ثعلبة – جادلت بلسانها حين شكت لله ولرسوله ﷺ وجادلت حين ذهبت أولاً للرسول ﷺ ، وأبدت وأعدت في أمرها معه ﷺ فالجِدال في هذه السورة ليس للمرأة المظلومة فحسب، بل هو جدال عن كل حق، والذود عن الخير والدفاع عنه، فهو تحريض للمؤمنين لكي يجادلوا ويدافعوا عن حقوقهم.

و نقل الإمام القاسمي في تفسيره: وسميت بها، لأنها لما كانت لطلب الحق والصواب، أشبهت مجادلة الأنبياء والقرآن، ولذلك سمع الله لصاحبها -قاله المهامي<sup>٢</sup>.

ذكر الفيروز آبادي أنها سميت سورة المجادلة، لقوله: "تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا"<sup>٣</sup>.

فهناك ارتباط وثيق بين المعاني والأغراض المختلفة التي تتعرض لها آيات السورة وبين اسم السورة الذي يحتوي على الهدف العام منها. فسورة المجادلة بينت الجدل عن الحق والسعي له ولو بعد حين أو حتى إذا كان عند من هو أقوى أو غاصب له. فهي سورة الحق والدفاع عنه حيث تكلمت في موضوعها الرئيس عن علم الله عز وجل المطلق وكمال قدرته وحزبه وأهله وخاصته الذين يزودون عن الحق ويدافعون عنه لذلك ذكرت في كل آية من آياتها لفظ الجلالة لتربية المهابة في النفوس وعدم التجرؤ على الحق ولا على مخالفته، لدفع الظلم وترهيب الظالم وطمأنة المظلوم.

إن الموضوع الرئيس في هذه السورة هو علم الله عز وجل ابتداء من قوله

تعالى: " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا " فكان هو الموضوع رئيس آخر

افتتحت به السورة لذلك سميت بها السورة لدلالة علمه عز وجل بالجدال الذي وقع

<sup>١</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج ٨/ص ٣١.

<sup>٢</sup> انظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج ٩/ص ٥٠.

<sup>٣</sup> انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ج ١١/ص ٤٥٦.



بين نبيه ﷺ وخولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، فهي سورة لبيان علم الله عز وجل ولفت النظر لمراقبته سبحانه وتعالى.

وأيضاً الذي يغفل عنه أناس كثيرون، وهو لطف الله عز وجل وإطلاعه على حاجة عباده، الله عز وجل مطلع على حاجتك. إلقاء إلى الله وتوكل عليه، واعلم أن الله عز وجل هو عليم بحالك، وهو سبحانه وتعالى لطيف بك ويسمع شكواك إن اشتكيت إليه عز وجل.

فقد انتهى الظهار في العصر الحديث ولم يعد له وجود بعدما حرمه القرآن في هذه السورة. ولكن من عظمة القرآن وإعجازه وبلاغته أن هذه السورة هي نموذج للتربية وللذود عن الحق والدفاع عنه، والتوكل الكامل على الله عز وجل واللجوء إليه، كما يوحى اسم السورة، ومثلما تدعو آياتها<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> منبر علماء اليمن - الشيخ صالح بن يحيى صواب ، [http://olamaa-yemen.net/main/articles.aspx?article\\_no=11985](http://olamaa-yemen.net/main/articles.aspx?article_no=11985) . نقل بتصريف.

## المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

افتتحت سورة المجادلة بالدفاع عن الحق الذي تمثل بالجدال المصاحب لحسن التوكل على الله عز وجل وكمال الاعتماد عليه، إذ كان رفضاً للظلم والطغيان، فبدأت كما أسلفنا سابقاً بعلمه الواسع وإطلاعه الشامل كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتتاجي النبي ﷺ أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعض كلامها إذ أنزل الله "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا".

ثم ختمت السورة بالتأكيد من الله عز وجل بالنصر لأوليائه، والعزة والغلبة لحزبه فهم المنصورون من مولاهم عز وجل بالنصر، وهو ما حصل مع المجادلة التي توكلت على مولاها فنصرها وأيدها وشرفها أيما شرف مثل ما نصر وشرف حزبه وأوليائه عبيده الطائعون له عز وجل.

إذ لا ينبغي أن يكون في قلب المؤمن سوى ربه عز وجل، وهذا ما أيقنته المجادلة، ومن ثم أيقنته حزب الله عز وجل وأوليائه، وعباده المؤمنون.

فبعلمه وإطلاعه عز وجل على قلوب عباده المؤمنين الذين يوادون الله ورسوله من دون غيرهما من أعداء الله ولو كانوا أقرب الأقربين لهم من بني جلدتهم، وهذا من تمام علمه المطلق. فكان العلم بصغائر الأمور وخفيها هو موجود في أول السورة وكان كذلك في آخرها.

فعندما بدأت السورة ذكرت المجادلة وقصتها فكانت قرآنا يتلى ليوم القيامة وذلك جزاء توكلها على ربها وتفويضها أمرها لصاحب الأمر عز وجل.

قال الإمام البغوي: أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلص<sup>١</sup>. وهي المجادلة، وغيرها، فهو حكم شامل يضم كل من كان من حزب الله.

ومن ثم ختمت السورة بما يناسب فاتحتها وهو الشرف والتفضيل الذي كان حاضرا في ختام السورة في ذكر حزب الله تعالى وأوليائه وخاصته، فأضاف إليهم وسماهم (حزب الله) بل شرفهم بتلك التسمية ورفع شأنهم، وأيدهم بنوره ونصره وروح منه لجميع عباده المؤمنون المتوكلون عليه حق توكله سواء من سماهم في أول السورة أو من لم يسمهم.

وبذلك يكون هناك اجتماع بين فاتحة السورة وخاتمتها في تشريف وتفضيل المؤمنين الخالص إيمانهم، فاستحقوا الغلبة والنصر والتأييد.

و قد علم من الرضى من الجانبين والحزبية والإفلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتأييد، خصهم بذلك لأن العزة والقوة والعلم والحكمة، فلذلك علم أمر المجادلة ورحم شكواها لأنها من حزبه وسمع لها، ومن سمع له واستجاب لطلبه فهو مرضي عنه، وحرمة الظهار بسبب شكواها إكراما لها بحكمته لأنه منابذ للحكمة المشروعة من الزواج لأنه تشبيه خارج عن قاعدة التشبيهات، وفيه امتهان للأمة التي لها في دينه غاية الإكرام بالتسوية بالزوجة التي هي محل الافتراض وخط الحقائق وقلب الموازين، وختم أيها بأن من تعدى حدوده فعاد أحوال الجاهلية فهو مجادله سبحانه فهو من حزب الشيطان، فقد عاد آخرها إلى أولها بأدل دليل على أحسن سبيل، لأن هذا القرآن العظيم أشرف حديث وأقوم قيل وهذا مقصود التي بعدها، ولا شك أنه موجب للتنزيه مبعث عن التشريك والتشبيه، فسبحان من أنزله آية دائما البيان، موجبة للإيمان، قامعة للطغيان، على مدى الدهور وتطاول الأزمان<sup>٢</sup>.

ومن أقوى الروابط بين فاتحة السورة وخاتمتها أنه لما ذكر حزب الله هو الحزب الأبى الكريم الذي لا يقبل الذل والهوان وإضاعة حقه، ولا يرضى بمحبوب

<sup>١</sup> معالم التنزيل للبغوي ج٤ ص٢٨٥

<sup>٢</sup> انظر نظم الدرر في تناسق الآيات و السور للبقاعي ، مع بعض التصرف ، ج١٧ ص٥٠٨

ومعبود غير ربه تعالى، ويخلو قلبه من سواه، وتوكله عليه وحده، كان افنتح السورة  
بنموذج من ذلك الحزب.

## الفصل الثاني: الموضوع الكلي في السورة.

لا يخفى على المتأمل أن لكل سورة من سور القرآن الكريم مزية بموضوعها دون الأخرى، وإن كانت كل واحدة مكملة للأخرى في هذا النظم الرباني العظيم.

فهذه السورة المباركة -سورة المجادلة - حالها كحال مثيلاتها من السور المدنية، إذ جميعهم مشتركون في موضوعاتهم ومعالجتهم.

سورة المجادلة مدنية، وقد تناولت أحكاما تشريعية كثيرة كأحكام الظهار، والكفارة التي تجب على المظاهر، وحكم التناجي، وآداب المجالس، و تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول، وعدم مودة أعداء الله، إلى غير ذلك، كما تحدثت عن المنافقين و عن اليهود<sup>١</sup>.

قال ابن عاشور: اشتملت هذه السورة على أن الحكم في قضية مظاهره أوس بن الصامت من زوجه خولة، وإبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظهر منها زوجها، وأن عملهم مخالف لما أراه الله وأنه من أوهامهم وزورهم التي أمرهم الله بإبطالها. وتخلص كذلك من ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين ليغيظوهم ويحزنوهم. ومنها موالاتهم اليهود وحلفهم على الكذب.

فقد جاءت هذه السورة تبين تمام علم الله وقدرته، ومن عظم هذه القدرة أن وسع سمعه الأصوات كلها<sup>٢</sup>.

قال الإمام برهان الدين البقاعي: الإعلام بإيقاع البأس الشديد، بمن حاد الله ورسوله ﷺ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> صفة التفسير للشيخ الصابوني ج٣ص١٢٩٢

<sup>٢</sup> انظر التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨ص٣١

<sup>٣</sup> انظر نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٧٤

وهي تفصيل لإجمال قوله تعالى: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" [الحديد: ٤]. ومن

ذلك تناسقها ومناسبتها مع سورة الحديد كما ذكر أنفا.

وتخلل ذلك التعرض لأداب مجلس الرسول ﷺ وشرع التصدق قبل مناجاة الرسول ﷺ، والثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين. وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٦

## الفصل الثالث: موضوعات السورة وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

و يشمل تمهيدا ومبحثان:

**المبحث الأول:** المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع الكلي بالسورة.

**المبحث الثاني:** تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومعه ﷺ خاصة. وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل. ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

## تمهيد

تناولت هذه السورة العديد من الأحكام والتشريعات والآداب فكان لها العديد من المحاور، وجميعها يصب في معين واحد وتدور حول محور واحد، وهو معية الله تعالى لخلقه، ووعلمه الواسع لكل شيء، الناتج عن معيته لجميع خلقه وإحاطته الشاملة بهم.

وهاهي تبرز مرة أخرى شمس التلاحم والتناسق بين آيات السورة المباركة، ووحدة آياتها مع بعضها البعض.

إذ تدور جميع محاورها حول هذا المحور والعامود الرئيس الذي تقوم عليه السورة، فتكون بناء منظما متلاحما يكمل بعضه بعضا.

و هذه الموضوعات مترابطة متناسقة لا تقبل التجزئة، وهذا يدل على قوة البلاغة والفصاحة التي امتاز بها القرآن الكريم وكانت عنوانا لها، إذا هذا هو القرآن الكريم الذي لا يعلوه أي كلام فهو كلام الخالق عز وجل. متناسقا يستحيل على كائن من كان أن يأتي بمثله أو سورة أو آية من مثله في بلاغته أو عظمته أو نظمه العظيم. قال تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ<sup>ط</sup> قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورِ مَثَلِهِ مُفْتَرِيَةٍ وَاَدْعُوا مِن

أَسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَحْيَبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ

بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ " [هود: ١٣-١٤].

ولقد أحسن الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم حيث قال: "أعمد سورة من تلك السور التي تناولت أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن الكريم فهي جمهرته وتنقل بفكرك معها مرحلة مرحلة ثم ارجع البصر كرتين كيف بدأت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟



وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها، ووطأت أولها لأخرها ؟ وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به، أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد، أم في نجوم شتى" <sup>١</sup>.

وهذه الموضوعات والأحكام التي تناولتها سورة المجادلة تناولتها سور أخرى بإيجاز أو إسهاب، فكانوا مشتركين في معالجة الأحكام ذاتها.

حيث ذكرت سورة الأحزاب حكم الظهار بإيجاز، وسورة المنافقين حكمت عن المنافقين وعذابهم، وسورة التوبة تناولت عقيدة الولاء والبراء بإسهاب. وكذلك سورة المائدة من تشابه بينها وبين سورة المجادلة في عدة اشتراكات بينهما.

وهنا أناقش كل موضوع ورابط في المباحث التالية إن شاء الله :

---

<sup>١</sup> النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ) اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية

قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع . ص ١٥٤

**المبحث الأول:** المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته،  
والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل  
شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠)، وارتباطها بالموضوع  
الكلي للسورة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ  
تَخَاوُرُكُمْ<sup>١</sup> إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ  
أُمَّهَاتُهُمْ<sup>٢</sup> إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ<sup>٣</sup> وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا<sup>٤</sup>  
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ  
رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا<sup>٥</sup> ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ<sup>٦</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ  
لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا<sup>٧</sup> فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ  
مِسْكِينًا<sup>٨</sup> ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>٩</sup> وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ<sup>١٠</sup> وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ  
بَيِّنَاتٍ<sup>١١</sup> وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا<sup>١٢</sup>  
أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ<sup>١٣</sup> وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ<sup>١٤</sup> مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ  
سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا<sup>١٥</sup> ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا  
عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>١٦</sup> إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ  
يَعُودُونَ لِمَا هُؤَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ

حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ تُحْيِكْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

ابتدأت السورة الكريمة ببيان قصة المجادلة خولة بنت ثعلبة، التي ظاهر منها زوجها على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار – وقد جاءت تلك المرأة المظلومة تشكو ظلم زوجها للنبي ﷺ .

قال الإمام ابن عاشور: افتتحت آيات أحكام الظهار بذكر سبب نزولها تنويها بالمرأة التي وجهت شكواها إلى الله تعالى بأنها لم تتوانى في طلب العدل في حقها وحق بنيتها، ولم ترض بعمل زوجها وابتداره إلى ما ينثر عقد عائلتها دون تبصر ولا روية، وتعلما لنساء الأمة ورجالها واجب الذود عن مصالحهم<sup>١</sup>. وكررت ذلك وأبدت فيه وأعدت<sup>٢</sup>.

و تأتي هنا إجابة الله لأوليائه بتفريج كربهم بقضاء حوائجهم، فله الحمد والشكر الرحمن الرحيم بعباده، وهذا من عظيم علمه، وتمام إحاطته بخلقه وعلمه بأحوالهم.

وفي الآية دلالة على أن من انقطع رجأؤه عن الخلق كفاه الله همه<sup>٣</sup>. وذلك لا يكون إلا لمن تعلق قلبه برب معه اينما ذهب وكان محيطا به عالما بحاله.

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٦٦

<sup>٢</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٤٤٤

<sup>٣</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان تأليف العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري المتوفى سنة (٧٢٨هـ) ضبط و خرج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان. ج٦ ص٢٦٧

قال الإمام السعدي: وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره وإحاطته بالأمر الدقيقة والجليلة<sup>١</sup>.

ومن ذلك أن الله عالم بكل صوت وبكل مرئي. ومن ذلك محاوراة المجادلة ووقوعها عند النبي ﷺ. وتكرير اسم الجلالة في موضع إضماره ثلاث مرات لتربية المهابة وإشارة إلى تعظيم منته ودواعي شكره<sup>٢</sup>.

قال الكلبي في التسهيل: "أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، و الزور هو الكذب، وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يجعل امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدا، و الظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء: أحدها قوله: "ماهن أمهاتهم" فإن ذلك تكذيب للمظاهر، والثاني أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله تعالى: "وإن الله لعفو غفور" فإن العفو و المغفرة لا تقع إلا عن ذنب، والذنب مع ذلك لازم للمظاهر، حتى يرفعه بالكفارة"<sup>٣</sup>.

ولما كان الظهار كذلك شرعت كفارته تطهيرا للمؤمنين ورفعهم من حضيض الجاهلية إلى عز الإسلام ورقيه فهو يعلو بأبنائه لسمو الروح والجسد و رقي الأخلاق، فلا يقبل لهم إلا الخير والصلاح وتأديبا لهم على هذا القصد الفاسد والقول الشنيع.

لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجنابة<sup>٤</sup>.

فإنه تعالى هو العالم بحال عباده، وقلوبهم بين يديه علم أن من كفر بهذه الكفارة لم يعد لمثل ذلك الفعل الشنيع وبذلك تحفظ البيوت وتصان الأسر.

لما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٨٤٤

<sup>٢</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج٢٨ ص٩

<sup>٣</sup> التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبي ج٤ ص١٠٢

<sup>٤</sup> تفسير النسفي مدارك التنزيل و حقائق التأويل تأليف الإمام عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة (٧١٠هـ) تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ج٤ ص٣٤٢

ومن حاد الله ورسوله أي يكون في حد، والله ورسوله يكون في حد<sup>٢</sup>. استحق أن يكون بعيدا عن رحمة الله في الذل والهوان لأنه ليس في جانب الله ورسوله ﷺ واختار جانب الشيطان، وخرج من معيته تعالى لعباده المؤمنين. لأن الإنسان إما أن يكون مع الله فيكون الله معه، وإما أن يكون مجانباً لله - والعياذ بالله - فاختر أن يكون في الخزي والعذاب.

وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البينات والبراهين مما يبين الحقائق، ويوضح المقاصد، فمن اتبعها وعمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين<sup>٣</sup>.

فالآيات تنذر بل تفضح كل من تسول له نفسه ألا يتبع شريعة الله ومنهجه، بل كل من يبعد عن طريق الله، وفيها إخبار من علام الغيوب بما سيلحق به من حساب وجزاء.

وكانت الآية إخبار بحال الأمم السابقة بما لحقها نتيجة اختيارها الضال والمهلك لها، وتحذر كل من يوسوس له شيطانه أن يجرأ على هذا الاختيار الممقوت الذي سيجره لهاوية الجحيم، إخبار ممن هو عالم بالكون مطلع عليه لا تخفى عليه خافية سبحانه.

قال الإمام البقاعي: "لما ذكر عذابهم، ذكر وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه وكمال قدرته، أي يكون ذلك في وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار إليهم أحياء كما كانوا"<sup>٤</sup>.

قال الإمام أحمد: ابتدأ الله هذه الآيات بالعلم بقوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ" واختتمها بالعلم بقوله: "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"<sup>١</sup>

<sup>١</sup> المصدر السابق ج١٦ ص٢٣٠

<sup>٢</sup> انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص٥٩٢

<sup>٣</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن للسعدي ص٨٤

<sup>٤</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٨٧

لينبه إلى إحاطة علمه جل وعلا بالجزئيات والكلديات، وأنه لا يغيب عنه شيء في الكائنات، لأنه قد أحاط بكل شيء علما إحاطة علم الله بكل شيء وشهوده لكل شيء وإحصاءه لكل أعمال العباد حال توؤجب مراقبة الله تعالى والخشية منه، والحياء منه أشد الحياء<sup>٢</sup>.

فقد أحاط به كما وكيفا وزمانا ومكانا "وَنَسُوهُ" لكثرتيه أو لقلته اكثراتهم بالمعاصي<sup>٣</sup>. فإن قيل: كيف ينبئهم بذلك على كثرتيه واختلاف أنواعه، فقيل: أحصاه الله جميعا ولم يفته منه شيء. أنهم نسوه ولم يحفظوه، بل وجدوه حاضرا مكتوبا في صحائفهم<sup>٤</sup>.

فهو عالم بالظواهر والسرائر والخبايا والخفايا، ولهذا أخبر عن سعة علمه وإحاطته بما في السموات والأرض من دقيق وجليل<sup>٥</sup>.

وهذا هو المحور الرئيس الذي يتكرر في كل آيات السورة وهو علم الله المطلق.

فهذه الآيات نزلت في تربية المؤمنين روحيا وتهذيبهم أخلاقيا فقال تعالى: "يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا" أي صدقوا الله ورسوله. إذا تناجيتم لأمر استدعى ذلك منكم فلا تتناجوا

بالإثم والعدوان ومعصية الرسول فتكون حالكم كحال اليهود والمنافقين<sup>٦</sup>.

قال الإمام ابن العربي عند قوله تعالى: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ"

[النساء: ١١٤] الآية. إن الله تعالى أمر عباده بأمرين عظيمين: أحدهما: الإخلاص وهو

<sup>١</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٠

<sup>٢</sup> أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥ ص٢٨٧

<sup>٣</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦ ص٢٧٢

<sup>٤</sup> فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٢٣١

<sup>٥</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٤

<sup>٦</sup> أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥ ص٢٩٠

أن يستوي ظاهر المرء وباطنه، والثاني: النصيحة لكتاب الله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم، فالنجوى خلاف هذين الأصلين<sup>١</sup>.

وعلى المؤمنين التوكل على الله أي يعتمدوا عليه ويثقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه، وتول أمر دينه ودنياه<sup>٢</sup>. لأنه سبحانه العالم المطلع على المحسن والمسيء، العالم بخلقه وأحوالهم، وهو رب العالمين لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، المدير لشؤون عباده فمن توكل عليه وجده عنده، وكفاه، وقضى حاجته بما لا يخطر له على بال، وقبل ذلك هو مولاه ومربيه ومؤدبه بجميع الآداب اللازمة له ليحيى حياة كريمة آمنة مستقرة يسودها الألفة والوفاق مع بني جنسه من البشر ويترأسها العدل الذي هو أساس الأمر، إذ لا يطغى فرد على فرد ولا يحق له ذلك وإن كان بأبسط الأمور وأصغرها وليس بأعظمها فقط. نفسياً، أو جسدياً، أو مادياً، أو دينياً، أو ما سوى ذلك مهما قل أو كثر.

---

<sup>١</sup> أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة (٥٤٣هـ)، تحقيق و تخريج عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ج١ ص٥١٣

<sup>٢</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن للسعدي ج٨٤٦

**المبحث الثاني:** تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومعه ﷺ خاصة. وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية والعلاقات الإنسانية وبين الإيمان بالله عز وجل. ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ ۚ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن نُّغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ ۖ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلٰلِينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَلَوْ كَانُوا



ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ  
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

نوه الإمام ابن عاشور بأن هذه الآية: فصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأدب مع الرسول ﷺ ، وتلك المراعاة أولى من مراعاة اتحاد سياق الأحكام<sup>١</sup>.

ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن المجلس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباحة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن، معلما لهم بكمال رحمته وتمايم رأفته بمراعاة حسن الأدب بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة<sup>٢</sup>.

إن التشريعات الإسلامية كلها تنبثق عن الإيمان بالله والرسول ﷺ ، وقبولها علامة الإيمان بالله والرسول والالتزام بها، يعمق الإيمان بالله والرسول. ونعلم جهل الذين يتصورون أن الإسلام عقائد وعبادات فقط فالإسلام عقائد وشعائر وشرائع يجب الإيمان بها جميعا وإلا فهو الكفر<sup>٣</sup>، قاله سعيد بن حوى.

لما كانت آيات المجادلة تحمل بين طياتها التأدب مع الزوجة واحترام رابط الزوجية والحفاظ على العلاقات، والوفاء بالعقود التي يلزم الإنسان بها نفسه في حدود الشريعة فقد روعي في كفارة الظهار التشديد، محافظة على العلاقة الزوجية، ومنعا

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٣٣

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي للبقاعي ج٧ ص٤٩٥

<sup>٣</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠ ص٥٧٨٣-٥٧٨٤

من ظلم المرأة فإن الرجل إذا رأى الكفارة وثقل الوفاء بها، احترم العلاقة الزوجية، وامتنع عن ظلم الزوجة<sup>١</sup>.

فكانت كذلك آيات الآداب والتنظيمات تحريضا وسبيلا للحفاظ على علاقة المؤمنين بعضهم ببعض، والحفاظ على الأخوة فيما بينهم وبعث روح المحبة وتأصيل الأخوة الإيمانية، وذلك بالبعد عن كل ما يثير الغبن والأحقاد أو يدخل وساوس الشيطان ويزرعها، بل إزالة جذور الفتن وسد الذرائع الشيطانية.

قال الإمام الشوكاني: " فهذه الآية من آيات الأخلاق والآداب التي ملأت القرآن الكريم وحرص عليها المولى عز وجل في التعاملات بين المؤمنين خاصة وبين الناس جميعا عامة. فهذا أمر من الله تعالى بحسن الأدب مع بعضهم بعضا بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه<sup>٢</sup>. حيث نهى تعالى عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر حثهم على ما يوجب مزيدا من المحبة والألفة"<sup>٣</sup>.

وأىضا برفع شأن المسلمين المطبقين لحدود الله الملتزمين بما شرع وفرض وأوجب. فإن الله عز وجل إذ يطهر المسلم من أخلاق الفاسقين، فإنه يحققه في الوقت نفسه بأخلاق المؤمنين، فالهدم والبناء، والتخلية والتولية كلها تمشي مع بعضها<sup>٤</sup>.

سواء كان ذلك في مجلس الرسول ﷺ أو في صفوف القتال أو الصلاة فهذا حكم عام في كل مجالس الخير، وذلك فيه رد على المنافقين الذين يحاولون نشر الفرقة والنزاع بين المسلمين، فكانت هذه الآداب معاكسة لسوء أخلاقهم.

فالتوسعة من سمات المسلمين وخصالهم والإيثار هو طبعهم وهو ما حثت عليه هذه الآية الكريمة وأوصت به فإذا وسعت الصدور لبعضهم بعضا والقلوب، وسعت المجالس للقادمين، ولهذا كان جزاء الموسعين لإخوانهم، السعة في الدنيا والآخرة

<sup>١</sup> يرجع إلى فقه السنة تأليف السيد السابق، مكتبة الخدمات الحديثة، ج٢ ص٥٦٤

<sup>٢</sup> فتح القدير للشوكاني ج١٥ ص٢٣٤

<sup>٣</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦ ص٢٧٤

<sup>٤</sup> انظر الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠ ص٥٧٨

فكان الجزاء من جنس العمل. فالمؤمن يمتثل لأوامر ربه، يستجيب له سمعا وطاعة، في كل خير وعبادة، راضيا عنهما، مسلما بحكم الله.

فإن القيام بمثل هذه الأوامر من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم من العلم والإيمان. وفي هذه الآية فضيلة العلم. وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه<sup>١</sup>.

إن من فتح الله عليه بالعلم النافع لا يقدم على منكر الأقوال والأفعال، وإن كان ولا بد من خطأ أقدم عليه فإنه سريع التوب والإنابة لربه فلا مصّر ولا معاند.

فلما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباحة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن<sup>٢</sup>.

والأولى منه تباعد الأزواج بالباطل - الظهار - الذي هو لبنة المجتمع، فالتواصل، والمقاربة بين الأزواج هي الأولى، لذلك فتحت بها السورة.

ولذلك كان الجزاء من جنس العمل، فكما كان سماع المجادلة سماع إجابة. قال الإمام البغوي: سمع لما تناجيه وتتضرع إليه بصير بمن يشكو إليه<sup>٣</sup>. كان كذلك الجزاء من جنس العمل مع كل من تأدب بالآداب التي علمه إياها ربه، وقبل ذلك حفظ حدود دينه. "دَرَجَتٍ<sup>ع</sup>" عالية بما جمعوا من أثرتي العلم والعمل فإن العلم والعمل

مع علو رتبته يقتضيتي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه

<sup>١</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٨٤٦.

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج ١٧ ص ٤٩٥

<sup>٣</sup> معالم التنزيل و حقائق التأويل للبغوي ج ٤ ص ٢٧٧

وإن كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدي بالعالم في أفعاله ولا يفتدى بغيره<sup>١</sup>. وقد قال الإمام ابن كثير: إن الجزاء من جنس العمل<sup>٢</sup>.

لما كان تعالى هو العالم بنفوس عباده، وخبايا تلك النفوس، مطلع على سرهم وجهرهم كان عالماً بكل أحوالهم ومن كان بين تلك الأحوال مناجاتهم للرسول ﷺ ، وهذا نوع خاص من المناجاة، فهو تعالى أعلم بالمنافقين الذين يناجونه وهم يخبئون المكر والخبث والخديعة.

فكان لابد من إظهار وتمييز المؤمن عن المنافق ومن تمحيص للمؤمنين، وكان ذلك بأمر يشق على النفس ولا ترغبه أبداً، وهو النفقة فأنزل تعالى الصدقة وتقدمها قبل مناجاته ﷺ ، فكان الأمر من الله تعالى وهو أعلم بما في نفوس عباده منهم، ليعلم من أطاع وأنفق ممن خاف الفقر والعيلة.

قال ابن عباس : " نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد الله عز و جل أن يخفف عن نبيه ﷺ ، فلما قال ذلك كف كثير من الناس . ثم وسع الله عليهم بالآية التي بعدها" . وقال الحسن: " نزلت بسبب أن قوماً من المسلمين كانوا يستخلون النبي ﷺ و يناجونه ، فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى ، فشق عليهم ذلك فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه" . و قال زيد بن أسلم : " نزلت بسبب أن المنافقين و اليهود كانوا يناجون النبي ﷺ ويقولون : إنه أذن يسمع كل ما قيل له، وكان لا يمنع أحداً مناجاته . فكان ذلك يشق على المسلمين ، لأن الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم ناجوه بأن جموعاً اجتمعت لقتاله . قال : فأنزل الله تبارك و تعالى : "يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ

ءَامِنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ" الآية، فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الآية ، فانتهى أهل الباطل عن النجوى ، لأنهم لم

<sup>١</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦ ص٢١٨

<sup>٢</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٦

يقدموا بين يدي نجواهم صدقة ، و شق ذلك على أهل الإيمان و أمتنعوا عن النجوى،  
لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بما بعد الآية <sup>١</sup> .  
وهذه الآيات ما زالت تسير في ركب الآيات الداعية إلى الآداب وحسن الخلق  
وتهدب النفس وتسمو بها إلى مكارم الأخلاق مع الناس عامة، ومع سيد ولد آدم  
خاصة ﷺ .

قال الإمام الألويسي: "وفي هذا الأمر تعظيم للرسول ﷺ ونفع للفقراء وتمييز بين  
المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا ودفع للتكاثر عليه ﷺ من غير حاجة  
مهمة " <sup>٢</sup> .

ولما أخبر بإحاطة علمه ردعا لمن يغتر بطول حلمه، دل على ذلك بإطلاعه  
على نفاق المنافقين الذي هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرهبا معظما للمقام  
بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق ﷺ تنبيها على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره <sup>٣</sup> .

قال الإمام البقاعي: " ولما كان الذي يحملهم على الأقدام على ذلك ضعف  
عقولهم وتوغلهم في النفاق ومرودهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم بأن  
ذلك لا ينجيهم لإحاطة علمه سبحانه، عبر بالحسبان، فقال دالا على أنهم في الغاية من  
الجهل وقلة العقل ، ولما أفهم ذلك أن أمورهم لا حقائق لها لا في إخباراتهم ولا في  
إيمانهم ولا في حساباتهم، ناداهم عليهم مؤكدا لتكذيب حساباتهم " <sup>٤</sup> .

ذكرت هذه الآيات تقسيم الخلق إلى قسمين وحزبين: حزب الله وحزب الشيطان،  
وذكرت خصائص كل حزب وصفاته الظاهرة والباطنة، التي لا يعلمها إلا علام  
الغيوب.

وفسر القاضي أبو السعود " أَلَمَّ تَرَ " أي ألم تعلم علما يقينا متاخما للمشاهدة

<sup>١</sup> ذكره الإمام القرطبي في تفسيره الجامع للأحكام القرآن ج١٩ ص٢٥٥

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألويسي ج٤ ص١١٢-٣٠٢

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٥٠١

<sup>٤</sup> يرجع للمصدر السابق ص٤٠٤

بأنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما<sup>١</sup>. ألم تر: أي عن الذي أخبرك به الله فصدقه كما تصدق ما رأيته بعينك لأنه هو الحق من الحق تعالى<sup>٢</sup>.

وذلك لأن المخبر هو عالم الغيب والشهادة، فخبره موافق للحقيقة والواقع لأنه هو الذي يدبر الأمر فهو أعلم العالمين به.

وقال الإمام الطبري: " إن الله جل ثناؤه ذو قوة وقدرة على كل من حاده ورسوله أن يهلكه، دون عسرة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه، أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء " <sup>٣</sup>.

فأعمال المنافقين ومكائدهم لا تخفى على الله عز وجل فهم مفضوحون، لا يخفى منهم أحد عنه، مهما حاولوا خداع المؤمنين وتضليلهم فإن خالقهم هو الذي يفضحهم ويكشف أمرهم للمسلمين ويحذرهم منهم، لأنه تعالى وحده العالم بما يدور في نفوسهم الخبيثة، وطياتهم النجسة، المطلع على دسائسهم ومكائدهم مع بعضهم ومع اليهود حلفائهم.

لذلك كان إخباره جل وعلا أصدق إخبار وأجل تنبيه، وذلك من رحمته بعباده. ولطفه بهم أن يظهر لهم أعدائهم ويعينهم عليهم بقوته وعزته.

وما زالت الآيات الكريمة تدعو للفضائل شتى، والأخلاق الكريمة، إذ هي تختم السورة بأية عظيمة وهي – آية البراءة من الكفر وأهله وإن كانوا الأهل والأقارب – فبعد أن ذكرت صفات المنافقين وحذرت المؤمنين من أن يكونوا منهم ولو بصفة من صفاتهم، وها هي تبعدهم عنهم، وتقطع العلاقات القلبية من موالاته ومحبة لأقرب الأقربين وبني الجلدة، وتقلع من النفس المؤمنة التي ترضى بالخبث والكفر ولا تقبله بل لا تحبه وتنكره من أساسه قلبا وقالبا، فإله عز وجل هو الذي طهر تلك النفس وهو

<sup>١</sup> تفسير أبو السعود للقاضي أبو سعود ج١٦ ص٢١٦

<sup>٢</sup> تفسير الشعراوي نقل بتصرف .

<sup>٣</sup> تفسير الطبري لابي جرير الطبري ج١٢ ص٢٥٥

العالم بما تحتويه وتنطوي عليه سرائرها فهو المحيط بأدق الدقائق والخفايا، سبحانه المطلع على جميع خلقه.

قال الإمام ابن الجوزي: والمراد بنفي الوجدان نفي المادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن جد في طلبه كل أحد<sup>١</sup>. لأن هذه الآية قد بينت وخصت بالذكر هذه المرتبة من الإيمان لئتم التناغم والتجانس والتناسق في موضوع السورة العام وبين خاتمها إلا وهي العبادة القلبية العظيمة هذه. حتى يتم تمحيص المؤمنين الحق من المنافقين المدعين لذلك إن هذا الأمر إذا أخفاه الإنسان في قلبه ولم يظهر عليه أحد فكيف سيتم معرفة حقيقته الإيمانية؟

إن ذلك يتم بكشف عالم الغيب والشهادة لأمر كل فرد وتمحيصه بهذا الاختبار الدقيق، الذي لا ينجح فيه وينجو منه إلا من تساوت سريرته وظاهره

فالذي يخفى على العباد فهو لا يخفى على ربهم عز وجل إذ انه مطلع على صغار الأمور وكبارها، فالله مع عباده في كل وقت وفي كل زمان.

إذ كل هذه الأعمال القلبية سبحانه وتعالى وحده هو المطلع عليها والعالم بها، لذلك كان الجزاء عليها جزاء قلبي، وجزاء حسي، ليتحقق لهم كل الرضا والإحسان.

<sup>١</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦ ص٢٢١

### الباب الثالث

التفسير التحليلي لسورة المجادلة في ضوء تناسقها الموضوعي

و يشمل الخاتمة.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"بسم الله" الذي أحاط علمه فتمت قدرته فكلت جميع صفاته.

"الرحمن" الذي شمل الخلائق جودا بالإيحاء وإرسال هدايته.

"الرحيم" الذي خص أصفياه فتمت عليهم نعمة مرضاته<sup>١</sup>.

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ  
تَحَاوُرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

هذه الصورة نموذج للحياة في عهد رسول الله ﷺ بكل تفاصيلها. ففي هذه الصورة بصفة خاصة نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة، وهو يصنعها على عينه، ويرببها بمنهجه، ويشعرها برعايته، ويبني في ضميرها الشعور الحي بوجوده سبحانه. معها في أخص خصائصها، وأصغر شؤونها، وأخفى طواياها، وحراسته لها من كيد أعدائها خفيه وظاهره<sup>٢</sup>.

فكان من عظيم فضله العظيم على عباده ذكر شأنهم في هذه السورة واستماعه لشأنهم وسماع الله تعالى للموجودات كلها قولاً أو غيره، لا يختص بسماع الأصوات، بل كل موجود يسمعه ويراه ويعلمه، ويعلم المعدم، ويجوز تعلق سمعنا بكل موجود كذلك رؤيتنا، ولكن الباري تعالى أجرى العادة بتعلق رؤيتنا بالألوان، وسمعنا الأصوات، والله الحكمة فيما خص والقدرة فيما عم<sup>٣</sup>.

ذكر الله في هذه الآية عظيم قدرته، فكان سماع أصوات جميع الخلائق من ضمنها، ومنه سماعه لمجادلة خولة لرسول الله ﷺ<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٧٤

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥٠٣

<sup>٣</sup> أحكام القرآن لابن العربي ج١٤ ص١٣٥

<sup>٤</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨ ص٣٣

فابتدأت السورة الكريمة بقوله "قَدْ سَمِعَ" التي لا تدخل إلا على الأفعال، فإذا دخلت على الماضي أفادت التحقيق، وإذا دخلت على المضارع أفادت التقليل. فإن قلت ما مضى (قد) في قوله "قَدْ سَمِعَ" ؟ قلت: معناه التوقع ؟ لأن الرسول ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل ما يفرج عنها<sup>١</sup>. ويفرج ويفرج كربها كما يلوح به ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استيفائها ما عندي في أمرك شيء وأنها كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها إجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى: "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" أي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب التحاور وتجده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليباً تشريف لها من جهتين<sup>٢</sup>.

و إلا فسماع الخالق لخلقه قضية متحققة<sup>٣</sup>.

فليس المراد أنه سمع مجرد سماع، بل كان سماع إجابة بدليل أنه أنزل الحكم، فهو القيوم القائم بعباده، قيوميته دائمة كاملة، يسمعهم ويبصرهم ويدبر أمرهم، ويصلح حالهم ويرزقهم فهو القيوم<sup>٤</sup>.

لأنه سامع، وعالم بعباده وأحوالهم في كل زمان ومكان ومع جميع مخلوقاته ففي هذه الفترة، فترة اتصال السماء بالأرض وهي نزول الوحي على رسول الله ﷺ.

و نزول الوحي مباشرة عندما شكت المجادلة للرسول ﷺ فيها دليل على علاقة الباري عز وجل بخلقه وعباده المؤمنين، وقربه منهم، ورحمته بهم في تفريج كرباتهم

<sup>١</sup> الكشاف للزمخشري ج٤ ص٣٦٤-٣٦٥

<sup>٢</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦ ص٢١٣-٢١٤

<sup>٣</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج٨ ص٣٥

<sup>٤</sup> موقع الشيخ الشعراوي على قناة اليوتيوب .

<http://www.youtube.com/watch?v=A6BCzeB4bRo>

فهو "مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ" [الحديد: ٤] أي أنه مطلع، وفي هذه الآية رد على كل من

ينكر وجود الله عز وجل فيها هو دليل على وجوده بأنه أنزل الوحي مباشرة<sup>١</sup>.

روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية من البيت لا أسمع ما تقول. فأنزل

الله عز وجل "قَدْ سَمِعَ... إلى آخر الآية. رواه البخاري معلقاً<sup>٢</sup>.

روي أن خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت، أراد زوجها موافقتها يوماً فأبت، فغضب وظاهر منها، فأنت رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله: إن أوساً ظاهر مني بعد أن كبرت سني، ورق عظمي، وإن لي منه صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، فما ترى؟ فقال لها: (ما أراك إلا قد حرمت عليه) وهي تكرر قولها، فما زالت تراجعته حتى نزل قوله تعالى: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ... الْآيَاتِ"<sup>٣</sup>.

وفي (العناية): المراد بقوله "قَدْ سَمِعَ" إلخ قبل قولها وأجابه، كما في سمع

الله لمن حمد، مجازاً بعلاقة سببية أو الكناية. انتهى<sup>٤</sup>.

و ذكر الإمام الألويسي أنها: "قرئت " قَدْ سَمِعَ" بإظهار الدال، وقرأ أبو

عمرو، وحمزة والكسائي، وابن محيصن بإدغامها في السين، أي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك أي تسائلك"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> نفس المصدر السابق .

<sup>٢</sup> أخرجه البخاري تعليقا ٩٧ كتاب التوحيد ،باب قوله تعالى "و كان الله سميعا بصيرا".

<sup>٣</sup> أخرجه ابن ماجه رقم ٢٠٧٣ و أحمد في المسند ج١٦ص٤٦٤ ،يرجع إلى سنن ابن ماجه ،و مسند أحمد ابن حنبل .

<sup>٤</sup> تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج٩ص٥١

<sup>٥</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج١٦ص٢١٣

"تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا" اتفق العلماء على أنها خولة بنت ثعلبة، وهو ما أجمعت

عليه معظم كتب التفسير جاءت شاكية للنبي ﷺ من زوجها وهو أوس بن الصامت، وهو أخو عبادة بن الصامت، كانت تحته فظاهر منها.

قيل هي خولة بنت حكيم، وقيل: اسمها جميلة، والأول أصح والله أعلم. وقيل: هي خولة بنت خويلد. وقال الماوردي: " أنها نسبت تارة إلى أبيها وتارة إلى جدها، فأحدهما أبيها والآخر جدها، فهي خولة بنت ثعلبة بن خويلد".<sup>١</sup>

اختلف العلماء من هي المرأة فقيل: هي امرأة صحابية من الأنصار اختلف في اسمها واسم أبيها، فقيل: خولة بنت ثعلبة، وقيل: بنت مالك بن ثعلبة وقيل: جميلة بنت الصامت، وقيل غير ذلك، والأكثر على أنها خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية، وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وقيل: هو سلمة بن صخر الأنصاري، والحق أن لهذا قصة أخرى<sup>٢</sup>.

و أخرج النحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: كان أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكانت تحته ابنة عم له يقال لها خولة بنت خويلد، فظاهر منها.

و الذي أجمعت عليه كتب التفسير أنها خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت.

أنه ليس من المهم ذكر اسم الشخص لطالما لم يذكر في نص الآية إذ أن الحاجة لم تقتضي ذلك، فالمقام ليس لذكر شخص بعينه ويسميه، فالتشخيص يحد من القصة ويجعلها خاصة بذات الشخص، لكن تعميمها بالوصف يعطيها خصبا وعطاء لها في كل وقت<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٢٢٦

<sup>٢</sup> ينظر المصدر السابق .

<sup>٣</sup> يرجع إلى تفسير الامام الشعراوي نقل بتصرف<sup>٣</sup> موقع الشيخ الشعراوي على قناة اليوتيوب .

<http://www.youtube.com/watch?v=A6BCzeB4bRo>

و ليس المهم من هي المرأة لأن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، وهذا خلاف لا فائدة منه. ولكن الأغلب اجتمعوا أنها خولة بنت ثعلبة.

و لحكمة الله تعالى أعلم بها لم يذكر اسم صاحبة القصة في السورة إذ لو كان هناك فائدة تعود على العباد لذكره المولى عز وجل.

وفي إضافة المرأة إلى زوجها في قوله تعالى "فِي زَوْجِهَا" إشارة إلى أن المرأة المظاهر منها لا زالت زوجة زوجها لم تحرم عليه حرمة مؤبدة، بل ما زال هناك سبيل إلى وصل هذه العلاقة<sup>١</sup>.

روى الإمام الطبري بسنده حيث قال حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كانت خولة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت، وكان رجلا به لمم، فقال في بعض هجراته<sup>٢</sup>: أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال، فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي، قالت: لا تقل ذلك، فو الله ما أحب الله طلاقا، قالت: انت رسول الله ﷺ فسله، فقال: إني أجدني أستحي منه أن أسأله عن هذا، فقالت: دعني أن أسأله، فقال لها: سليه، فجاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا نبي الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي وأحب الناس إلي، قد قال كلمة والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: أنت علي كظهر أمي، فقال النبي ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه، قالت: لا تقل ذلك يا نبي الله، والله ما ذكر طلاقا، فراددت النبي ﷺ مرارا، ثم قالت: اللهم إني أشكو اليوم شدة حالي ووحدتي، وما يشق علي من فراقه، اللهم فأنزل على لسان نبيك، فلم ترم مكانها حتى انزل الله "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ " إلى أن ذكر الكفارات

فدعاه النبي ﷺ فقال: أعتق رقبة، فقال: لا أجد، فقال: صم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع، إني لأصوم اليوم الواحد فيشق علي، قال: أطعم ستين مسكينا، قال: أما هذا فنعم<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ج٢٨/ص٨١١

<sup>٢</sup> الهجرة بكسر الهاء اسم من الهجر بفتحها، وهو حرمة لزوجه.

<sup>٣</sup> تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ج١٢/ص٥٥ حديث رقم (٣٣٧١٩)

فكانت تراجع الرسول ﷺ و ترد عليه كلما قال لها حرمت عليه. فكانت تبالغ في أن تقبلك إلى مرادها<sup>١</sup>. وفي قوله "تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا" إشارة إلى احترام الشريعة للإنسان-ذكرا كان أم أنثى- وإعطائه حقه كاملا في استعمال عقله ومراجعته لغيره فيما يعرض عليه من قضايا وهذا واضح من محاوراة المرأة للنبي ﷺ<sup>٢</sup>.

وقد استحضرت المرأة بعنوان الصلة تنويها بمجادلتها وشكواها لأنها دلت على توكلها الصادق على رحمة ربها بها وبأبنائها وبزوجها<sup>٣</sup>.

وهي التي جاءت للنبي ﷺ لترفض هذا الظلم وتدافع عن أسرتها وحياتها الزوجية، وترفع الجور الذي كان يقع على النساء في تلك الحقبة من الزمن، فجاءت الشريعة السمحاء لتعطي للنساء كافة حقوقهم، فكما كان لها الحق في قبول عقد الزواج والارتباط، ينبغي أن يكون لها الحق أيضا في أن لا ينتهي ذلك العقد بتلك الطريقة الظالمة، فكما بني على الوفاق من الطرفين فيجب أن يكون إنهاء وفسخ ذلك العقد بالرضا والاتفاق من الطرفين، وليس لطرف دون الآخر، لأنها منذ ذي بدء هي مؤسسة مشتركة بين طرفين لكل منهما حقوق وواجبات ويجب أن تبقى كذلك. إذ من رحمته عز وجل أنه لا يرضى لطرف أن يجور على الآخر.

"وَوَشَّكَىَ إِلَى اللَّهِ" قال النسفي: "تظهر ما بها من المكروه"<sup>٤</sup>. أي تعتمد

بتلك الشكاية لله وتناجيه وتتضرع إليه مفوضة أمرها لبارئها، فتوكلت على الحي القيوم، فأعطت درسا في التوكل، ونموذجا للجوء الخالص المطلق إلى الله عز وجل.

رافضة للظلم الذي وقع عليها من زوجها بظهاره لها، لم تكن كغيرها ممن استسلمن للظلم وخضعن له. فكانت مجادلتها للرسول ﷺ ومن قبل ذلك شكواه له، نفعا

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٧٥

<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨ص٣٥

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٨

<sup>٤</sup> مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤٤ص٣٤٠

لها وللأمة جمعاء من بعدها ورحمة للعالمين. بأن رفع هذا الظلم عن النساء وألغى ذلك الجور الذي كان يقع عليهن.

فالشكوى إلى الله من الهم والحزن والضيق أنجع طريق، فقد أجاب الله شكوى خولة بنت ثعلبة وقبل استغاثتها، وحقق ما توقعته من ربها، لثقتها بفضل الله وإحسانه، والإجابة والقبول هو المقصود منه قوله: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ"<sup>١</sup>.

أخبر الله تعالى عن المجادلة أنها تشتكي إليه تعالى وتبث إليه همها ومصابها، وهو مثل فعل نبي الله يعقوب عليه السلام إذ اشتكى حزنه ومصابه لله تعالى وحده، إذ قال: "إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" [يوسف: ٨٦]. فهو نفس الفعل بعينه، بث الشكوى لله جل وعلا الرحمن الرحيم المطلع المدبر لأحوال عباده، ولا يعلم ذلك ولا يوقنه إلا المؤمنون حقا العالمون بربهم المتوكلون عليه حق توكله، وهم حزبه وأهله وخاصته الذين تربوا في كنفه وتحت راية الإيمان ولوائه، فهو دأب الصالحين وطريقهم.

فالله وحده القادر على رفع البلاء وإنزال الصبر والفرج وإزالة الحزن والهم، ولا مذلة في ذلك ولا مهانة. بل الراحة والسعادة والفرج.

فالفرج آت على حسب المشكو إليه فإذا كان العباد كان مذلا مهينا ناقصا. وإذا كان لرب السموات والأرض أتى من عنده الفرج الكامل على ما يريده عبده الفقير، بل أكثر من تصوره البسيط المتواضع، وما وصل إليه خياله وقريحته، فكان الفرج يليق بعطايا الكريم الحي القيوم.

فهذه الشكوى لم تكن من جمعية ولم تكن عبر مجالس نيابية أو مجالس شعبية ولم تكن شعبية، بل شكوى امرأة في المجتمع المسلم، لكن القرآن لا يهمل ذلك وإن كانت حادثة في بيت صغير مع رجل كبير في السن وامرأة طاعنة في السن، وهذا من الأمور التي ينبغي أن نقف عندها في نظرنا إلى كتاب الله عز وجل. ونحن في

<sup>١</sup> التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، ج ٢٨/ص ٢٠.

الحقيقة بحاجتها في هذه الحادثة جلوس النبي ﷺ مع هذه المرأة الكبيرة في السن واستماعه إلى شكاواها وحواره لم ينهرها ولم ينفرها ولم يطردها، ومما يؤسف له أن بعض العلماء اليوم يكون شديدا قاسيا متعنتا، ويرمي بالفتوى كأنه يصفع بها المستفتي، ونرى النبي ﷺ يقول ما أراك إلا قد حرمت عليه، وحتى في البداية نصحتها وقال: ارفقي بزوجك إنه كبير السن ارفقي به، فأخبرته القصة وبقيت عند النبي ﷺ وهو يستمع إلى هذه الشكوى<sup>١</sup>.

"وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" أي أنه تعالى كان ثالثكما، وهو مثل ما ورد في قوله تعالى: "إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى" [طه:٤٦].

فجدالها مع النبي ﷺ ارتقى ووصل إلى حوار بينهما مطلع عليه الله سبحانه، وهذا هو المؤمن دائما في رقي وصعود في سلم الأخلاق الفاضلة، من حسن لأحسن، ومن فضيل لأفضل، وها هو الشارع يطيب خواطر المؤمنين ويأخذهم لكل خير. وهو معهم أينما كانوا.

أي والله يسمع حديثكما، ومراجعتكما الكلام، ماذا قالت لك وماذا رددت عليها<sup>٢</sup>.

و في حديث عائشة حينما قالت كنت في جانب البيت وهي تغسل رأسه ﷺ، دليل على أدب المجادلة في خطابها للرسول ﷺ إذ كان صوتها منخفض، ولم يكن ظاهرا حيث أن السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي تغسل رأس رسول الله ﷺ لم تكن تسمع كلامها. وهي الطريقة المثلى للجدال فصاحب الحق لا يثبت حقه بالصوت المرتفع، بل بالحجة والبينة لأن الصوت المرتفع يضيع الحق وهو سلاح المهزوم الضعيف، أما صاحب الحق سوف يظهره الله تعالى ويؤيده ويكون معه. وكذلك في طيات هذا الحوار يجب الالتفات إلى أدب جم وهو أدب السائل في تلقي الجواب وقبوله به، وإذا

<sup>١</sup> منبر علماء اليمن - الشيخ صالح بن يحيى صواب، على الرابط

[http://olamaayemen.net/main/articles.aspx?article\\_no=11985](http://olamaayemen.net/main/articles.aspx?article_no=11985)

<sup>٢</sup> صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص١٢٩



كان هناك اعتراض عليه أن يكون بلباقة وبخلق حسن، والذي هو سمة المؤمن وصفته الملازمة له.

قال القاضي أبو السعود: "إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" فهو تعليل لما قبله بطريق التحقيق أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي جعلتها رفع رأسها إلى السماء، وسائر آثار التضرع، وإظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة، وتعليل الحكم بوصف الألوهية، وتأکید استقلال الجملتين" <sup>١</sup>.

سميع لمن تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه <sup>٢</sup>.

فالسماع لا بد له من سامع مدرك محيط بكل مسموع. فسبحان من لا يشغله صوت عن صوت.

ومنهج السلف عليهم رضوان الله في صفات الله تعالى، إثبات الصفات لله من غير تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل، كما وردت في محكم تنزيله، وكما وردت عن رسوله ﷺ، ومنها صفتي السمع والبصر بما يليق بجلاله وعظمته.

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَن نِّسَابِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي  
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

في عناية الله تعالى بالمرأة وتعظيم وتكريم شأنها وذلك بإنزال صدر السورة لها، وكان الحكم لها خاص وللأمة عام – فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب- تلا ذلك التشريف الذم والاستهجان للعرب في عاداتهم الظالمة وسلوكهم غير السوي المتمثل ها هنا بالظهار حيث كان الإسلام قد أقر بعض من عاداتهم الحسنة وأتمها وأكد عليها، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" <sup>٣</sup> أما

<sup>١</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ ص٢١٤

<sup>٢</sup> معالم التنزيل للبخاري ج١٤ ص٢٧٧

<sup>٣</sup> مسند البزار = البحر الزخار، باب مسند أبي حمزة أنس بن مالك ج١٥ ص٣٦٤، رقم (٨٩٤٩)

عاداتهم الجاهلية الممثلة في الظلم ونزع الحقوق فقد منعها وقضى عليها، إذ كان هذا اليمين خاصا بهم دون سائر الأمم.

فلما أتم تعالى الخبر عن إحاطة العلم، استأنف الإخبار عن حكم الأمر المجادل بسببه فقال ذاما للظهار كاسيا له ثوب العار<sup>١</sup>.

تتنزل جملة "الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ" وما يتم أحكامها منزلة البيان لجملة: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا" الآية لأن فيها مخرجا مما لحق بالمجادلة من ضر بظهار زوجها، وإبطالا له، ولها أيضا موقع الاستئناف البياني لجملة "قَدْ سَمِعَ" يثير تساؤلا في النفس أن تقول: فماذا نشأ عن استجابة الله للشكوى المجادلة فيجاب بما فيه المخرج لها منه، قاله الإمام ابن عاشور<sup>٢</sup>.

"الَّذِينَ" ولما كان الظهار منكرا لكونه كذبا، عبر بصيغة التفعّل الدالة عليه فقال: "يُظَاهِرُونَ" أي يوجدون الظهار، وكأنه أدغم تاء التفعّل والمفاعلة لأن حقيقته أنه يذهب ما أحل له من مجامعة زوجته. ولما كان الظهار خاصا بالعرب دون سائر الأمم، نبه على ذلك تهجينا له عليهم وتقبيحا لعادتهم فيه، تنبيها على أن اللائق بهم أن يكونوا أبعد الناس في هذا الكلام لأن الكذب لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية، ثم ما زاده الإسلام إلا استهجانا<sup>٣</sup>.

فالإسلام دين العدالة والعدل يأبى الظلم ويرفضه لا يقبل بوجوده ولا يسمح به مهما كان صاحب السلطة. ينصر الضعيف والمغلوب يأخذ بحق كل فرد من مغتصبه، ويرد المظلوم لجادة الطريق ويمنعه من الظلم والطغيان، وبذلك حماية للجميع، والحصول على مجتمع فاضل يسوده العدل والحق وكان من ذلك أن نصر النساء من صنوف الظلم والاضطهاد الذي كانوا تحت سطوته في الجاهلية، وحماهن، وحفظ لهن

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ ص ٤٨٠ .

<sup>٢</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ٢٨ ج٩ ص

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ ص ٤٨٠

حقوقهن، وكفل لهن كامل الحق والإنسانية، وكان الحامي لهن، ومن ذلك الحفاظ على المرأة وحقوقها بأن حرم عادة من أشنع العادات في الجاهلية كانت تتذوق النساء حرارتها ويتجرعن مرارتها، وهي الظهر.

والظهر هو: الظهر الجارحة، وجمعه ظهور، قال: "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ" [الانشقاق: ١٠]، "الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ" [الشرح: ٣] والظهر هنا استعارة تشبیهها للذنوب بالحمل الذي ينوء بحامله واستعير لظاهر الأرض فقيل: ظهر الأرض وبطنها، قال تعالى: "مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ" [فاطر: ٤٥] ورجل مظهر، وظهر يشتكي ظهره. ويعبر عن المركوب بالظهر، ويستعار لمن يتقوى به، ويعبر ظهير قوي بين الظهارة وظهري معد للركوب، والظهري أيضا ما تجعله بظهرك فتنسأه، قال: "وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا" [هود: ٩٢] وظهر عليه غلبه وقال: "إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ" [الكهف: ٢٠] وظاهرته عاونته، قال: "وَوَظْهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ" [المتحنة: ٩] "وَإِنْ تَظْهَرَا عَلَيْهِ" [التحریم: ٤] أي تعاونا، "وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ" [سبأ: ٢٢] أي معين، "وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا" [الفرقان: ٥٥] أي معينا للشيطان على الرحمن. وقال أبو عبيدة: الظهير هو المظهر به، أي هينا على ربه كالشيء الذي خلفته ولم التفت إليه. والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، يقال ظاهر من امرأته، قال تعالى: "وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ" وقرئ "يظاهرون" أي يتظاهرون، فأدغم ويظهرون، وظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى وبطن إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى ثم صار مستعملا في كل بارز مبصر بالبصر والبصيرة<sup>١</sup>. يقال: ظاهر من امرأته يقصد بذلك تحريمها، قال تعالى: "وَالَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ".

<sup>١</sup> مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص ٣٣٥، كتاب الظاء.

و ذكر الإمام ابن العربي أن في هذه الآيات شروع في بيان شأن الظهر في نفسه، وحكمه المترتب عليه شرعا، وذلك تحقيق قبول تضرع تلك المرأة واشتكاؤها بطريق الاستئناف<sup>١</sup>.

"الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ" حقيقته تشبيه ظهر بظهر، والموجب للحكم منه تشبيه ظهر

محلل بظهر محرم، ويتفرع عليه فروع كثيرة، أصولها سبعة:

**الفرع الأول:** إذا شبه جملة أهله بظهر أمه، كما جاء في الحديث أنه قال: أنت علي كظهر أمي<sup>٢</sup>.

**الفرع الثاني:** إذا شبه أهله بعضو من أعضاء أمه كان ظهارا.

**الفرع الثالث:** إذا شبه عضو من امرأته بظهر أمه.

**الفرع الرابع:** إذا قال أنت علي كأمي، أو مثل أمي. فإذا نوى ظهارا كان ظهارا، وإن نوى طلاقا كان طلاقا، وإن لم تكن له نية الطلاق.

**الفرع الخامس:** إذا قال: علي حرام كظهر أمي كان ظهارا.

**الفرع السادس:** إن شبه امرأته بأجنبية فإن ذكر الظهر كان ظهارا حملا على الأول، وإن لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماؤنا، فمنهم من

قال: يكون ظهارا، ومنهم من قال يكون طلاقا.

**الفرع السابع:** إذ قال أنت علي كظهر أختي كان مظاهرا<sup>٣</sup>.

وسئل شيخ الإسلام رحمه الله: عن رجل قال لامرأته: أنت علي مثل أمي وأختي؟ فأجاب: إن كان مقصوده أنت علي مثل أمي وأختي في الكرامة، فلا شيء

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج ١٤ ص ٢٦٧

<sup>٢</sup> وقع في رواية الطبري ٣٣٧١٨ عن ابن عباس، و برقم ٣٣٧١٩ عن محمد بن كعب القرظي، و جاء في روايات متعددة كذلك.

<sup>٣</sup> انظر أحكام القرآن لابن العربي ج ١٤ ص ١٣٨. نقل باختصار و للاستزادة العودة إلى المرجع.

عليه، وإن كان مقصوده يشبهها بأمه وأخته في باب النكاح، عليه ما على المظاهر،  
فإن امسكها فلا يقربها حتى يكفر كفارة الظهار<sup>١</sup>.

وعند أبي حنيفة - رحمه الله - : " ولو قال أنت علي كأمي أو كروح أمي  
وأراد به الإعزاز والكرامة فلا يكون ظهارا حتى يريد<sup>٢</sup> ".

واختلفوا في "يتظاهرون" فقرأ عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء  
وكسرهما وألف بينهما في الموضعين<sup>٣</sup>.

" مِنْكُمْ " يعني المسلمين، وذلك يقتضي خروج الذمي من الخطاب<sup>٤</sup>. ذكره ابن  
العربي أيضا. " مِّن نِّسَائِهِمْ " تذكير لهؤلاء الأزواج بأن أولئك اللاتي قذفوهن بهذا  
اليمين الباطل أنهن مازلن زوجاتكم وعلى عصمتكم لا يلغي ذلك القول الباطل رباط  
الزوجية الغليظ أو ميثاقها وقد سماه تعالى: " غَلِيظًا " في قوله تعالى: " وَقَدْ أَفْضَى  
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا " [ النساء: ٢١ ].

" مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ " خبر للموصول أي ما نساؤهم  
أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت، وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم  
وبأمهاتهم<sup>٥</sup>.

فكما يستحيل فطرة<sup>٦</sup> وعقلا أن تكون الأم زوجة كذلك يستحيل أن تكون  
الزوجة أما، إذا لا قارن بينهما ولا شبه حتى، ويستحيل أن تكون أحدهما في  
مقام الأخرى.

<sup>١</sup> انظر مجموع الفتاوى (٥ ج ٤ ص ٣) نقل من كتاب فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية .

<sup>٢</sup> معالم التنزيل للبغوي ج ٤ ص ٢٧٨

<sup>٣</sup> النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ص ٦٤.

<sup>٤</sup> أحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٣٩ .

<sup>٥</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج ٦ ص ٢١ .

وذكرت الآية نفي هذا الباطل "مَا هُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ<sup>ط</sup>" وأثبتت حقيقة الأمهات وردتهم إليها وذكرتهم بأمهاتهم الحقيقيات "إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدَتْهُمْ<sup>ج</sup>".

يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن، فالمرضعات أمهات، لأنهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، لأن الله حرم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات. وأما الزوجات فأبعد شيء عن الأمومة لأنهن لسن بأمهات على الحقيقة. ولا بداخلات في حكم الأمهات<sup>١</sup>. وكذلك قال أبو قلابة وغيره: كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة<sup>٢</sup>. واستدل به الإمام البقاعي في تفسيره.

"وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مَنَّكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا" يقولون أي: أن ذلك مجرد قول لم يتحول إلى حقيقة "ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ<sup>ط</sup>" [الأحزاب: ٤] بل هو مجرد ادعاء وافتراء افتريتموه وادعاء باطل ذهبتم إليه لم يذهب إليه غيركم من الأمم بل كان خاصا بكم دون سواكم لأنه من صنع أنفسكم.

قولا تنكره العقول وتتجافاه الكرماء<sup>٣</sup>. لما به من ظلم للزوجة وافتراء، ونقص من حق الأم العظيم وامتهان لها.

قال في التسهيل: أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور هو الكذب، وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يجعل امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدا<sup>٤</sup>. استدل به الإمام الصابوني في تفسيره للآية أيضا.

<sup>١</sup> الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٣٦٥

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج ١٧ ص ٤٨٢

<sup>٣</sup> محاسن التأويل و مدارك التنزيل للقاسمي ج ١٩ ص ٥٢

<sup>٤</sup> صفوة التفاسير للصابوني ج ٣ ص ١٢٩

كما أسلف في قوله تعالى "مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ<sup>ط</sup>" ذكر إثبات ذلك بقوله "إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ".

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: "وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا":

والجواب أما الكذب إنما لزم لأن قوله أنت علي كظهر أمي، إما أن يجعله إخباراً أو إنشاءً، وعلى التقدير الأول أنه كذبا لأن الزوجة محللة والأم محرمة وتشبيهه المحللة والمحرمة في وصف الحل والحرمة كذب، وإن جعلناه إنشاءً كان ذلك أيضا كذبا. لأن كونه إنشاءً معناه أن يكون كذبا وزورا، وقال بعضهم: إنه تعالى إنما وصفه بكونه "مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا" لأن الأم محرمة تحريما مؤبداً، والزوجة لا تحرم

عليه بهذا القول تحريما مؤبداً، والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبداً، فلا جرم كان ذلك منكراً من القول وزوراً، وهذا الوجه ضعيف لأن تشبيه الشيء بالشيء لا يقتضي وقوع المشابهة بينهما من كل الوجوه، فلا يعزم من تشبيه الزوجة بالأم في الحرمة تشبيهها بها في كون الحرمة المؤبدة، لأن مسمى الحرمة أعم من الحرمة المؤبدة والمؤقتة<sup>١</sup>. وقد ذكر مثله الإمام النيسابوري<sup>٢</sup>.

وهو مع كونه لا يوجب تحريم المرأة فهو قول منكر، أي قبيح لما فيه من تعريض حرمة الأم لتخيلات شنيعة تخطر بمخيلة السامع عندما يسمع قول المظاهر. فالأمومة حقيقة ثابتة لا تصنع بالقول، إذ القول لا يبديل حقائق الأشياء.

"وَزُورًا<sup>ع</sup>" أي قولاً مائلاً عن السداد، منحرفاً عن القصد، لأن الزوجة معدة

<sup>١</sup> مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢٢٢

<sup>٢</sup> يرجع إلى غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج ١٦ ص ٢٦٨-٢٦٩

للاستمتاع الذي هو غاية من الامتهان، والأم في غاية البعد، ذلك لأنها أهل لكل احترام، فلا هي أم حقيقة ولا شبيهة بها بأمر نصبه الشارع للاحترام كالأرضاع، وكونها فراشا لعظيم كالنبي أو للأب أو للحرمة كاللعان<sup>١</sup>.

يبدو أن الإمام بالغ في تعبيره و خرج به عن الصواب و القول المنطقي المقبول<sup>٢</sup>.

"وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ"

فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن الذنب، والذنب مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة<sup>٣</sup>. إذا جعل الكفارة عليهم مخصصة من هذا القول المنكر<sup>٤</sup>.

فهو عز وجل مبالغ في العفو والغفران عن الخطايا والآثام يحو عن عباده الذنوب بل يطهرهم منها.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٤٨١

<sup>٢</sup> إن المرأة معدة للاستمتاع الذي هو غاية الامتهان، فكيف يذكر المؤلف أن الاستمتاع هو غاية الامتهان وهو أمر قدره الله عز وجل وشرعه لعباده بل هو من سنن الفطرة كما أخبر الرسول ﷺ في حديثه مع الذين حرّموا أنفسهم الطبيبات، وهذا هو الاستمتاع اليس هو الزواج؟

وهذا الزواج الذي مارسه الأنبياء والصحابه والتابعين، فكيف يعقل أن يكون هو غاية الامتهان فالشارع عز وجل لم يأمر بالامتهان فقد حفظ لكافة النساء والزوجات حقوقهن وكرامتهن ولم يجعلهن أبدا في موضع امتهان وإذلال بل العكس تماما شرفهن وكرمهن وحفظ حقوقهن كاملة ومن ذلك التشريف إنزاله تعالى سورة المجادلة تحكي قصة المرأة الفقيرة التي ظلمها زوجها. وأنصفها مولاها وخذلها بقرآن يتلى إلى يوم القيامة.

ثانيا: كل زوجة ذكر المؤلف إنها عرضة للامتهان ستكون أما في يوم من الأيام أو هي كذلك. فكيف يمكن أن تكون عرضة للامتهان كما ذكر الإمام البقاعي.

والظاهر أن التعبير قد خان الإمام في تلك الجماعة، إذ لا يستساغ التعبير بها لشدها وحدتها، ففيها ظلم للزوجة وتقليل من شأنها وهي التي كرمها الله عز وجل وشرع لها حقوقها وحفظها لها، من أول تسميته لذلك العقد الذي يبيح ذلك الاستمتاع بالميثاق الغليظ لآخر أمور الطلاق أو وفاة الزوج وإلى غير ذلك من حقوق ليس المجال هنا لذكرها، إذا أن لكل منهما مكانتها التي تليق بها فالأم في مقام الأمومة الذي وهبها إياه الله عز وجل، والزوجة في مقام الزوجية كذلك الذي وهبها إياه الله عز وجل ولكل منهما مكانتها الرفيعة والخاصة بها. والله تعالى أعلم.

<sup>٣</sup> صفوة التفاسير للصابوني ج٣ ص ١٢٩

<sup>٤</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص ٢٣٧



"وَإِنَّ اللَّهَ" أي الملك الأعظم الذي لا أمر لأحد معه فيما شرع ولا غيره.  
 "لَعَفُو" من صفاته أن يترك عقاب من شاء. "غَفُورٌ" من صفاته أن يمحو عين الذنب  
 وأثره حتى أنه لا يعاقب عليه ولا يعاتب<sup>١</sup>.  
 "وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ" أي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه  
 على الإطلاق أو بالمتاب عنه.

وقد بين الله عز وجل صفحه وعفوه عن المظاهرين، وغفر لهم بإيجاب الكفارة  
 عليهم. وفي هذه الفاصلة القرآنية إشارة إلى أن الله سبحانه وسع بعفوه ومغفرته ما يقع  
 من عباده من منكر وزور، إذا تابوا وأنابوا، وفي تسمية القرآن للظهار بالمنكر  
 والزور ما يدل على تحريمه<sup>٢</sup>.

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ  
 يَتَمَاسًا<sup>٣</sup> ذَلِكُمْ تُوَعُّظُونَ بِهِ<sup>٤</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٠﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ  
 شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا<sup>٥</sup> فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا<sup>٦</sup> ذَلِكَ  
 لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>٧</sup> وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾

ولما استهجن سبحانه الظهار وأثبت تحريمه على أبلغ وجه وأكده وكان ما  
 مضت عليه العوائد لا بد أن يبقى منه بقايا، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة وما لعله  
 يقع من نظائرها<sup>٣</sup>.

عطف على جملة "الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ<sup>٤</sup>"  
 أعيد المبتدأ فيها للاهتمام بالحكم والتصريح بأصحابه، وكان مقتضى الكلام أن يقال:  
 فإن يعودوا لما قالوا تحرير رقبة، فيكون عطا على جملة الخبر من قوله "مَا هُنَّ"

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٤٨٢  
<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨ ص ٣٦  
<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٤٨٢ .

أُمَّهَاتِهِمْ<sup>ط</sup>. "وَأَمْهَاتِهِمْ" عاطفة جملة "يَعُودُونَ" على جملة "يُظَاهِرُونَ"، وهي للتراخي  
الرتبي تعريضا بالتخطئة لهم بأنهم عادوا إلى ما كانوا يفعلونه في الجاهلية بعد  
أن انقطع ذلك بالإسلام. ولذلك علق بفعل ذكر ابن عاشور: قال المفسرون وأهل اللغة:  
كان طلاقا في الجاهلية يقتضي تأبيد التحريم. وأحسب أنه كان طلاقا عند أهل يثرب  
وما حولها لكثرة مخالطتهم لليهود ولا أحسب أنه كان معروفا عند العرب في مكة  
وتهامه ونجد وغيرها ولم أقف على ذلك في كلامهم وحسبك أن لم يذكر في القرآن إلا  
في المدني هنا وفي سورة الأحزاب<sup>١</sup>.

"يَعُودُونَ" ما يدل على قولهم لفظ الظهار<sup>٢</sup>. فأنزل الله عز وجل توبيخا للعرب  
وتهجين لعادتهم في الظهار، لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر  
الأمم<sup>٣</sup>. فقد ذم الله تعالى الظهار، وبين حكمه، وجزاء فاعله.  
وفي حكمه قال ابن الفرس: هو حرام لا يحل إيقاعه. ودل على تحريمه ثلاثة  
أشياء:

**أحدها:** تكذيب الله تعالى من فعل ذلك.

**الثاني:** أنه سماه منكرا، وزورا، والزور الكذب وهو محرم بالإجماع.

**الثالث:** إخباره تعالى عنه بأنه يعفو عنه ويغفر، ولا يعفى ويغفر إلا عن  
المدنبيين.

وقوله: "وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ" يدل على أن المظاهرة منهي عنها بعد نزول  
هذه الآية.

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص١٠

<sup>٢</sup> يرجع للمصدر السابق ص١٤

<sup>٣</sup> الكشاف للزمخشري ٤ ج٣٦ ص٣٦٥

"ثُمَّ يَعُودُونَ" العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالى: "حَتَّىٰ  
عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ" [يس: ٣٩] ومن الثاني: "وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا" [الإسراء: ٨]  
ويعدى بنفسه كقولك عدته إذا أتيتَه وصرت إليه<sup>١</sup>.

وبعد أن ذكر حكم الظهار وتوضيح حقيقته كان لابد من ذكر كفاراته، وما  
يمحي ذنبه ويكون درسا للتأديب، والنهي عن مثل هذا الفعل، فها هي الكفارة ماحية  
وزاجرة، ماحية للذنب الذي ارتكب، وزاجرة عن العودة لمثله أخرى. وهي دليل أكيد  
على شدة تحريم الظهار والنهي عنه.

قال الفقهاء: ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار لأن  
ترك التكفير إضرار بالمرأة وامتناع عن إيفاء حقها<sup>٢</sup>.

ولهذا ذكر حكمها وحكم غيرها على وجه العموم<sup>٣</sup>. فكانت رحمة لها وللمؤمنين  
من بعدها إذ حافظت على بيتها وبيت المسلمات من بعدها.

وفي هذه الآية تأكيد آخر على أن الظهار لا يكون إلا للزوج، أي للرجل الذي  
تكون في يده العصمة الزوجية، ويكون الظهار على الزوجة، أي المرأة التي تكون في  
عصمة ذلك الزوج.

واختلف أهل العلم في العود: قالوا: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبو العالية،  
وقال: ثم يعودون لما قالوا. أي إلى ما قالوا أي إعادة مرة أخرى فإن لم يكرر اللفظ  
فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود الوطء،  
وهو قول مالك، وهو مذهب الشافعي إلى أن العود هو أن يمسكها عقيب الظهار  
زمانا يمكنه أن يفارقها، فلم يفعل فإن طلقها عقب الظهار في الحال أو مات أحدهما  
في الوقت فلا كفارة عليه. لأن العود للقول هو المخالفة، وفسر ابن عباس العود

<sup>١</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج ١٣ ص ٣٤١

<sup>٢</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج ١٦ ص ٢٧١

<sup>٣</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٨٤٤

بالندم، فقال يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا، قال الفراء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال وفي نقض ما قال يعني رجع عما قال<sup>١</sup>.

"لِمَا قَالُوا" بالفعل أن يعاد هذا القول مرة أخرى أو بالقوة بأن يمسكوا المقول ذلك لها زمنا يمكن أن يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله الفرقة به من طلاق أو سراح أو نحوهما فيكون المظاهر عائدا إلى هذا القول بالقوة لإمكان هذا القول في ذلك الزمن، وذلك لأن العادة قاضية بأن من قال دخولا ولم يبيته وينجزه ويمضه بأن يعود إلى قوله مرة أخرى وهلم جرا، أو أن يكون التقدير لنقض ما قالوا: فيحلوا ما حرموا على أنفسهم بالحنث، فإن طلق في الحال وإلا لزمته الكفارة، وحق العبارة التعبير باللام لدالاتها على الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف "إلى" فإنها تدل على مهلة وتراخ<sup>٢</sup>.

"فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ" بعد أن بينا معنى العود جاءت كفارة الظهار صريحة واضحة جلية ماحية زاجرة عن ذلك الفعل القبيح.

فالواجب على من فعل هذه الفعلة الشنعاء أن يعتق رقبة ويحررها عبدا كان أو أمة كاملة الرق سليمة من كل عيب. واختلف الفقهاء في إيمان الرقبة فمنهم من ذهب إلى وجوب إيمانها واستند بذلك مثل كفارة القتل، ومنهم لم يشترط لذلك استنادا لظاهر الآية وقد بسطت تلك المسألة في كتب الفقه مما لا يسع المجال لذكرها هنا.

"فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ" مبتدأ آخر مقدر فعليهم تحرير رقبة أو فاعل فعل مقدر فيلزمهم تحرير، أو خبر مبتدأ مقدر، أي فالواجب عليهم "تَحْرِيرُ" وعلى التقادير الثلاثة الجملة خبر الموصول ودخلته الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> معالم التنزيل و حقائق التأويل للبيهقي ج٤ ص٢٧٨  
<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٨٣  
<sup>٣</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج٤ ص٢٦٩-٢٧٠

وابتدأت الكفارة بالعتق فقد جعل الله العتق في كفارات متنوعة، وسيلة من وسائل التحرير للرقاب التي أوقعها نظام الحروب في الرق إلى أجل ينتهي بوسائل شتى هذه واحدة منها<sup>١</sup>.

ولأن المظاهر علق زوجته فلا هي زوجته تحل له، ولا هي زوجة غيره تحل لغيره فكأنه استرقها وامتلكها يفعل بها ما يشاء، لذلك كان العتق أول الكفارات ليكون زاجر له عن فعله ويفهم من خلاله أن زوجته ليست ملكا له يفعل بها ما يشاء فكانت أولى الكفارات مناسبة تماما لفعل الظهار الظالم.

وهذا أمر من الله تعالى لذلك الزوج يحفظ للزوجة حقها ويدفع عنها كل الظلم من زوجها الظالم المتغطرس الذي نسي أن الله علي كبير فوجه. وهذا العتق ارتبط بشرط وهو أن يتم ذلك العتق قبل التماس.

والتماس كناية عن الجماع ودواعيه من تقبيل ولمس عند الجمهور، قال الخازن: المراد من التماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر<sup>٢</sup>.

قوله تعالى: "مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَا" أي يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير. وحكي عن مجاهد: أنه قال إذا وطئ قبل أن يشرع في التكفير لزمته كفارة أخرى. وعن غيره: أن الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شيء أصلا، لأن الله تعالى أوجب الكفارة وأمر بها قبل المسيس، فإن أخرها حتى مس فقد فات وقتها. والصحيح ثبوت الكفارة لأنه بوطئه ارتكب إثما فلم يكن ذلك مسقطا للكفارة، ويأتي بها قضاء كما لو أخرج الصلاة عن وقتها<sup>٣</sup>. عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس "أن رجلا ظاهر من امرأته، ثم واقعها قبل أن يكفر فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: ما حملك على ما

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥٠٦

<sup>٢</sup> صفوة النفايس للصابوني ج٣ ص١٢٩٤

<sup>٣</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٤٠

صنعت ؟ قال: رأيت بياض ساقها في القمر. قال: فاعتزلها حتى تكفر عنك" وللترمذي  
"قال: رأيت خلخالها في القمر. قال: فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله".<sup>١</sup>

لذلك كان على الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا أي يعزمون على  
وطئها بعد الظهر منها فالواجب عليهم قبل الوطء لها تحرير رقبة ذكرا كانت أو أنثى  
صغيرة أو كبيرة لكن مؤمنة لا كافرة، فمن لم يجد الرقبة لانعدامها، أو غلاء ثمنها  
فيجزيه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع لعله قامت به فالواجب إطعام ستين  
مسكينا يعطي كل مسكين مدا من بر أو نصف صاع من غير البر، كل ذلك قبل أن  
يتماسا من باب حمل المطلق على المقيد.<sup>٢</sup>

"ذَالِكُمْ تُوَعَّظُونَ بِهِ"

"ذَالِكُمْ" إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره "تُوَعَّظُونَ بِهِ".<sup>٣</sup>

"ذَالِكُمْ" أي الزجر العظيم جدا الذي هو عام لكم من غير شبهة "تُوَعَّظُونَ  
بِهِ" أي يكون بمشقة زاجرا لكم عن العود إلى مقاربة مثل ذلك فضلا عن مقارفته،  
لأن من حرم من أجلها الله تحريما متأبدا على زعمه كان كأنه قتلها، ولكون ذلك بلفظ  
اخترعه وانتهك فيه حرمة أمه كان كأنه قد عصى معصية أوبق نفسه كلها إيباقا  
أخرجه إلى أن يقتلها عضوا عضوا بإعتاق رقبة من كان قتلها.<sup>٤</sup>

فهذا الحكم هو عظة وعبرة للعودة لمثل ذلك القول بل ناهيا عنه، وعظيم كعظم  
اقتراف تلك الخطيئة.

"تُوَعَّظُونَ بِهِ" أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات

<sup>١</sup> سنن أبي داود باب الظهر ج١٢ ص٢٦٥ قال الألباني: حسن،

<sup>٢</sup> أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ج٥ ص٢٨٤

<sup>٣</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ ص٢١٥

<sup>٤</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ ص٤٨٤ .

مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه<sup>١</sup>. قال الإمام النيسابوري: ويحتمل أن يعود إلى التخفيف والتوسيع لتصدقوا بالله ورسوله فإن التخفيف مناسب للتصديق والعمل بالشريعة<sup>٢</sup>.

"وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

"خَبِيرٌ" من صيغ المبالغة فعيل. فهو تعالى عالم بظواهر الأمور وبواطنها من الظاهر والتكفير وكافة الأعمال والنوايا محاسب ومجازي عليها فحافظوا على حدود ما شرعه لكم. فهو خبير بحقيقته، وخبير بوقوعه، وخبير بنيةكم فيه. وهذا التعقيب يجيء قبل إتمام الحكم لإيقاظ القلوب، وتربية النفوس، وتنبيهها إلى قيام الله على الأمر وبخبرته وعلمه بظاهره وخافيه ثم يتابع بيان الحكم فيه "فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا" أي لم تتوافر له، ولم يتمكن من عتق الرقبة لفقر أو حاجة لخدمة أو غير ذلك من الأعذار الشرعية المنصوص عليها فقها، فيجب عليه صيام شهرين متتابعين بدون انقطاع - لعذر كمرض أو عيدين أو رمضان أو كبر سن.

فلو انقطع المتتابع بشيء ما ولو كان بنسيان النية وجب عليه الاستئناف<sup>٣</sup>. من قبل أن يتماسا هو ذاته المسيس الذي ذكر في تحرير الرقبة وعتقها.

قوله: "فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا" يقتضي أن الوطء في ليل صوم الظهار يبطل الكفارة، لأن الله سبحانه شرط في كفارة الظهار فعلها قبل

<sup>١</sup> تفسير ابي السعود للقاضي ابي السعود ج٦ ص٢١٥

<sup>٢</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦ ص٢٧٢

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبعاي ج١٧ ص٤٨٤

التماس<sup>١</sup>.

"فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا"

قال أصحاب الشافعي: أنه تعالى قال في الرقبة "فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ" وقال في الصوم: "فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ" فقالوا من ماله غائب لم ينتقل إلى

الصوم بسبب عجزه عن الإعتاق في الحال أما من كان مريضا في الحال، ينتقل إلى الإطعام وإن كان مرضه بحيث يرجى زواله، قالوا: والفرق أنه قال في الانتقال إلى

الإطعام "فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ" وهو بسبب المرض الناجز، والعجز العاجل غير

مستطيع، وقال في الرقبة "فَمَنْ لَمْ يَجِدْ" والمراد فمن لم يجد رقبة أو مالا، ومن ماله

غائب لا يسمى فاقدًا للمال، وأيضا يمكن أن يقال في الفرق إحضار المال يتعلق باختياره وأما إزالة المرض فليس باختياره<sup>٢</sup>.

فمن خرج عن قدراته واستحال على استطاعته الصوم لكبر أو مرض أو شبق مفرط فعليه كفارة أخرى وهي إطعام المساكين وهذه الكفارات على الترتيب كما ذكرت في الآية وفي حديث الرسول ﷺ لخولة.

فعليه إطعام ستين مسكينا من مساكين بلده ويجزئ لو أطعمهم كلهم في يوم واحد.

قال الإمام جلال الدين السيوطي: من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد، لكل مسكين مد من غالب قوت بلده<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> احكام القرآن لابن العربي ج٤ ص١٤٤

<sup>٢</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص٢٢٧

<sup>٣</sup> تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة (٨٦٤هـ) و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) مؤسسة الريان بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٥٤٢



لو أطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزي عند الشافعي لظاهر الآية، ولأن إدخال السرور في قلب ستين أجمع وأقرب من رضا الله. وقال أبو حنيفة يجزي<sup>١</sup>.

قال الإمام الزمخشري: فإن قلت كم يعطي المسكين في الإطعام؟ قلت نصف صاعا من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة، وعند الشافعي مدا من طعام البلدة الذي يقتات فيه<sup>٢</sup>.

و يجب تقديمه على المسيس لكن يستأنف إن مس خلال الإطعام<sup>٣</sup>.

فإن قلت: ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام كما ذكر عند الكفارتين؟

قلت: اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة: أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس، وإنما ترك ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد في خلال الإطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم إذا وقع خلاله. وعند غيره: لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء<sup>٤</sup>.

روى الإمام أحمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا، وقد ساء خلقه وضجر. فدخل علي يوما فراجعته بشيء، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي، فإذا هو يريدني على نفسي. قالت: والذي نفس خويلة بيده. لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكم. قالت: فوائبني، فامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني - قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ، فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه مما ألقى من سوء خلقه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه، قالت: فوالله، ما برحت حتى

<sup>١</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٢٢١٦

<sup>٢</sup> الكشاف للزمخشري ج١٤ ص٢٢٧

<sup>٣</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج١٦ ص٢١٥.

<sup>٤</sup> الكشاف للزمخشري ج١٤ ص٣٦٧

نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي: يا خويلة، قد أنزل فيك وفي صاحبك. ثم قرأ علي: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ.. " إلى قوله تعالى: "وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: "مريه فليعتق رقبة. قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين. قالت فقلت: والله إنه لشيوخ كبير، ما به من صيام. قال: " فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر". قالت: فقلت والله. يا رسول الله ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله ﷺ: " فإننا سنعيه بفرق من تمر " قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا سأعيه بفرق آخر. قال: "قد أصبت وأحسن فتصدي به عنه، ثم استوصي بآبن عمك خيرا". قالت: فعلت. رواه أبو داود<sup>١</sup>.

فالآية بها مخرج مما لحق بالمجادلة من ضرر، بظلم زوجها لها، وكذلك كان الحكم بإبطال ذلك الظهار. وجملة "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ" يثير تساؤلا في النفس أن تقول: فماذا نشأ عن استجابة الله لشكوى المجادلة فيجاب بما فيه المخرج لها منه لأنه عزوجل هو المدبر أمور عباده وحياتهم، فهو وحده العالم بما يصلح لهم وما فيه خير لهم وما فيه شر لحالهم. فلا يجوز للمظاهر الوطاء حتى يكفر<sup>٢</sup>.

قال الزجاج: معنى الآية ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به، أي غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار<sup>٣</sup>.

لأن من قام بهذا الفعل في حال الغضب فهو عائد لرشده نادم على ما بدر منه من هدم لمنزل الزوجية وقطع الأواصر الأسرية فكان، لا بد من زاجر له. ولا أحد أعلم بتلك النفس الغاضبة والنادمة إلا خالقها.

<sup>١</sup> أخرجه أبو داود (٢٢١٤) و أحمد (٢٦٧٧٤)، ابن أبي عاصم في الاتحاد و المثاني. (٣٢٥٨) و ابن سعد في الطبقات (٥٤٧٣)، و ابن الجارود في المنتقى (٧٤٦) و ابن أبي حاتم في العطل (١٣٠٨)، و البزار (١٣٣٤) - موارد، و ابن جرير الطبري (٢٨١٤) و ابن حبان (٤٢٧٩) و الطبراني في الكبير (٦١٦) و (٦٣٣)، و البيهقي (١٥٦٥٣) و (١٥٦٨٦) و المزي في تهذيب الكمال (٣١٣٢٨) من حديث خولة بنت ثعلبة .

<sup>٢</sup> فتح القدير للشوكاني ٦ ج ١ ص ٢٢٧

<sup>٣</sup> يرجع للمصدر السابق .

"ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>١</sup>"

... وهم مؤمنون، ولكن هذا البيان، وهذه الكفارات وما فيها من ربط أحوالهم بأمر الله وقضائه. ذلك مما يحقق الإيمان، ويربط به الحياة، ويجعل له سلطانا بارزا في واقع الحياة<sup>١</sup>.

"ذَلِكَ" إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وما فيه من

معنى البعد. قد مر سره مرارا ومحلّه إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر مغل بما بعده أي ذلك واقع أو فعلنا ذلك، "لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم<sup>٢</sup>.

أي هذا الذي فرض عليكم من كفارة فهو لتصدقوا بشرع إلهكم وأن نبيكم مبلغ الوحي من إلهكم فتلتزموا وتطبقوا هذا الشرع وتتركوا ما كنتم عليه من جاهليتكم الحمقاء الظالمة. يقول جل ثناؤه "لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>٣</sup> وَتَلَّكَ حُدُودَ اللَّهِ".

أي الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من أمر الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة ملة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان "لِتُؤْمِنُوا" أي هذا الفعل العظيم الشاق لتجدد إيمانكم ويتحقق وجوده "بِاللَّهِ" أي الملك الذي لا أمر لأحد معه فتطيعوه بالانسلاخ من فعل الجاهلية، "وَرَسُولِهِ" الذي تعظيمه من تعظيمه وقد بعث بملة إبراهيم عليهما السلام، فلو ترك هذا الحكم الشديد على ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥٠٧

<sup>٢</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج١٦ ص٢١٥ .

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٨٥

وقوله: "ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام، ثم شدد سبحانه بقوله: "وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ" أي فالتزموها<sup>١</sup>.

"وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ" أي هي الفواصل بين الحنيفية السمحاء العادلة والجاهلية الجائرة، الفاصلة بين المسلمين والكافرين فهي الفرائض لله عز وجل. ولإرساء العدل الاجتماعي وفرض العدالة، والحقوق والواجبات لكل فرد.

"وَتِلْكَ" قال أبو السعود: إشارة إلى الأحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمهما كما مر غير مرة، لا يجوز تعديها<sup>٢</sup>.

"وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ" .. أقامها ليقف الناس عندها لا يستعدونها. وهو يغضب على من لا يرعها ولا يتحرج دونها. "وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" بتعديهم وتحديهم وعدم إيمانهم وعدم وقوفهم عند حدود الله كالمؤمنين<sup>٣</sup>.

أي المكذبين والمعارضين المعاندين لأحكام الله فهم في حدود المؤمنين الطائعين في حد الله عز وجل.

أولئك الكفرة العصاة لهم عذاب مغلظ يليق بهم بما ألحقوا الأذى بالمؤمنين عذابهم مغلظ شديد الألم لهم.

"وَلِلْكَافِرِينَ" بها هم جاحدوا هذه الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله يقول عذاب مؤلم، قاله الطبري<sup>٤</sup>.

ويختم القرآن بفاصلة الآية "وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ" وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" مبينا علة بيان الأحكام بأنها لأجل أن يزداد المؤمن إيمانا بعظمة التشريع فلا يلتفت إلى

<sup>١</sup> الجواهر الحسان للثعالبي ج١٥ ص٣٩٩

<sup>٢</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج١٦ ص٢١٥

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥٠٧

<sup>٤</sup> تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ج١٢ ص١٢

أحكام الجاهلية ويحذر من الاستخفاف بحدود الله<sup>١</sup>.

"إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ<sup>٢</sup> وَقَدْ أَنْزَلْنَا  
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ<sup>٣</sup> وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ<sup>٤</sup>".

لما ذكر حدوده، لوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى بشارة حافظها، وصرح  
بتهديد متجاوزيها أتبع ذلك تفصيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم<sup>٥</sup>.

وتلك العبارة الأخيرة: "وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ" ... تناسب ختام الآية  
السابقة، وهي في الوقت ذاته قنطرة تربط بينها وبين الآية اللاحقة التي تتحدث عن  
يحادون الله ورسوله. على طريقة القرآن في الانتقال من حديث لحديث في تسلسل  
عجيب<sup>٦</sup>.

"إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ" في المحادة قولان: قال المبرد: أصل المحادة الممانعة،  
ومنه يقال للبواب حداد، وللمنوع الرزق محدود، قال أبو مسلم الأصفهاني: المحادة  
مفاعلة من لفظ الحديد، والمراد المقابلة بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة، أو كان  
ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد، أما المفسرون فقالوا: يحادون، أي  
يعادون ويشاقون، وذلك تارة بالمحاربة مع أولياء الله وتارة بالتكذيب والصد عن دين  
الله<sup>٧</sup>.

يحادون الله ورسوله أي يعادونهما ويشاقونهما، فإن كلا من المتعادين كما أنه  
يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير

<sup>١</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨/ص٣٧

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧/ص٤٨٦ .

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦/ص٣٥٠٧

<sup>٤</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥/ص٢٢٨

أن ورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون المعادة والمشاققة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه<sup>١</sup>.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه، فيجعلون حدودا غير حدوده ، وذلك هو المحادة لله ورسوله.

وأما قتادة فإنه كان يقول في معنى ذلك: حدثنا بشر: قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، قال: عن قتادة قوله "إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" يقول يعادون الله ورسوله. وسمي العداء محادة لأن كل من المتعادين في حد وجهة، غير حد الآخر وجهته، وإنما ذكرت المحادة هنا دون المعادة والمشاققة لمناسبة ذكر حدود الله فكان بينهما من حسن الموقع مالا غاية وراءه<sup>٢</sup>.

فكل من خالف شرع الله الذي فرضه وانزله على لسان نبيه فهو محايد ومعاد لله ورسوله لأنه اتخذ شرعا غير شرع الله "أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا" [الفرقان: ٤٣] . فمن كان في حد مع ذاته أو مع شرع آخر فهو ممن يدخل في هذا الحكم.

وربما الخطاب عام لكل من خالف شرع الله وعارضه واستبدله بشرع آخر. ولما ذكر حدوده، ولوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى بشارة حافظها، وصرح بتهديد متجاوزيها أتبع ذلك تفضيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم لأن يغلبوا على كثرتهم وقوتهم وضعف حزبه وقتلتم "إن

الَّذِينَ يُخَادُونَ اللَّهَ" أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها، وذلك صورته صورة العداوة، مجددين ذلك مستمرين عليه بأي محادة كانت ولو كانت خفية – بما أشار إليه الإدغام كمحادة أهل الاتحاد الذين يتبعون المتشابه

<sup>١</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ ص١٦٦

<sup>٢</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ، ج٥ ص١٤٤

فيجرونه على ظاهره فيخلون به المحكم لتخل الشريعة بأسرها، فإن كثيرا من السورة نزل في المنافقين واليهود والمهادنين "وَرَسُولُهُ" الذي عزه من عزه<sup>١</sup>.

قال سعد الله جبلي: وعلى هذا ففيه وعيد عظيم للملوك وأمراء السوء الذين وضعوا أمورا خلاف ما حده الشرع وسموها إيسا<sup>٢</sup> وقانونا<sup>٣</sup>.

"كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ"<sup>٤</sup>

"كُتِبُوا" عبر بالماضي في إشارة إلى تحقيق وقوعه والفراغ من قضائه كما فرغ من ما مضى<sup>٥</sup>. وهو على طريقة "أتى أمر الله" وهو بشارة للمؤمنين بالنصر على الكفار وتحقيق كتبهم<sup>٦</sup>.

أي معناه أذلوا واخزوا ولعنوا، وذهب بعزهم وكبرهم كما حصل للأمم الماضية من خزي وذل وهوان وخسران في الدنيا والآخرة فهم المحادين لله والمعارضين لشرعه فذلك جزاء لكل معاند لشرع الله.

قال المبرد: يقال كبت الله فلانا إذا أذله، المرود بالذل يقال له مكبوت<sup>٦</sup>.

هؤلاء المحادون المشاقون المتبجحون: "كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ".

والأرجح أن هذا دعاء عليهم. والدعاء من الله سبحانه- حكم. فهو المريد. والكبت القهر والذل. والذين من قبلهم إما أن يكونوا هم الغابرين من الأقسام الذين أخذهم الله بنكاله وإما أن يكونوا الذين قهرهم المسلمون في بعض المواقع التي تقدمت نزول هذه الآية كما، حدث في غزوة بدر مثلا.

<sup>١</sup> نظم الدرر لتناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٨٦

<sup>٢</sup> إيسا هو بياض مثناه تحتية و سين مهملة، وضع قانون للمعاملة، و يقال: يسقط لفظ غير عربي، كذا قاله الشهاب و رأيت في بعض كتب اللغة التركية أن يصاغ بفتح الياء و الصاد المهملة بعدها ألف قاف معناه المنع. اه. منه.

<sup>٣</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج٤١٤ص٢٨٨

<sup>٤</sup> نظم الدرر لتناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٨٦

<sup>٥</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج٤١٤ص٢٩١

<sup>٦</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ص٢٢٩

فعلى قدر رفعة وعلو الطرف المجانب يكون ذل وهوان الطرف المجانب له،  
فما بالك إذا كانت المجانبة لله رب السموات والأرض، فأى عز يكون في جانبه، وأي  
خزي وذل وهوان لمن يجانبه تعالى.

"وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ<sup>١</sup> وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ"

تفصل هذه العبارة بين مصير الذين يحادون الله ورسوله في الدنيا ومصيرهم في  
الآخرة. لتقرير أن هذا المصير وذاك تكلفت ببيانه هذه الآيات وكذلك لتقرير أنهم  
يلاقون هذه المصائر عن جهل لا عن غموض في الحقيقة، فقد وضحت لهم وعلموها  
بهذه الآيات البينات<sup>١</sup>.

"آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ<sup>٢</sup>" واضحات لا لبس فيها ولا غموض يفتن إليها كل عاقل مبينة  
للحرام والحلال وموجبة لحدود الله وفرائضه. "وَقَدْ أَنْزَلْنَا" بلطف الله على  
عباده ورحمته بهم أنه تعالى جل وعلا هو الذي أنزل وفرض وشرع، لم يجعل ذلك  
بيد أحد غيره تعالى.

أي الذين حادوا الله كما ذكروا في الآية السابقة وعاندوه وباعدوا بينهم وبين  
شرعه وكان ذلك بمحض إرادتهم وكمال اختيارهم، لذلك استحقوا، لذلك عليه العذاب  
المهين، لأن حدود الله عز وجل وفرائضه واضحة ظاهرة جليلة لا لبس فيها، دالة على  
صدق نبيه ﷺ الذي جاء بالرسالة وبلغ شرع ربه.

أي للكافرين بكل ما يجب الإيمان به، فتدخل الآيات المذكورة دخولا أوليا،  
والعذاب المهين: الذي يهين صاحبه ويذله ويذهب بعزه<sup>٢</sup>. قاله الإمام الشوكاني.  
وبمثله قال الزمخشري والنسفي.

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦ ص ٣٥٠٧

<sup>٢</sup> فتح القدير للشوكاني ج ٦ ص ٢٣١ .



قال الإمام الطبري: وقوله: "وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ" يقول: وقد أنزلنا دلالات مفصلات، وعلامات محكمات تدل على حقائق حدود الله<sup>١</sup>. قال السيوطي: دالة على صدق الرسول<sup>٢</sup>.

"وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ"

منكرين حدوده وفرائضه والطاغين على شرعه والمغيرين له، حسابهم في الآخرة وهو العذاب الشديد المذل المهين لهم وهو ذلهم في الدنيا بكفرهم وفي الآخرة أيضا بذلهم وهوانهم، فهو عرض لمصيرهم في الآخرة من علام الغيوب ومدبر الأمور.

"وَلِلْكَافِرِينَ" أي بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فيدخل في تلك الآيات

دخولا أوليا<sup>٣</sup>. "عَذَابٌ مُهِينٌ" قال الزمخشري: يذهب بعزهم وكبرهم<sup>٤</sup>.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

فلما ذكر عذابهم ذكر وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه وكمال

قدرته فقال: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" أي يكون ذلك في وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين

المصرح بهم والمؤمنين المشار إليهم أحياء كما كانوا<sup>٥</sup>. وأكد أنه لا يترك أحدا من

خلقه غير مبعوث أكده بقوله: "جَمِيعًا".

<sup>١</sup> جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج ١٢ ص ١٣

<sup>٢</sup> تفسير الجلالين للمحلي و السيوطي ص ٥٤٢

<sup>٣</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج ٦ ص ٢١٦

<sup>٤</sup> الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٣٦٨

<sup>٥</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج ١٧ ص ٤٨٧

"يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" قال الألوسي: منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار، أو "بمهيمن" أو بإضمار اذكر أي اذكر ذلك اليوم تعظيماً له، وتهويلاً، وقيل منصوب بـ"يَوْمَ" مضمراً على أنه جواب لمن سأل متى يكون عذاب هؤلاء؟ فقيل له: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ" أي يكون اليوم الآخر، وقيل بالكافرين وليس بشيء، وقوله تعالى "جَمِيعًا" حال جاء به للتأكيد، والمعنى: يبعثهم الله تعالى كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث، ويجوز أن يكون حالاً غير مؤكدة أي يبعثهم مجتمعين في صعيد واحد<sup>١</sup>.  
إشارة إلى ما ذكر في أول السورة وفحواها من أن الله تعالى مطلع على كل شيء عالم به، وهذا الإطلاع ليس من فراغ أو هباء، وإنما هو إحصاء دقيق لا تفريط فيه وهو للحساب والجزاء فليس عبثاً.

"فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا" تأكيد آخر بعلمه الواسع الذي شمل كل شيء فلا يخفى عليه عمل كائن من كان وفي أي زمان فهو المحيط بالعالم بخلقه.

والمهانة جزاء التبجح وهي مهانة يوم يبعثهم الله جميعاً. مهانة على رؤوس الجموع. وهو عذاب يقوم على حق وبيان لما عملوا<sup>٢</sup>. وأكد الرازي بقوله: تخجيلاً وتشهيراً لحالهم، الذي يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد<sup>٣</sup>. وهذا نوع من عذابهم وزيادة لهم في التنكيل.

"فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا" من القبائح لا يبقى منهم أحد ببيان صدورها عنهم أو

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج ١٤ ص ٢٩١

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦ ص ٣٥٠

<sup>٣</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج ١٥ ص ٢٢٩

بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الأشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم<sup>١</sup>.

منصوب بمهيمن، أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم "اللَّهُ جَمِيعًا" كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث، أو مجتمعين في حال واحدة "فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا" تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد<sup>٢</sup>.

"أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ"

حفظه عليهم عز وجل في صحائفهم ليكون إثباتا عليهم لا ينكرونه، ولا حجة لهم بعد ذلك بالجحود. فلم يفته منه شيئا البتة لكل عبد عمله، وهم قد نسوه ولم يذكره لكثرة ما عملوا، لكن الله ربهم أعلم بهم من أنفسهم فهو المحصي المبدئ المعيد وهو بكل شيء عليم.

وهم نسوه، وذلك تسجيل عليهم بأنهم متهاونون بعظيم الأمر وذلك من الغرور، أي نسوه في الدنيا بله الآخرة فإذا أنبئوا به عجبوا قال تعالى: "وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا<sup>٣</sup> وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا<sup>٤</sup>" [الكهف: ٤٩].

"وَنَسُوهُ" لأنهم تهاونوا به حين ارتكبه لم يبالوا به لضرورتهم بالمعاصي، وإنما

تحفظ معظمات الأمور<sup>٤</sup>. ويمكن القول لكثرتة أو لقلته اكثرათهم بالمعاصي وإنما يحفظ معظمات الأمور<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦ص٢١٦

<sup>٢</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٤ص٣٤٣.

<sup>٣</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج٢٨ص٢٣

<sup>٤</sup> الكشاف للزمخشري ج٤ص٣٦٨

ولما كان ضبط ذلك أمرا عظيما، استئانف قوله بيانا لهوانه عليه "أَحْصَهُ اللهُ"

أي أحاط به عددا وكما وكيفا وزمانا ومكانا بماله من صفات الجلال والكمال ولما ذكر إحصاءه له، فكان ربما ظن أنه مما يمكن في العادة إحصاؤه نفي ذلك بقوله: "وَنَسُوهُ"<sup>٢</sup>.

والضمير في أحصاه، يعود إلى العمل المفهوم من قوله تعالى: «بما عملوا» أي ينبئهم الله بعملهم الذي أحصاه سبحانه وجمع ما تفرق منه، على حين أنهم نسوا كثيرا مما عملوا، ولم يعودوا يذكرونه «والله على كل شيء شهيد» أي والله عالم كل شيء عمله علم شهادة وحضور..

لا تخفى على الله خافية في الأرض ولا في السماء..<sup>٣</sup>

"وَنَسُوهُ" حينئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على خلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل "أَحْصَهُ اللهُ وَنَسُوهُ"<sup>٤</sup> "فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب إنما حاق بهم لأجله فيه مزيد توبيخ وتنديد لهم غير التخجيل والتشهير<sup>٤</sup>.

"وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" الجملة اعتراض تذييلي، ختمت الآية بشهيد

مناسبة لخاتمة الآية التي كانت عن العلم والإحاطة والشهادة على أعمال العباد وحفظها، فالشاهد هو الشاهد والعالم المحيط بعباده وبما يعملون لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

فإن الله أحصاه بعلمه الذي لا يند عنه شيء ولا يغيب عنه خاف:

<sup>١</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦ص٢٧٢

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٨٧

<sup>٣</sup> التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب المتوفى بعد (١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة ج١٤ص٨٢٢

<sup>٤</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ص٢١٦

"وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ".

وتلتقي صورة الرعاية والعناية بصورة الحرب والكناية، في علم الله وإطلاعه، وشهوده وحضوره فهو شاهد حاضر للعون والرعاية، وهو شاهد حاضر للحرب والكناية فليطمئن بحضوره وشهوده المؤمنون وليحذر حضوره وشهوده الكافرون<sup>١</sup>.

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ<sup>ط</sup> مَا يَكُونُ مِنْ جَحْوَىٰ ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ آيْنَ مَا كَانُوا<sup>ط</sup> ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>ج</sup> إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "

لما كان هذا الإخبار عن إحاطة علمه وشمول قدرته مع أنه بديهي التصور – يحتاج عند من جره الهوى إلى الشرك المقتضي للنقص إلى دليل معه فقد كان العرب ينكرون أن يسمع الناس كلهم إله واحد، قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهودي ليفيد الإنسان بما يراه من المحسوسات، قاصرا الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره<sup>٢</sup>.

هو تعالى العالم بما يتناجون به، ولا يخفى عليه ما هم فيه، وتخصيص الثلاثة والخمسة، لأنها نزلت في المنافقين، وكانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين<sup>٣</sup>.

ذكر الشعراوي: ألم تر: أي أن الذي أخبرك به الله تعالى فصدقه كما تصدق ما رأيت به بعينيك لأنه الحق وهو من الحق<sup>٤</sup>.

تبدأ الآية بتقرير علم الله الشامل لما في السموات وما في الأرض على إطلاقه، فتدع القلب يرود آفاق السماوات وأرجاء الأرض مع علم الله المحيط بكل شيء في

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥٠٨

<sup>٢</sup> نفس المصدر السابق .

<sup>٣</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج١٤ ص٣٤٣

<sup>٤</sup> يرجع إلى تفسير الشعراوي نقل بتصرف.

هذا المدى الواسع المتطاوّل من صغير وكبير، وخاف وظاهر، ومعلوم ومجهول<sup>١</sup>.  
ومن معيته تعالى بخلقه علمه الكامل بهم وإطلاعه على أحوالهم فهذه الآية أيضا تدور  
حول علم الله المطلق بخلقه وإطلاعه.

استئناف ابتدائي هو تخلص من قوله تعالى: "أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ" فهذه الآية  
جميعها تمهيد لقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤُا عَنِ النَّجْوَى"

"أَلَمْ تَرَ" من الرؤية العلمية لأن علم الله لا يرى وسد المصدر مسد المفعول  
والتقدير: ألم ترى الله عالما<sup>٢</sup>.

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" استشهاد على شمول  
شهادته تعالى كما في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ"  
[البقرة: ٢٥٨] وفي قوله تعالى: "يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" [طه: ٧] لا تخفى عليه، فذلك  
يعلمه كل مؤمن موقنا ومصداقا بكل ما تراه عينه، وكذلك تصديقه بعلم الله كتصديقه  
لعينه ورؤيتها.

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" وذلك من علمه الشامل  
المحيط بكل شيء في السموات السبع العظيمة وكذلك الأرضين السبع وما فيهن.

بأنه تعالى يعلم ما فيها من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو  
بالجزئية منهما<sup>٣</sup>.

فإفراده ﷺ بالخطاب بعد أن كان مع المظاهرين ثم المحادين إشارة إلى التعظيم  
وتأكيده تنبيه على صعوبة المقام بالتعميم ليرعى حق الرعي توفية بحق التعليم كما  
رعته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها (سبحان من وسع سمعه الأصوات)

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥٠٨

<sup>٢</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج٢٨ ص٢٣

<sup>٣</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ ص٢١٦

يعني سماعه مجادلة المرأة وهو في غاية الخفاء أي كليات ذلك وجزئياته، لا يغيب عنه شيء منه، بدليل أن تدبيره محيط بذلك على أتم ما يكون، وهو يخبر من يشاء من أنبيائه وأصفيائه بما يشاء من أخبار ذلك، القاصية والدانية، الحاضرة والغائبة، الماضية والآتية، فيكون كما أخبر<sup>١</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنه "ألم تر" أي أطلق لفظ الرؤية على هذا العلم، لأن الدليل على كونه عالما هو أن أفعاله محكمة متقنة متنسقة منتظمة، وكل من كانت أفعاله كذلك فهو عالم<sup>٢</sup>.

ويعم المبصرات والمسموعات فهو أعم من قوله: "وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" لاختصاصه بعلم المشاهدات<sup>٣</sup>. فهذه الآية لا تخلو من أي استثناء فهو يعم كل مسموع ومرئي وغير ذلك لا استثناء البتة.

و اعلم أنه سبحانه قال: "يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" ولم يقل: يعلم ما في الأرض وما في السموات وفي رعاية هذا الترتيب سر عجيب<sup>٤</sup>.

افتتحت هذه الآية بالعلم واختتمت بالعلم لإثباته المطلق له عز وجل وتأكيد على علمه المحيط بكل شيء.

"مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ"

واختلفوا في و"لا أكثر" فقرأ يعقوب أكثر بالرفع وقرأ بالنصب<sup>٥</sup>.

وقرأ الجمهور "وَلَا أَكْثَرَ" بنصب "وَلَا أَكْثَرَ" عطا على لفظ "نَجْوَى" <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٨٩

<sup>٢</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص٢٢٩

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٢٣

<sup>٤</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص٢٢٩

<sup>٥</sup> النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص٦٤

فقد بدأ عز وجل السورة بقوله "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" أي أنه كان ثالثكما وأنتما تتناجيان. ثم عقب وفصل ذلك في قوله "مَا يَكُونُ مِنْ جَوِّي ثَلَاثَةٍ".

وما زالت الآيات تتحدث عن معية الله تعالى لعباده وخلقه فذكره عاما فيما سبق وذكره خاصا للمرة الثانية في هذه الآية، فكانت المعية الأولى والخاصة في السورة هي معيته تعالى للمجادلة التي جاءت تشكو رسول الله ﷺ ولم تسمعها السيدة عائشة كما ورد في الحديث "سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها وأنا في جانب البيت لا أسمع مما تقول"، وها هي ثانية يأتي بذكرها أخرى في التناجي بين المتناجين أي كان عددهم فهو عليهم أين كانت ومتى كانت.

وروى الإمام الطبري: حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثني نصر بن ميمون المضروب، قال: ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك في قوله: "مَا يَكُونُ مِنْ جَوِّي ثَلَاثَةٍ"...إلى قوله "هُوَ مَعَهُمْ" قال: هو فوق العرش وعلمه معهم "أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"<sup>١</sup>.

النجوى أو التناجي أصله كما ذكره العلامة الراغب الأصفهاني: نجو: أصل النجاء الانفصال من الشيء ومنه نجا فلان من فلان، وأنجيته ونجيته، قال: "وَأُنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا" [النمل: ٥٣]، وذكر في مواضع عدة من القرآن، والنجوة والنجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل: سمي لكونه ناجيا من السيل، ونجيته تركته بنجوة وعلى هذا: "فَالْيَوْمَ نُجِّيكَ بِبَدْنِكَ" [النمل: ٩٣]،

ونجوت قشرة الشجرة وجلد الشاة، واشتراكها في ذلك قال الشاعر:

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنه

<sup>١</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج٢٨ص٢٣

<sup>٢</sup> جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج١٢ص١٣



سيرضيكما منها سنام وغاربه<sup>١</sup>.

و ناجيته، أي ساررته، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض وقيل: أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك، وتناجي القوم، قال: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى"، وقوله: "إِذَا تَنَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةٌ"<sup>٢</sup>، والنجوى أصله المصدر، قال: "إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ".

وقوله: "وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا" [الأنبياء: ٣] تنبيهها أنهم لم يظهرُوا بوجه لأن النجوى ربما تظهر بعد، وقال: "يَكُونُ مِنْ جُودِي ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ"<sup>٣</sup>، وقد يوصف بالنجوى فيقال: هو نجوى وهم نجوى، قال: "وَإِذْ هُمْ نَجْوَى" [الإسراء: ٤٧] والنجي والمناجي ويقال للواحد والجمع، قال: "وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا" [مريم: ٥٢] وقال: "فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا" [يوسف: ٨٠] وانتجيت فلانا استخلصته لسري، وأنجى فلان أتى نجوة<sup>٢</sup>.

وفسرهما الإمام السعدي في سورة المجادلة: النجوى هي التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون في الخير، وتكون في الشر<sup>٣</sup>.

والمعنى أن سمع الله محيط بكل الكلام، وقد سمع الله مجادلة المرأة التي ظاهر منها زوجها<sup>١</sup>. أي أن الله تعالى يكون مع المتساررين، إذا كانا اثنين فهو ثالثهما ومعهما في سرهما فهو معهما في التناجي.

<sup>١</sup> البيت لأبي العمر الكلابي، وهو في المجلد: ج٣ ص٨٥٧ و البيت في اللسان بلا عزو .  
<sup>٢</sup> مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٠٣-٥٠٤ كتاب النون .  
<sup>٣</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٤٥

و أوضح الإمام الرازي بتفصيل أكثر في مسألة العدد والحكمة من ذكر تلك الأعداد قائلا: أنه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة، وأهمل أمر الأربعة في البين، وذكرها فيه وجوها:

أحدها: أن هذا إشارة إلى كمال الرحمة، وذلك لأن الثلاثة إذا اجتمعوا، وأخذ اثنان في التناجي والمشاورة، بقي الثالث وحيدا فريدا، فيضيق قلبه ، وكذا الخمسة إذا اجتمعوا بقي وحيدا فريدا، فهذا إشارة إلى أن كل من انقطع عن الخلق ما يتركه الله ضائعا.

وثانيها: أن العدد الفرد أشرف من الزوج، لأن الله وتر يحب الوتر فخص العدد الفردي بالذكر تنبيها على أنه من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور.

وثالثها: أن أقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة، حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والإثبات، والثالث كما المتوسط الحاكم بينهما، فحينئذ تكمل تلك المشورة ويتم ذلك الغرض، وهكذا في كل جمع واجتمعوا للمشاورة، فلا بد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول، فلهذا السبب لا بد وأن تكون أرباب المشاورة عددهم فردا، فذكر سبحانه الفردين الأولين واكتفى بذكرهما تنبيها على الباقي.

ورابعها: أن الآية نزلت في قوم من المناققين، اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين، وكانوا على هذين العديدين، قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمرو، وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم: هل يعلم الله ما تقول ؟ وقال الثاني: يعلم البعض دون البعض، وقال الثالث: إن كان يعلم البعض فيعلم الكل.

<sup>١</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٤٥

وخامسها: أن في مصحف عبد الله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم، ولا أربعة إلا الله خامسهم، ولا خمسة إلا الله سادسهم، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا أخذوا في التناجي. وقد ذكر مثله الإمام النيسابوري في تفسيره<sup>١</sup>.

و هذا رد فيه من البيان الكامل للرد على قول الفراء الذي قال: أن المعنى غير مقصود والعدد غير مقصود لأنه تعالى إنما قصد وهو أنه مع كل عدد قل أو كثر يعلم ما يقولون سرا وجهرا ولا تخفى عليه خافية، فمن أجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض، إذ لا يوجد شيء في القرآن غير مقصود بل كله لحكمة فهو من لدن حكيم خبير.

وإذا كان أكثر وأشمل من ذلك العدد أو أقل منه أو أنقص فإن ذلك لا يغير شيء من علمه التام بخلقه وإحاطته لهم وتفرد به بكل أحد في أي زمان ومكان كانوا على أي حال، فلا يتقله خلق عن خلق ولا حال عن حال ولا زمان عن زمان ولا مكان عن مكان فهو صاحب العلم المطلق التام الذي وسع كل شيء برحمته علما.

أي يعلم ما يكون بينهم في أي مكان حلوا، لأن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة، روى ابن جرير عن الضحاك في الآية قال: هو فوق العرش، علمه معهم أينما كانوا<sup>٢</sup>.

وأیضا فإن قولهم: في كل مكان خطأ، لأنه لا يلزم بموجب هذا القول، أنه لا يملأ الأماكن كلها، وأن يكون في الأماكن فيه، تعالى عن ذلك، وهذا محال فإن قالوا: هو فيها، بخلاف كون المتمكن في المكان. قيل لهم: هذا لا يعقل، ولا يقوم عليه دليل. انتهى<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج ٥ ص ٢٣٠-٢٣١، و ينظر أيضا لغرائب القرآن و رغائب الفرقان

للنيسابوري ج ٦ ص ٢٧٢-٢٧٣

<sup>٢</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج ٩ ص ٥٨

<sup>٣</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج ٩ ص ٥٨-٥٩

"مَا يَكُونُ مِنْ حُجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا  
أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيَّنَ مَا كَانُوا"<sup>١</sup>

وهي حقيقة في ذاتها، ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير. صورة تترك القلوب وجلة ترتعش مرة، وتأنس مرة، وهي مأخوذة بمحضر الله . وحيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم، وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم وحيثما كان اثنان يتناحيان فانه هناك. وحيثما كانوا أكثر الله هناك. إنما لا يثبت لها قلب، ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز وهو محضر مأنوس. نعم ولكنه كذلك جليل رهيب محضر الله: "هُوَ مَعَهُمْ أَيَّنَ مَا كَانُوا"<sup>١</sup>.

ولما كانت النجوى لا تكمل إلا بثالث يحفظ الأنس بإدامة الاجتماع لأن الاثنين لا ينفردان عند عرض حاجة لأحدهما ويكونان في التناجي والتشاور كالمتنازعين، والثالث وسط بينهما مع أنه سبحانه وتر يحب الوتر، والثلاثة أول أوتار العدد، كما كان حافظا لها في أزل الأزل قال "ثَلَاثَةٌ" أي في حال من الأحوال "إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ" أي مصيرهم أربعة، فهو اسم فاعل والمعنى بعلمه وقدرته كما يكون كل من المتناجين عالما بنجوى البعض، فروح النجوى العلم بالسِر. ولما علم بالتكرير أن ما ذكر على سبيل المثال لا لمعنى يخصه من جهة العلم عم بقوله "وَلَا أَدْنَى" فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير وهو أخفى منه "مِنْ ذَلِكَ" أي الذي ذكر هو الواحد والاثنان والأربعة الذي هو بعيد عن رتبته وإن كان قد شرفه سبحانه بإطلاق معيته بعد أن لا نسبة له منها. ولما كان العلم بالكثير أعسر من أجل انتشاره، قال:

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٠٥

"ولا " أي يكون من نجوى "أَكْثَر" أي من ذلك كالسنة فما فوقها لا إلى نهاية "إِلَّا  
هُوَ مَعَهُمْ " أي يعلم ما يجري منهم وبينهم، ويلزم من إحاطة علمه إحاطة قدرته  
لتكامل شهادته<sup>١</sup>. فعلمه بالعوالم لا يستلزم قربه منها أو بعده عنها.

وهذا إخبار صادق من الله عز وجل وذكر الإمام أبو بكر الجزائري: "مَا  
يَكُونُ مِنْ نَجْوَى " أي من ذوي نجوى أو من متناجين ثلاثة إلا هو رابعهم، أي  
والله تعالى رابعهم بعلمه بهم وقدرته عليهم وهذه فائدة المعية العلم والقدرة على الأخذ  
والعطاء، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك كالاتنين، ولا أكثر إلا هو معهم  
بعلمه وقدرته وإحاطته أينما كانوا تحت الأرض أو فوقها في السماء أو دونهما، ثم  
ينبئهم أي يخبرهم ويعلمهم بما عملوا يوم القيامة ليجزيهم به، وقرر لما سبق من علمه  
بالمحادين له وبالمنافقين المناوئين للمؤمنين وسيجزي الكل بعدله وهو العزيز الحكيم  
٢

ومن رغائب الفرقان العظيم للإمام النيسابوري: "أن العدد الفرد أشرف من  
العدد الزوج لأن الله تعالى وتر ولأن الزوج يحتاج إلى الوتر دون العكس . وأن  
المتساورين الاثنين كالمتنازعين في النفي والإثبات، والثالث كالمتوسط الحكم وهكذا  
في كل زوج اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد يكون حكما فذكر سبحانه الفردين  
الأولين تنبيها على الأفراد البقية. وأن هذا إشارة إلى كمال المرحمة، وذلك أن الثلاثة  
إذا أخذ اثنان منهم في التناجي والمسارة بقي الواحد ضائعا وحيدا فيضيق قلبه فيقول  
الله تعالى: أنا جليسك وأنيسك. وكذا الخمسة إذا اجتمع اثنان منهم بقي الخامس فريدا  
فنفس الله تعالى عنه ببشارة المعية. وهذا التأويل لا يتأتى في الاثنين والأربعة فأهمل  
ذكرهما . وفيه أن من انقطع عن الخلق لم يتركه الله ضائعا"<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الايات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٨٩-٤٩٠

<sup>٢</sup> أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥ ص٢٨٧

<sup>٣</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان النيسابوري ج١٦ ص٢٧٣

"أَيْنَ مَا" (مركب من أين التي هي ظرف مكان و(ما) الزائدة وأضيف ( أين) إلى جملة "كأنوا"، أي في أي مكان كانوا فيه. و"ثُمَّ" للتراخي الرتبي لأن إنباءهم بما تكلموا وما عملوه في الدنيا في يوم القيامة أدل على سعة علم الله من علمه بحديثهم في الدنيا لأن معظم علم العلمين يعتريه النسيان في مثل ذلك الزمان من الطول وكثرة تدبير الأمور في الدنيا والآخرة. وفي وعيد لهم بأن نجواهم إثم عظيم فنهى عنه ويشمل هذا تحذير من يشاركونهم)<sup>١</sup>.

ويخبرهم بعملهم وبنجواهم التي كانت سرا عن العباد فهي معلومة من لدن الله، وذلك لحسابهم، وربما لفضحهم وتوبيخهم على معاصيهم وتهديدهم، في يوم الحساب أي يحاسب على ذلك ويجازي على قدر الاستحقاق<sup>٢</sup>.

وقرئ "يُنَبِّئُهُمْ" بالتخفيف والهمز<sup>٣</sup>.

وهذا التعريض بالوعيد على أن النهي عن التناجي كان سابقا على نزول هذه الآية والتي بعدها<sup>٤</sup>.

" ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا " (تجبيلا وتوبيخا وتشهيرا بحالهم، يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار، لما يلحقهم بهم من الخزي على رؤوس الأشهاد)<sup>٥</sup>.

"إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"

تفسير لعلمه المطلق بقوله "بِكُلِّ شَيْءٍ" أي لا تخف عليه خافية فهو محيط

بعلمه لكل شيء عليم، عظيما كان أو دون ذلك قل أو كثر. لأن نسبة المقتضية للعلم إلى الكل سواء<sup>١</sup>. وهكذا تستقر حقيقة العلم الإلهي في القلوب، بهذه الأساليب التي

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٢٥

<sup>٢</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ص٢٣١

<sup>٣</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسي ج١٤ص٢٩٤

<sup>٤</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٢٥

<sup>٥</sup> الكشاف للزمخشري ج٤ص٣٦٨

تعمق هذه الحقيقة في القلب البشري، وهي تدخل بها عليه من شتى المسالك والدروب<sup>٢</sup>.

" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُؤَلاءِ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُؤَلاءِ عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ تُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ<sup>٣</sup> حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا<sup>٤</sup> فَبِئْسَ الْمَصِيرُ<sup>٥</sup> "

ولما كان هذا الدليل أيضا تتعذر الإحاطة به قال دالا عليه بأمر جزئي واقع بعلم المحدث عنه حقيقة، فإن عاند بعده سقط عنه الكلام إلا بحد الحسام<sup>٣</sup>.

واختلفوا في "يَتَنَجَّوْنَ" فقرأ حمزة ورويس بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم من غير ألف على يفتعلون<sup>٤</sup>.

ذلك التقرير العميق لحقيقة حضور الله وشهوده في تلك الصورة المؤثرة المرهوبة تمهد لتهديد المنافقين، الذين كانوا يتناجون فيما بينهم بالمؤمرات ضد الرسول ﷺ وضد الجماعة المسلمة بالمدينة مع التعجيب من موقفهم المريب<sup>٥</sup>.

(ولما كانت المحادة لله ورسوله ﷺ، بدايتها التناجي بالإثم، فإن الآية التالية تعالج هذا الموضوع، وتدلل المسلم على آداب التناجي الحق، وآداب المجالس، وأدب مناجاة رسول الله ﷺ، مما يشير إلى أن الله عز وجل إذ يطهر المسلم من أخلاق

<sup>١</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ ص٢١٧

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥٠

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ ص٤٩٢ .

<sup>٤</sup> النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص٦٤٢

<sup>٥</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥٠

الفاسقين، فإنه يحققه في الوقت نفسه بأخلاق المؤمنين، فالهدم والبناء والتخلية والتحلية كلها تمشي مع بعضها)<sup>١</sup>.

(والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرار عودهم وتجده واستحضر صورته العجيبة)<sup>٢</sup>.

وذكر ابن عاشور: (ظاهر قول مجاهد وقتادة: نزلت في قوم من اليهود والمنافقين نهاهم رسول الله ﷺ عن التناجي بحضرة المؤمنين فلم ينتهوا، وفي قوله

"هُوَ عَنِ النَّجْوَى" وقوله "وَمَعَصَيْتِ الرَّسُولِ" دلالة على أنهم منافقون لا يهود لأن النبي ﷺ ما كان ينهى اليهود عن أحوالهم. وهذا يرد قول من تأول الآية على اليهود وهو قول مجاهد وقتادة، بل الحق ما في ابن عطية عن ابن عباس أنها نزلت في المنافقين)<sup>٣</sup>.

(وكانت اليهود والمنافقين يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا، فنهاهم الرسول ﷺ، فعادوا لمثل فعلهم، وكان تناجيتهم بما هو إثم وتواصل بعصية الرسول ومخالفته)<sup>٤</sup>. وكان هذا دأب المنافقين وعادتهم في أذية المؤمنين والمكر بهم.

"ثُمَّ" في قوله "ثُمَّ يَعُودُونَ" للتراخي الرتبي لأن عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها أعظم من ابتداء النجوى.

لأن ابتداءها كان أثما لما اشتملت عليه نجواهم من نوايا سيئة نحو النبي ﷺ والمسلمين، فاما عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها فقد أرادوا بها تمردا على النبي

<sup>١</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى ج ١٠ ص ٥٧٨٩

<sup>٢</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج ٦ ص ٢١٧

<sup>٣</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٢٦-٢٨

<sup>٤</sup> مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج ٤ ص ٣٤٣-٣٤٤



ﷺ ومشاققة للمسلمين. والاستفهام في قوله "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُمْ أَعَنِ النَّجْوَى" تعجبي

مراد به توبيخهم حين يسمعونه<sup>١</sup>.

تدل الآية على أنه تم نزول حكم النجوى وكان النهي عنها وتحريمها، ويدل على ذلك قوله تعالى "هُمُ" فورود الفعل بصيغة الماضي يدل على أنه قد حدث من قبل فهو تعجب من حال هؤلاء المنافقين الذين يكرهون الإسلام فقد تم نهيهم عن ذلك الحكم وذلك لصدوره منهم، وقيامهم به مرارا وتكرارا لذلك كانت هذه الآية توبيخا لهم على عنادهم وإصرارهم على الذنب.

قال ابن عباس رضي الله عنه: "نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون إليهم ويتغامزون بأعينهم يوهمونهم عن أقاربهم أنهم أصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى تقدم أقاربهم فلما كثر ذلك منهم شكوا المؤمنون إلى الرسول ﷺ فنهاهم أن يتناجوا دون المؤمنين فعادوا لمثل فعلهم، وقال مجاهد: نزلت في اليهود. "ثُمَّ يَعُودُونَ" صيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجده واستحضار صورته العجيبة<sup>٢</sup>.

"وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ"

وما نهوا عنه تم تفصيله في هذه الآية وهي الأمور المنهي عنها في النجوى وهي: قال ابن عاشور: "بِالْإِثْمِ": المعصية وهو ما يشتمل عليه تناجيهم من كلام الكفر وذم المسلمين.

و "الْعُدْوَانِ" بضم العين: الظلم وهو ما يدبرونه من كيد للمسلمين.

<sup>١</sup> يرجع إلى المصدر السابق نقل بتصرف .

اروح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج ١٤ ص ٢٩٥

"وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ": مخالفة ما يأمرهم به ومن جملة ذلك أنه نهاهم عن

النجوى وهم يعودون لها<sup>١</sup>. وهي أمور خفية في صدورهم يبطنونها ويظهرون خلافها لذلك كشفها علام الغيوب وفضحهم ونبي النبي ﷺ و المؤمنين بمكرهم وعدائهم.

و قرأ حمزة، وطلحة، والأعمش، ويحيى بن وثاب، ورويس "و ينتجون" – بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم مضارع انتجى<sup>٢</sup>.

(بدأ بالآثم لعمومه، ثم بالعدوان لعظمته في النفوس إذ هي ظلمات العباد، ثم ترقى إلى ما هو أعظم وهو معصيتهم للرسول ﷺ وفي هذا طعن على المنافقين إذا كان تناجيهم في ذلك)<sup>٣</sup>.

"وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ"

وهذا من معصيتهم للرسول ﷺ وأنموذجاً منها. فكانوا يلقون التحية عليه بغير ما أنزل الله، وكانت دعاءا عليه، عليه الصلاة والسلام – والعياذ بالله - بغير لفظ السلام. فكانوا يحرفون السلام بقولهم السام عليك: أي الموت، أو قولهم بتحايا الجاهلية مثل أنعم صباحا أو غير ذلك، مريدين بذلك معصيته ﷺ ومخالفة أمره. والله تعالى يقول: "وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ" [النمل: ٥٩].

وخالف ابن عاشور ذلك الرأي بقوله: (وليس المراد من هذه ما ورد في حديث: أن اليهود كانوا إذا حيوا النبي ﷺ قالوا: السام عليك، وأن النبي ﷺ كان يرد عليهم بقوله "و عليكم" فإن ذلك وارد في قوم معروف أنهم من اليهود. وما ذكر أول

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٢٨

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج ١٤ ص ٢٩٥

<sup>٣</sup> البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ١٨ ص ٢٣٦

هذه الآية لا يليق حمله على أحوال اليهود كما علمت آنفا ولو حمل ضمير "جَاءُوكَ"

على اليهود لزم عليه تشتيت الضمائر<sup>١</sup>.

ويجوز أن يكون هذا صحيحا ولكنه لا يخرج من أن الآية منذ بدئها شملت اليهود والمنافقين فقد ذكر الإمام الزمخشري أنها في اليهود والمنافقين حيث كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، يريدون بذلك أن يغيظوهم. <sup>٢</sup>.. وهذا لا يعارض ما ورد في آية النجوى التي شمل خطابها اليهود والمنافقين، وكذلك هذه الآية. وقد ذكر ابن عاشور أن ما اعتمده في هذه الآيات أنها نزلت في اليهود والمنافقين<sup>٣</sup>. لذلك لا وجود لتشتيت الضمائر كما ذكر إذا قلنا أنها نزلت في قوم من اليهود.

يخبرنا القرآن عما يدور في خلجات نفوس هؤلاء المتناجين من قولهم بأنفسهم لو كان محمد نبيا حقا لعذبنا الله على هذا الكلام وعجل عقابنا في الدنيا<sup>٤</sup>.

فبعد أن ذكر حالهم في اختلاء بعضهم ببعض ذكر حال نياتهم الخبيثة عند الحضور في مجلس الرسول ﷺ فإنهم يتتبعون سوء نياتهم من كلمات يتبادر منها للسامعين أنها صالحة فكانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يخفتون لفظ (السلام عليكم) لأنه شعار الإسلام ولما فيه من جمع معنى السلامة، يعدلون عن ذلك ويقولون: أنعم صباحا، وهي تحية العرب في الجاهلية لأنهم لا يحبون أن يتركوا عوائد الجاهلية. نقله ابن عطية عن ابن عباس<sup>٥</sup>. وهذا شر منهم أنهم إذا جاءوا رسول الله ﷺ حيوه بغير تحية الله له وبغير ما أمرهم به، فكانوا يلوون ألسنتهم ويحرفونها ويدعون عليه - عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين -

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٢٩

<sup>٢</sup> انظر الكشاف للزمخشري ج٤٤ص٣٦٩

<sup>٣</sup> يرجع للتحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٢٦

<sup>٤</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨ص٤٣

<sup>٥</sup> نقل من التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٢٨

"وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ"<sup>١</sup>

(أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسرره، فلو كان هذا نبيا حقا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا<sup>١</sup>. وذلك من زيادة عنادهم وإصرارهم على المعصية ومن جحودهم بالرسالة وبعلم الله عز وجل، ونكرانهم اطلاعه على أحوالهم).

روى الطبري حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، قوله "وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ تُحْيِكَ بِهِ" .. إلى "فَبِئْسَ الْمَصِيرُ" قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سام عليكم، قال الله: "حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ"<sup>٢</sup>.

استحقوا هذا العذاب لمعاصيهم التي ذكرت في أول الآية ونفاقهم ومكرهم بالإسلام والمسلمين.

قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين، وإذا حاوَّك حيوك هو قولهم: السام عليكم، يريدون الموت، ثم كشف الله تعالى خبث طويتهم والحجة التي إليها يتسرحون، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان محمدا نبيا لعذبنا بهذه الأقوال التي تسيئه، وجعلوا أن أمرهم مؤخر إلى عذاب جهنم<sup>٣</sup>. كان لهم "فَبِئْسَ الْمَصِيرُ" مآلهم وخلودهم. لما استعجلوه من العقوبة عليهم في الدنيا فكان لا بد من انتظارهم لجهنم التي هي دارهم وقرارهم فهم يصلونها ويقاسون حرها ولهيبتها.

<sup>١</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩١

<sup>٢</sup> الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ج١٢ ص١٥٥ حديث رقم (٣٣٧٦٤)

<sup>٣</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المتوفى سنة (٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ج١٥ ص٤٠٠

و ظاهر من سياق السورة من مطلعها أن الله قد أخبر الرسول ﷺ بما كانوا يقولونه في أنفسهم، وبمجالسهم ومؤامراتهم. فقد سبق في السورة إعلان أن الله قد سمع للمرأة المجادلة، وأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم. الخ. مما يوحي بأنه أطلع رسوله على مؤامرات أولئك المنافقين وهو حاضر مجالسهم أو بما يقولونه كذلك في أنفسهم.

ثم رد عليهم بقوله تعالى: "حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا <sup>ط</sup> فَبِئْسَ الْمَصِيرُ"

و كشف هذه المؤامرات الخفية، وإفشاء السلام نجواهم التي إليها بعد ما نهوا عنها، وكذلك فضح ما كانوا يقولونه في أنفسهم: "لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ". هذا كله هو تصديق وتطبيق لحقيقة علم الله بما في السموات وما في الأرض، وحضوره لكل نجوى، وشهوده لكل اجتماع. وهو يوقع في نفوس المنافقين أن أمرهم مفضوح، كما يوحي للمؤمنين بالاطمئنان والثوق<sup>١</sup>.

"يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى <sup>ط</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦١﴾"

و ما نهى عن النجوى ودم على فعلها وتوعد عليه فكان ذلك موضع أن يظن أن النهي عام لكل نجوى وإن كانت بالخير استأنف قوله مناديا بالأداة التي لا يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبرا بأول أسنان الإيمان باقتضاء الحال له<sup>٢</sup>.

بدأ الخطاب بأداة النداء "يا" التي للبعيد للدلالة على علو منزلة المنادى ووصفوا أجمل الأوصاف "الَّذِينَ ءَامَنُوا" وعبر بأداة التي تجزم بوقوع فعل

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥٠٩

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ ص٤٩٣ .

الشرط بعدها للدلالة على أساس البر والتقوى وذلك لأن التقوى هي الدافع إلى فعل الخير واجتناب الإثم<sup>١</sup>.

وفي هذه الآيات يلتفت إلى الذين آمنوا يخاطبهم بهذا النداء: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا" لينهاهم عن التناجي بما يتناجى به المنافقون من الإثم والعدوان ومعصية الرسول، ويذكرهم بتقوى الله، وبين لهم أن النجوى على هذا النحو هي من إحياء الشيطان "الذين آمنوا" فلا تليق بالمؤمنين<sup>٢</sup>. ونهوا عن النجوى لأن الله كما ذكرنا مطلع على أحوالهم ومحصي أعمالهم، فلا ينبغي للمؤمنين أن يكونوا ممن يتناجون بالسوء.

قال مقاتل أراد بقوله "ءَامَنُوا" المنافقين أي بلسانهم، قال عطاء: يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول<sup>٣</sup>.

(ويجوز أن يكون خطابا للمؤمنين الخالص بأن وجه الله الخطاب إليهم تعليما لهم بما يحسن من التناجي وما يقبح منه بمناسبة ذم تناجي المنافقين فلذلك ابتدئ بالنهاي عن مثل تناجي المنافقين وإن كان لا يصدر مثله من المؤمنين تعريضا بالمنافقين، مثل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا

لِأَحْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا

لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ" [آل عمران: ١٥٦])<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج ٨/ص ٤٤٤

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦/ص ٣٥٠٩

<sup>٣</sup> معالم التنزيل للبخاري ج ٤/ص ٢٨٠

<sup>٤</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨/ص ٣٠

( كما يفعله المنافقون، فالخطاب للخلص تعريضا بالمنافقين، وجوز جعله لهم وسموا مؤمنين باعتبار ظاهر أحوالهم)¹.

وعزا سيد قطب ذلك إلى أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بحاسة التنظيم الإسلامي، وكانوا يجتمعون عندما تحزب الأمور، ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيدا عن قيادتهم الأمر الذي لا تقره طبيعة الجماعة الإسلامية، وروح التنظيم، التي تقتضي عرض كل رأي وكل فكرة وكل اقتراح على القيادة ابتداء، وعدم التجمعات الجانبية في الجماعة كما يبدو أن بعض هذه التجمعات كان يدور فيها ما قد يؤدي إلى البلبلة، وما يؤدي الجماعة المسلمة ولم يكن قصد الإيذاء قائما في نفوس المنتاجين - ولكن مجرد إشارتهم للمسائل الجارية وإبداء الآراء فيها على غير علم، قد يؤدي إلى الإيذاء، وإلى عدم الطاعة وهنا يناديهم الله بصفتهم التي تربطهم به، وتجعل للنداء وقعه وتأثيره: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا"².

فإن كان ولا بد واضطررتم للمناجاة في خير يخصكم ويخص إخوانكم المسلمين فلا بد من توفر قواعد وضوابط لتلك المناجاة تراعوا فيها جانب غيركم من المسلمين.

ويؤخذ من الآيات فائدة عظيمة وهي عدم قذف قلوب المؤمنين بالنفاق والرياء. لأن الله تعالى خاطب المنافقين بقوله "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا" باعتبار أنهم أظهروا الإيمان.

كما ذكر المفسرون. فيفهم من ذلك أن الحكم يكون بظاهر الأعمال. وأما السرائر يكون الحكم عليها من المولى عز وجل، فذلك ليس من شأن العباد. والله تعالى أعلم.

"فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ"

¹ الجامع للأحكام القرآن للقرطبي ج ١٩ ص ٢٤٩

² انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦ ص ٣٥١، نقل بتصرف.

وإذ أخذنا أن الخطاب للمؤمنين فهو أدب لهم مع إخوانهم وقيد للمنكر الذي كانوا معتادين على فعله قبل الإسلام فإن اضطروا لذلك الأمر عليهم توخي الحذر من الإثم والعدوان ومعصية الرسول والبعد وعن كل رذيلة تضرهم وتضر إخوانهم لأنه سبحانه العالم بخلجات نفوسهم وما يدور في ضمائرهم.

نهى تعالى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود وأمرهم أن يتناجوا بالطاعة والتقوى، والعفاف عما نهى عنه<sup>١</sup>. فهو عالم بحالهم في الدنيا وفي الآخرة. وبين لهم ما يليق بهم وبإخوانهم من أحوال يجوز لهم التناجي فيها فيقول لهم "وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى" لتدبير وسائلهما وتحقيق مدلولهما.

(وصى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بأنه لا يكون لهم تناج في مكروه، وذلك عام في جميع الناس إلى يوم القيامة، وخص "الإِثْمَ" بالذكر لعمومه والعدوان لعظمته في نفسه، إذ هي ظلمات العباد، وكذلك معصية الرسول ذكرها طعنا على المنافقين إذ كان تناجهم في ذلك)<sup>٢</sup>.

(ولما أن نهيمهم إنما هو عن شر يفسد ذات البين وهو ما لا يريدون اطلاع النبي ﷺ، صرح بقوله حثا على إصلاح ذات البين لأن خير الأمور ما عاد بإصلاحها، وشر الأمور ما عاد بإفسادها: "وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ" أي الخير الواسع الذي فيه حسن التربية، ولما كان كذلك قد يعمل طبعاً، حث على القصد الصالح بقوله: "

<sup>١</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٤٩

<sup>٢</sup> المحرر الوجيز لابن عطية ج١٥ ص٢٧٧



التَّقْوَى " وهي ما يكون في نفسه ظاهرا أنه يكون سترة تقي من عذاب الله بأن يكون مرضيا لله ورسوله)<sup>١</sup>.

وعلق الرازي قائلا: (واعلم أن القوم متى تناجوا بما هذه صفته قلت مناجاتهم، لأن ما يدعو إلى مثل هذا الكلام يدعو إظهاره، وذلك يقرب من قوله: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ" [آل

عمران: ١١٤] وأيضا متى عرفت طريقة الرجل في هذه لم يتأذى من مناجاته أحد)<sup>٢</sup>.

(أعلم أن المناجاة إذا كانت على طريقة البر والتقوى فقلما تقع الداعية إلى كتمانها فلا تكره النجوى ولا يتأذى بها أحد إذا عرفت سيرة المناجي فلهذا أمر سبحانه أن لا يقع التناجي إلا على وجه البر)<sup>٣</sup>.

وكان منذ ذلك مناجاة خولة رضي الله عنها وهي مناجاة البر في أمر زوجها للمحافظة على بيتها وأبنائها ورعايتهم فكانت أنموذجا للرعاية الأسرية المحافظة على أوامر روابط الأسرة التي تنبذ عادات الجاهلية وتقي منها، فكان عرض المثال أولا ومن ثم تفصيل المناجاة وتوضيحها.

"وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"

تكرار التقوى في أكثر من موضع لعظم شأنها لأن المؤمن سيحاسب عليها عند حشره يوم الحساب لذلك كان لابد على المؤمنين أخذها والعمل بها وجعلها منهاج حياتهم.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧/٤٩٤

<sup>٢</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥/٢٣٣

<sup>٣</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦/٤٧٤

(فلما كانت التقوى أم المحاسن، أكدها ونبه عليها بقوله: "وَأَتَّقُوا" أي اقصد

قصدا يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الأعظم وقاية. ولما كانت ذكرى الآخرة هي مجمع المخاوف ولاسيما فضائح الأسرار على رؤوس الأشهاد قال:

"الَّذِي إِلَيْهِ" خاصة "تُحْشَرُونَ" أي تجتمعون بأيسر أمر وأسهله بقهر وكره، وهو

يوم القيامة)<sup>١</sup>.

في قوله: "الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (تذكير بيوم الجزاء. فالمعنى الذي يدعو إليه

تحشرون فيجازيكم)<sup>٢</sup>.

(أي وخافوا الله بامثالكم أو امره واجتتابكم نواهيه، الذي سيجمعكم للحساب،

ويجازي كلا بعمله)<sup>٣</sup>.

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا

بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

ولما شدد سبحانه في أمر النجوى وكان لا يفعلها إلا أهل النفاق، فكان ربما

ظن ظان أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين، قال سارا للمخلصين وغاما للمناققين

ومبيناً أن ضررها إنما يعود عليهم<sup>٤</sup>. و هو أدب رفيع كما أنه تحفظ حكيم لإبعاد كل

الريب و الشكوك .

(ثم ها هو ينفردهم من التناجي والمسارة والتدسس بالقول في خفية عن

الجماعة المسلمة، التي هم منها، ومصلتهم مصلتها، وينبغي ألا يشعروا بالانفصال

عنها في شأن من الشؤون فيقول لهم: إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٩٤

<sup>٢</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٣١

<sup>٣</sup> صفوة التفاسير للصابوني ج٣ص١٢٩٧

<sup>٤</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٩٤ .

بالحديث تبث في قلوبهم الحزن والتوجس، وتخلق جوا من عدم الثقة، وأن الشيطان لن يبلغ فيهم ما يريد<sup>١</sup>.

(تسلية للمؤمنين وتأنيس لنفوسهم يزال به ما يلحقهم من الحزن لمشاهدة نجوى المنافقين لاختلاف مذاهب نفوسهم إذا رأوا المتناجين في عديد الظنون والتخوفات، فالجملة استئناف ابتدائي اقتضته مناسبة النهي عن النجوى)<sup>٢</sup>.

لذلك هي من الآثم والعدوان ومخالفة الرسول ﷺ، فهذه النجوى من عمل الشيطان وصنيعه فهو لا يتبعه إلا حزبه وأوليائه الذين ذكرتهم الآيات.

قال ابن كثير: (أي إنما يصدر هذا من المتناجين عن تزيين الشيطان وتسويله)<sup>٣</sup>.

### "لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا"

روى الطبري حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، قال: كان المسلمون إذا رأوا المنافقين يتناجون، يشق عليهم فنزلت "إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا"<sup>٤</sup>. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه"<sup>٥</sup>. فيه تنبيه على التعليل بقوله: "من أجل أن يحزنه" أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله. وذلك بأن يقدر من ألقيات وأحاديث النفس. وحصل ذلك كله من بقائه وحده فإذا كان معه غيره أمن ذلك، وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلا، لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥١

<sup>٢</sup> التحرير و التلوين لابن عاشور ج٢٨ ص٣١

<sup>٣</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٢.

<sup>٤</sup> جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج١٢ ص١٦-١٧ حديث رقم (٣٣٧٧٢)

<sup>٥</sup> أخرجه البخاري ٦٢٩٠ و مسلم ٢١٨٣ و مالك ٩٨٨٢ و الحميدي ٦٤٥ و ابن أبي شيبة ٥٨١١٨ و أحمد ٥١٢

و ابن ماجه ٣٧٧٦ و ابن حبان ٥٨٠ من حديث ابن عمر .

العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع أولى، وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال، وإليه ذهب ابن عمرو ومالك والجمهور.

وسواء أكان التناجي في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن يقع به. قاله القرطبي<sup>١</sup>.

"وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ"<sup>٢</sup>

قال الزمخشري: (كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله؟ قلت: كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا، فقال: لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله؟ أي بمشيئته، وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة)<sup>٣</sup>.

فالتناجي يوهم الذين آمنوا ما ليس واقعا فأعلمهم أن لا يحزنوا بالنجوى لأن الأمور تجري على ما قدره الله في نفس الأمر حتى تأتيهم الأخبار الصادقة. فالضر والنفع بيد الله تعالى ليس للشيطان أمر فيها، قال تعالى: "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ" [الحجر: ٤٢] فهو مصرف أمور عباده متوكل بها.

ولأن المقصود تسلية المؤمنين وتصبر على أذى المنافقين ولذلك عقب بقوله: "وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا" ليطمئن المؤمنون بحفظ الله إياهم من ضر الشيطان<sup>٣</sup>.

فهو سبحانه المدبر للكون فهو العالم أن تلك المناجاة ليست سوى غوغاء كلامية لا ضر من ورائها ولا أذية منها، فالسورة لا تزال في شمولها لعلم الله بالوجود وإحاطته بخلقه إذ هو الأعلم بحال المنافقين وخبائهم حيث يعرض حالهم ويفضح أمرهم ويكشف سرهم وينبه المسلمين ويهذب نفوسهم إلا يحذوا حذو هذه الفرقة الضالة المخادعة.

<sup>١</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٥٠

<sup>٢</sup> تفسير الكشاف للزمخشري ج٤ ص٣٧٠

<sup>٣</sup> ينظر إلى التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٣٢-٣٣ بنقل بتصرف .

(فهم قوم ياكلون أمرهم إليه، ويفوضون جميع شؤونهم إلى عونه، ويستعيذون به من الشيطان ومن كل شر، فهو الذي سلب الشيطان بالوساوس ابتلاء للعبد وامتحانا ولو شاء لصرفها عنه<sup>١</sup>. ولذا ختمت الآية فاصلة بقوله تعالى: "وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" ليخسوا من بيده الضر النفع بالتوكل عليه دون غيره)<sup>٢</sup>.

(فالمؤمنون لا يتوكلون إلا على الله، فليس وراء ذلك توكل، وليس من دون الله من يتوكل عليه المؤمنون)<sup>٣</sup>.

الله الرحمن الرحيم الذي يمنع الضر عن عباده المؤمنين هو الذي عليه التكلان ويجب الوقوف ببابه والاعتصام بحبله المتين فهو ملجأ المؤمنين ولي حزبه وناصره.

"وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" قال الإمام القاسمي: (أي: بالمضي في سبيله، والاستقامة على أمره، وانتظار النصر على أثره)<sup>٤</sup>.

(ولما نهى سبحانه عن التناجي والسرار علم منه الجلوس مع الملائكة فذكر جل وعلا آداب بعده بقوله عز من قائل): "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي

الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ<sup>٥</sup> وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ<sup>٦</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ<sup>٧</sup>"

<sup>١</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٢٥٠

<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج ٨ ص ٤٤٤

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦ ص ٣٥١٠

<sup>٤</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج ٩ ص ٦٠

<sup>٥</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج ٤ ص ٢٩٧

لما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباحة الأجسام اللازم عنها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن، معلما لهم بكمال رحمته وتمام رأفته بمراعاة حسن الأدب بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة، فقال مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا في الإيمان لأنهم المحتاجون لمثل هذا الأدب<sup>١</sup>.

حصل الفصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأدب مع رسول الله ﷺ وتلك المرأة أولى من مراعاة اتحاد سياق الكلام<sup>٢</sup>.

(ولما نهى الله عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر أمرهم بما يكون سببا لزيادة المحبة والمودة والتوافق)<sup>٣</sup>.

ففي هذه الآية أدب مجلس الرسول ﷺ ، والآية التي بعدها تتعلق بالأدب في مناجاة الرسول ﷺ ، وأخرى تلك عن آيات النجوى العامة ايذانا بفضلها دون النجوى التي تضمنتها الآيات السابقة، فاتحاد الجنس في النجوى هو مسوغ الانتقال من النوع الأول إلى الثاني، والإيماء إلى تميزها بالفضل هو الذي اقتضى الفصل بين النوعين بآية أدب المجلس النبوي. قال الشهاب: وارتباطه بما قبله ظاهر، لأنه لما نهى عن التناجي والسرار، علم الجلوس مع الملاء، فذكر آدابه، ورتب على امتثالهم فسحة لهم فيما يريدون التفسح من المكان والرزق والصدر<sup>٤</sup>.

وهي أيضا شاملا لكل مجلس من مجالس المؤمنين التي يجتمعون فيها، والله أعلم.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٩٥ .

<sup>٢</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٣٣ .

<sup>٣</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج١٤ ص٢٩٧ .

<sup>٤</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج٩ ص٦١ .

وأيضاً قد كان للمنافقين نية مكر في قضية المجلس كما كان لهم نية مكر في النجوى، وهذا مما أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر التفسيح في المجلس النبوي الشريف. قاله ابن عاشور<sup>١</sup>.

فإنه تعالى خبير بالأعمال والنوايا، فبرغم من صدق نية المؤمنين وحسنها في القرب من رسول الله ﷺ أو الحرص على الشهادة أو غير ذلك إلى أنه تعالى شرع في تنقيتها وتهذيبها والحث على روح الجماعة والإيثار، فالمؤمن يفكر في نفسه وإخوانه معه ولا يختص بالخير لنفسه فقط بل هو مشارك لإخوانه معه.

مثل ما ذكر في أول السورة من أنه لا يتصرف كيفما يشاء بالضرر أو النفع دون التفكير فيمن حوله بل يجب عليه أن يقرر الخير لنفسه ولمن معه من المؤمنين.

وهذا في الآية رد على أكاذيب المنافقين وإشاعتهم للتباغض والتنافر، فهذا مثال آخر لأعمالهم القبيحة فكانت النجوى أولاً. وثانياً: إشاعة الفتن بين المسلمين بعضهم لبعض وبينهم وبين رسولهم ﷺ. وهو تكذيب من الله تعالى لهم بهذه الآيات ورد كلامهم.

ويظهر من بعض الروايات التي حكى بسببها نزول الآية أن لها علاقة واقعية بالمنافقين، مما يجعل بينها وبين الآيات قبلها أكثر من ارتباط واحد في السياق. قال قتادة: هذه الآية نزلت في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض. وعن مقاتل بن حيان " كان ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال الرسول ﷺ فقالوا: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد النبي ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لبعض من حوله: قم يا فلان ويا فلان، فأقام نفراً مقدار من قدم فشق ذلك عليهم وعرفت كراهيته في وجوههم

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ١٢٨ ص ٣٣

وقال المنافقون: ما عدل بإقامة من أخذ مجلسه وأحب القرب منه لمن تأخر عن الحضور، فأنزل الله تعالى هذه الآية "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا"<sup>١</sup>.

فالآية تحض على الإفصاح للقادم ليجلس، كما تحض على إطاعة الأمر إذا قيل لجالس أن يرفع فيرفع وهذا الأمر يجيء من القائد المسئول عن تنظيم الجماعة لا من القادم.

( أنزل الله هذه الآية تطيباً لخاطر الذين أقيموا، وتعليماً للأمة بواجب رعي فضيلة أصحاب الفضيلة منها، وواجب الاعتراف بمزية أهل المزاياء، إن تفسح المسلمين بعضهم لبعض في المجالس محمود مأمور به وجوباً أو ندباً لأن المكارم والإرفاق. فهو من مكملات واجب التحاب بين المسلمين وإن كان فيه كلفة على صاحب البقعة يضايقه فيه غير هي كلفة غير معتبرة إذا قوبلت بمصلحة التحاب وفوائده. وعلته هي التعاون على المصالح)<sup>٢</sup>.

والغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان. ومتى رحب القلب اتسع وتسامح، واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة، فأفسح لهم في المكان عن رضا وارتياح وهكذا يتولى القرآن تربية النفوس وتهذيبها، وتعليمها الفسحة والسماحة والطاعة بأسلوب التشويق والاستجاشة. فالدين ليس بالتكاليف الحرفية، ولكنه تحول في الشعور، وحساسية في الضمير<sup>٣</sup>.

"يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا"

<sup>١</sup> ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٩٧/٤، ونسبه إلى ابن حاتم بغير إسناد على غير عادته، و أورده السيوطي في الدرر المنتور ١٨٤٦-١٨٥ عن مقاتل بن حيان و نسبه ، إلى ابن أبي حاتم ، و أورده الواحدي في أسباب النزول ٣٥ عن مقاتل بغير إسناد .

<sup>٢</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٣٥

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥١١-٣٥١٢



اختلفوا في " الْمَجْلِسِ " فقرأ عاصم المجالس بألف على الجمع، وقرأ الباقون

بغير ألف على التوحيد<sup>١</sup>.

فأفادت قراءة الجمع على كثرة مجالسة القوم لرسول الله ﷺ وحرصهم على الانتفاع بما عنده، وأما قراءة الأفراد فدللت على أن المجالس مع كثرتها إلا أنها كانت كمجلس واحد لتألف هذه الجماعة المؤمنة بالأخذ عن النبي الكريم فجميع هذه المجالس مع تعددها أصبحت كأنها مجلس واحد لتساويها بالانتفاع منها وبعدها عن اللهو والهزل<sup>٢</sup>.

(أدب الله المسلمين هذا الأدب الرفيع الذي فيه هضم النفس في ذات الله، وبعد أن علمهم كي يكون محور حديثهم في مجالسهم)<sup>٣</sup>.

وفي هذا البيان يبين الله عز وجل للمسلمين أدبهم في مجالسهم التي يجتمعون فيها، فاجتماع يقابل اجتماعا، وتناج يقابل تناجيا، وللفاسقين طرائقهم وللمسلمين آدابهم في كل<sup>٤</sup>.

بدأت الآية بنداء المؤمنين بأحب نداء "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا" الذين جمعوا الإيمان والتصديق وتطبيق أحكام الله وهذا حكم منها وهو التفسح.

و عرف الأصفهاني التفسح: الفسح والفسيح الواسع من المكان التفسح التوسع، يقال: فسحت مجلسه فتفسح فيه، ومنه قيل: فسحت لفلان أن يفعل كذا كقولك وسعت له، وهو في فسحة من هذا الأمر<sup>٥</sup>.

من قولهم: افسح، أي تنح، ولا تتضاموا، يقال بلدة فسيحة، ومفازة فسيحة، ولك

فيه فسحة، أي سعة. وقال الإمام الرازي: ذكروا في الآية أقوالا:

<sup>١</sup> النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٦٤٢ .  
<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج ٨ ص ٤٥٥  
<sup>٣</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى ج ١٠ ص ٥٧٩  
<sup>٤</sup> يرجع للمصدر السابق ص ٥٧٩  
<sup>٥</sup> مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٣٩٦-٣٩٧، كتاب الفاء

الأول: أن المراد مجلس رسول الله ﷺ كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه، وحرصا على استماع كلامه، وكان منهم يكره أن يضيق عليه فرما سأله أخوه أن يفسح له فيأبى فأمرهم الله تعالى بأن يتعاطفوا ويتحملوا المكروه. وكان فيهم من يكره أن يمسهم الفقراء، وكان أهل الصفة يلبسون الصوف ولهم الروائح. القول الثاني: وهو اختيار الحسن: أن المراد تفسحوا في مجالس القتال، وهو كقوله تعالى: " مَقْعِدَ لِّلْقِتَالِ " [آل عمران: ١٢١].

وكان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة. والقول الثالث: أن المراد بجميع المجالس والجماع، قال القاضي: فأمروا بالنفسح إذا أمكن لأن ذلك أدخل في التعجب، وفي الاشتراك في سماع ما لا بد منه في الدين. وإذا صح ذلك في مجلسه، فحل الجهاد ينبغي أن يكون مثله بل ربما كان أولى، لأن الشديدا البأس قد يكون متأخرا عن الصف الأول والحاجة إلى تقومه ماسة فلا بد من النفسح، ثم يقاس على هذا سائر مجالس العلم والذكر<sup>١</sup>. فقد أخرج مالك، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: " لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا وتوسعوا " <sup>٢</sup>.

فالإيثار بالخير واجب وهو من صفات المؤمن النقي السريرة قال رضي الله عنه: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " <sup>٣</sup>. لذلك يجب أن يقسم الخير بينه وبين إخوانه المؤمنين ولا يستأثر به لنفسه استجابة لأمر الله عز وجل.

وخصص الشيخ السعدي هذا الأدب بأنه: تأديب من الله لعباده المؤمنين إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، احتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للنفسح له في المجلس فإن من الأدب أن يفسحوا له <sup>١</sup>.

<sup>١</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج ١٥ ص ٢٣٤

<sup>٢</sup> متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣١٣٦٥ رقم ٥٩١٤ و مسلم في صحيحه ١٧١٤/٤-٢١٧٧ و الترمذي في سننه ٨٨١٥ رقم ٢٧٤٩ جميعا من طريق نافع عن ابن عمر... به.

<sup>٣</sup> صحيح البخاري ص ١٣

( الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس، اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو جمعة، وأن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذى بذلك فيخرجه عن الضيق فالإسلام شرع الأدب لعباده في كل مكان وفي أي وقت اجتمع فيه العباد على الخير)<sup>٢</sup>.

(أمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس، لمن أراد الجلوس عند النبي ﷺ ، ليتساوى الناس في الأخذ من حظهم من رسول الله ﷺ )<sup>٣</sup>.

مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك<sup>٤</sup>.

قال صاحب البحر: أمروا أولا بالتفسيح في المجلس، ثم ثانيا بامتثال الأمر فيه إذا أمروا<sup>٥</sup>.

وكان للإمام ابن تيمية رحمه الله قول في ذلك<sup>٦</sup>: لم يكن من عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، أن يعتادوا والقيام كما يفعله كثير. بل قد قال أنس بن مالك رضي الله عنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك. ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيا له، كما روي عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: "قوموا إلى سيدكم"<sup>٧</sup> وكان سعدا متمرضا بالمدينة، وكان قد قدم إلى قريظة شرقي المدينة. والذي ينبغي للناس أن يعتادوا أتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد النبي ﷺ فإنهم خير الخلق، وهدى خير القرون إلى ما دونه. وينبغي للمطاع أن يقرر ذلك مع أصحابه،

<sup>١</sup> تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي. ص ٨٤٦

<sup>٢</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٩ ص ٢٥٢

<sup>٣</sup> لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشبلي أبو الحسن، المعروف بالخازن المتوفى سنة ( ٧٤١هـ )، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ج ٤ ص ٢٦١

<sup>٤</sup> الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٣٧٠

<sup>٥</sup> البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٨ ص ٢٣٧

<sup>٦</sup> انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج ١ ص ٣٧٤

<sup>٧</sup> المصدر: مجمع الزوائد - الصفحة أو الرقم: ٣٩/٦ خلاصة حكم المحدث: فيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات .

بحيث إذا لم يقوموا له ولا يقوم لهم، إلا في اللقاء المعتاد. وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيا له. فحسن ولو ترك ذلك لاعتقد أن ذلك بخص في حقه، أو قصد لخفضه، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة - فالإصلاح أن يقام له، لأن ذلك إصلاح ذات البين، وإزالة للتباغض والشحناء. وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة فليس في ترك ذلك إيذاء له. وليس هذا القيام هو القيام المذكور في قوله ﷺ: "من سره أن يمتثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار"<sup>١</sup> فإن ذلك أن يقوموا وهو قاعد. ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ولهذا فرقوا بين يقال (قمت إليه) و(و قمت له). والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القيام للقاعد. وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعدا في مرضه، وصلوا قياما، أمرهم بالعود، وقال: "لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضا"<sup>٢</sup>. فقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد، لئلا يشبهوا الأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود. وجماع ذلك، أو لم يعرف أنه العادة، وكان في ترك معاملته بما اعتاده الناس من الاحترام مفسدة راجحة، فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، كما يجب فعل أعظم الصالحين بتفويت أدناهما. انتهى كلام شيخ الإسلام<sup>٣</sup>.

"يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ"

(ذلك أن الجزاء من جنس العمل)<sup>٤</sup>.

أي إذا أفسح بعضكم لبعض فإن الجزاء يكون مباشرة ودون تأخير أو انتظار، لأنه وعد من الله تعالى أتى بصيغة المضارع للدلالة استمراره وحصوله - لعباده المؤمنين الممثلين لأوامره. فكل من وسع وأفسح لأخيه كان مستحقا الفسح له في كل خير.

<sup>١</sup> صحيح الترمذي - الرقم: ٢٧٥٥

<sup>٢</sup> أخرجه أبو داود (١٤١٨٠) وابن خزيمة (٤٨٦) وابن حبان (٢١٢٢) و البيهقي (٦٠٢٩) من حديث أبي أمامة الباهلي .

<sup>٣</sup> مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج١ ص٣٧٤ .

<sup>٤</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٢ .

(وهو مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك)<sup>١</sup>. وبمثله قال الزمخشري كما سبق.

"يَأْتِيهَا الَّذِينَ" حدهم بهذا الوصف على الامتثال "إِذَا قِيلَ لَكُمْ" أي من أي قائل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته: "تَفَسَّحُوا" أي توسعوا أي كلفوا أنفسكم في إيساع المواضع "فِي الْمَجْلِسِ" أي الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجد مجلسا يجلس فيه، والمراد بالمجلس جنس المكان الذي هم ماكتون به بجلوس أو قيام في صلاة أو غيرها لأنه أهل لمن يجلس فيه. وذلك في كل عصر، ومجلس النبي ﷺ، أولى بذلك وقراءة عاصم بالجمع موضحة لإرادة الجنس، "فَأَفَسَّحُوا" أي وسعوا فيه عن سعة الصدر "يَفْسَحِ اللَّهُ" أي الذي له الأمر كله والعظمة الكاملة "لَكُمْ" في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين<sup>٢</sup>.

(يعم كل ما يتطلب الناس الإفراح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة من مكان ورزق أو جنة عرضها السماوات والأرض على حسب النيات، وتقديره الجزاء موكل إلى إرادة الله تعالى)<sup>٣</sup>.

"وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا"

أدب الله المؤمنين في هذه الآيات بأداب جمعة، وها هو أدب آخر من الآداب التي حرص الإسلام على تخليق أبنائه بها، وهو في المجالس أيضا، فذكر أولا التوسع في المجالس وعدم التضيق فيها، وثانيا: أنه إذا طلب منكم المغادرة المجلس والتنحي يجب عليكم ذلك وهذا في كل أمر من أمور الخير. قال ابن حيان: أمروا أولا بالتفصح في المجلس ثم ثانيا: بامتثال الأمر فيه إذا أمروا وألا يجدوا في ذلك غضاضة.

<sup>١</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٤ ص٣٤٥. وينظر أيضا للكشاف للزمخشري ج٤ ص٣٧٠.

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٤٩٦.

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٣٤٤.

(النشور نشز: النشز المرتفع من الأرض، ونشز فلان إذا قصد نشزا ومنه فلان عن مقره نبا وكل ناب ناشز، "وَإِذَا قِيلَ أَدْنُوا فَأَدْنُوا" ويعبر عن الإيحاء بالنشز والإنشاز لكونه ارتفاع بعد اتضاع)<sup>١</sup>.

("فَأَدْنُوا" فانهضوا ولا تنتبطوا، وأصله من النشز وهو المرتفع من الأرض فإن مرید التوسعة على المقبل يرتفع إلى فوق فيتسع الموضع، أو لأن النهوض نفسه ارتفاع)<sup>٢</sup>.

و قد فسر الامام القرطبي هذه الآية تفسيراً شاملاً ملماً حيث قال:

قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما، وكسر الباقون، وهما لغتان "يَعْكُفُونَ" [آل عمران: ١٣٨] و"يَعْرِشُونَ" [آل عمران: ١٣٧] والمعنى انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير، قاله أكثر المفسرين.

و قال الضحاك ومجاهد: أي انهضوا إلى الحرب. وقال ابن زيد: هذا بيت النبي ﷺ ، وكان كل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبي ﷺ فقال الله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ أَدْنُوا" عن النبي ﷺ "فَأَدْنُوا" فإن له حوائج فلا تمكثوا، وقال قتادة: المعنى أجيئوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف. وهذا الصحيح، لأنه يعم<sup>٣</sup>. انتهى.

فالآية تأمر بالاستجابة لكل نداء خير وصلاح في الأرض، لا تخص أمراً دون آخر فكل الأمور المحمودة واجب الاستجابة لها دون تردد، أو تأخير إذ هي رفعة للمؤمن من الأنا إلى روح الجماعة والجسد الواحد فكانت النشز أنسب تعبير لها

<sup>١</sup> مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥١٢ ، كتاب النون .

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج ١٤ ص ٢٩٨

<sup>٣</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١٩ ص ٢٥٣

يناسب مقام العلو عن التفكير المجرد بالذات بل العمل والتفكير بالجماعة والإنسانية جميعها.

لذلك كانت الآية التالية لها وعد من الله عز وجل بالرفعة والخير في الدنيا والآخرة لمن استجاب لنداء مولاه من الإيمان الذي هو يشمل كل خصال الخير والفلاح وخص منها العلم لما له من فضل لا يخفى على لبيب.

"يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"

قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على غير العالم. ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو في الجنة<sup>١</sup>.

هذا وعد من الله عز وجل للمؤمنين والعالمين الممثلين لأوامره والمنفذين لها، - وهم المؤمنون الذين خوطبوا في أول الآية وها هم ينادون ثانية بنفس النداء تأكيدا له - ولأوامر رسوله ﷺ ، فإذا الخطاب للمؤمنين الذين قاموا من مجالسهم بأمر من الرسول ﷺ من أجل إخلاصهم فهذا وعد من الله لهم في الدنيا والآخرة بالثواب الجزيل والشرف في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة.

عطف "الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ" على "الَّذِينَ ءَامَنُوا" من عطف الخاص على العام، تعظيما لهم بعدهم كأنهم جنس آخر، ولذا أعيد الموصول في النظم الكريم، فلما كان المتمثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزي على تواضعه برفع الدرجات ، عن عابس بن ربيعة قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول على المنبر :  
يأيها الناس تواضعوا فلأني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من تواضع لله رفعه ..."<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المكتبة العصرية صيدا - لبنان طبعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، ج ١ ص ١٨٦-١٨٧

<sup>٢</sup> الأمانى المطلقة لبين حجر - حديث رقم ٧٥ ، حديث مرفوع  
هذا حديث غريب ورفعه منكر . أخبرنا الطبراني في الأوسط عن موسى بن زكريا عن إبراهيم بن المستمير عن سعيد بن سلام وأخرجه البيهقي في الشعب ، عن أبي عبد الرحمن السلمى عن علي بن المؤمل . عن محمد بن يونس فوقع لنا عاليا ، قال الطبراني لم يروه عن الأعمش إلا الثوري تفرد به سعيد بن سلام وكذلك قال الدارقطني في الأفراد قلت و رجاله رجال الصحيح إلا سعيد بن سلام الذي تفرد

وقيل أنه تعالى خص أهل العلم ليسهل عليهم ترك ما عرفوا بالحرص عليه من رفعة المجالس وحبهم للتصدير، وهذا من مغيبات القرآن لما ظهر من هؤلاء في سائر الإحصار من التنافس في ذلك<sup>١</sup>. قال الناصر<sup>٢</sup>: لما علم أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم، وعند الناس ارتفاع مجالسهم، خصهم بالذكر عند الجزاء، ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجلس، وتواضعا لله تعالى. انتهى<sup>٣</sup>.

قال بعض أهل العلم: المراد به الرفعة في مجلس النبي ﷺ وهو مناسب للمقام لقوله: "يليني منكم أولو الأحلام والنهي"<sup>٤</sup>.

وهذا رؤية من منظورا، وأيا كانت فهي دليل ثواب ومدح للمؤمنين العالمين فالمؤمن العالم أرفع وأفضل من المؤمن غير العالم. أخرج ابن المنذر عن ابن مسعود أنه قال: ما خص الله تعالى العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية – فضل الله الذين آمنوا وأتوا على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم بدرجات، وفي رواية أخرى عنه يا أيها الذين آمنوا افهموا معنى هذه الآية ولترغبكم في العلم فإن الله تعالى يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي لا يعلم، إنه تعالى خص أهل العلم ليسهل عليهم ترك ما عرفوا بالحرص عليه من رفعة المجالس وحبهم للتصدير<sup>٥</sup>.

فمزية العلم لا تخفى على عاقل بصير وفضله لا يسعه مداد ولا ورق وقد أكثر العلماء من الحديث وأجزلوا، ولكن يظل الباحث في الفيض من ذلك الفيض إذا هو بحر لا آخر له فأوله معرفة الله عز وجل ثم ليس له آخر ولا حد.

---

به فإنه ضعيف وقد أخبرنا أبو عبيد في غريب الحديث و من طريقه الخرطبي في مكارم الأخلاق و من رواية بكير بن الأشج، عن عبيد الله بن عدي عن عمر موقفا و لم يسمعه بكير من عبيد الله .

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج ٤ ص ٢٩٩-٣٠٠-٣٠١

<sup>٢</sup> في الانتصاف ج ٩ ص ٦٢ مطبوع على حاشية الكشاف .

<sup>٣</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج ٩ ص ٦٢

<sup>٤</sup> رواه مسلم في كتاب الصلاة حديث ١٢٢-١٢٣، و أبو داود في كتاب الصلاة باب ٩٥، و النسائي في كتاب الصلاة باب ٥٤، و ابن ماجه في كتاب الإقامة باب ٤٥، و الدرامي في كتاب الصلاة باب ٥١، و أحمد في مسنده (٤٥٧١)(١٢٢٤)

<sup>٥</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج ٤ ص ٣٠١



وذكر الإمام الغزالي في كتابه القيم إحياء علوم الدين عن فضيلة العلم ومزيتها وأجزل بذلك فهو من أكثر الكتب القيمة ويكاد يكون أعظمها.

قيل لبعض الحكماء: أي الأشياء تقتني؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت بسفينتك سبحت معك، يعني العلم. وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت<sup>١</sup>.

والقرآن خير شاهد على فضيلة العلم ومزيتها، ومن ذلك بعض الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: " رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا " [طه: ١١٤] واضح الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقهاء<sup>٢</sup>.

قوله عز وجل: " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ " [آل عمران: ١٨]. كيف بدأ سبحانه وتعالى بشهادته، وثنى بالملائكة، وثالث بأهل العلم وماذا بعد هذا الشرف الذي تكون شهادة العلماء بعد شهادة الملائكة وشهادته عز وجل.

وقال تعالى: " هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " الزمر: ٩]. فهذا استفهام استنكاري تعجبي، إذ يستحيل توافق الذين يعلمون وأصحاب العلم مع غيرهم ممن هم لا يملكون العلم فالإيمان بالله يكون عند أصحاب العلم أقوى

<sup>١</sup> إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) تحقيق و توثيق و مراجعة أحمد عناية، أحمد زهوة دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١٦.

<sup>٢</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المكتبة العصرية صيدا - لبنان طبعة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ج ١ ص ١٨٦-١٨٧.

وأكمل ممن هو عند دونهم فهم أعلم خلق الله بالله إذ علمهم به عن يقين خالص لا يشوبه شك أبداً.

قال تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۗ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" العنكبوت: ٤٣] رد حكمه في الوقائع إلا استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله.

والمصطفى ﷺ أخبر بفضيلة العلم ورفقة العالم في الكثير من الأحاديث الشريفة وعرضه بأكثر من أسلوب وبين فضله وفضل الأخذ وجزاءه عند المولى عز وجل.

قال ﷺ: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء".<sup>١</sup>

وقال ﷺ: " أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إني علمت أحب كل علم "٢. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختر العلم فأعطي المال والملك معه.<sup>٣</sup>

وقيل يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فقال: "العلم بالله عز وجل" فقيل: أي العلم تريد؟ "إن العمل ينفع مع العلم بالله، وإن كثير من العمل لا ينفع مع الجهل بالله"<sup>٤</sup>.

قال ﷺ: " العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"<sup>٥</sup> ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الورثة لتلك الرتبة.

<sup>١</sup> ابن عبد البر (إحياء علوم الدين ١/١٠) إسناده ضعيف، روضة المحدثين ج٣ ص١٤٠.

<sup>٢</sup> ابن عبد البر في العلم قال: روي عن النبي ﷺ، فذكره بغير إسناده: قاله ابن حجر.

<sup>٣</sup> الديلمي في الفردوس بدون إسناده.

<sup>٤</sup> الإحياء - الصفحة أو الرقم: ٢٢/١ خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

<sup>٥</sup> سنن أبي داود، رقم: ٣٦٤١: سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح].

وقال ﷺ : " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب <sup>١</sup> "، وقال ﷺ في تفضيل العلم على العبادة والشهادة " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم <sup>٢</sup> "

وأخرج الدرامي عن عمر بن كثير عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : "من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة <sup>٣</sup> " وعنه ﷺ : "بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضر سبعين سنة <sup>٤</sup> "

وقال ﷺ : "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء <sup>٥</sup> " فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ورد في فضل الشهادة.

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رفعه: "من التمس طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى جنة " ولم يخرج البخاري لأنه اختلف فيه على الأعمش، والراجح أنه بينه وبين أبي صالح فيه واسطة، والله أعلم <sup>٦</sup> .

وأما من الآثار ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ لكميل: " يا كميل، العلم خير من المال، والعلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق " وقال علي ﷺ أيضا: " العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العلم تلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه ". وقال ابن مسعود ﷺ: " عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفع موت رواته، فو الذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم،

<sup>١</sup> أصحاب السنن الأربعة من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

<sup>٢</sup> سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٥، غريب .

<sup>٣</sup> إسناده ضعيف : أخرجه الدرامي في المقدمة ج١١ص٩٦، رقم ٣٥٤ من طريق محمد بن إسماعيل عن يحيى بن كثير عن الحسن ... به ، و التبريزي في مشكاة المصابيح ج١١ص٨٣ ، رقم ٢٤٩ و ضعفه الألباني لإرساله و أورده العجلوني في كشف الخفا ج٢ص٣١٨ رقم ٢٤٥٠ ، و قال رواه الدارمي عن الحسن رفعه مراسلا .

<sup>٤</sup> أورده العجلوني في كشف الخفا و الإلباس ج٢ص١١٢ و قال رواه أبو يعلى و ابن عدي عن أبي هريرة بلفظه .

<sup>٥</sup> إسناده ضعيف جدا أخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٤٤٣) رقم ٤٣١٣ و ابن عدي في الكامل ٢٦٢١٥ و العقيلي في الضعفاء ٣٦٧٣ جميعا من طريق عنيسة بن عبد الرحمن عن أبان بن عثمان بن عفان ... به ، و في إسناده عنيسة بن عبد الرحمن ، قال ابن عدي : قال البخاري : عنيسة منكر الحديث ، و قال النسائي : متروك الحديث .

<sup>٦</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، ج١١ص١٨٦-١٨٧ .

فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم". وقال الأحنف رحمه الله: " كل عز لا يوطد بعلم فالإلى ذل مصيره<sup>١</sup>".

عن ابن مسعود قال: يا أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع فإن من رفعه أن يقبض أصحابه وإياكم والتبدع والتنتع وعلكم بالعتيق فإنه سيكون في آخر هذه الأمة أقوام يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد تركوه وراء ظهورهم<sup>٢</sup>.

نعم فأى عز من دون العلم وكيف يسان العز بدون العلم وهل يستطيع صاحبه صونه من دون التسلح بسلاح العلم. كلا فإنه السياج للإنسانية يحيمها من الخروج إلى الهيمية. والفضل الغير منتهي في أي زمان ومكان ولأي أحد من البشر وهو نور لمن يشاء ويختار.

وجمع القرآن الدرجات لتعددتها وتنوعها في الدنيا والآخرة، وخص أهل العلم بالذكر مع أنهم جزء من المؤمنين من باب عطف الخاص على العام تعظيما له وكأنه جنس آخر<sup>٣</sup>.

"دَرَجَتٍ<sup>٤</sup>" عالية بما جمعوا من أثرتي العلم والعمل فإن العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح، ولذلك يقتدي بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث: " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب<sup>٥</sup>"، وقال أيضا: فلما كان المتمثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس فيه من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزي على تواضعه برفع الدرجات كقوله: من تواضع لله رفعه<sup>٥</sup>.

"وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

<sup>١</sup> إحياء علوم الدين للغزالي ص ٧-١٨-١٩-٢٠-٢١

<sup>٢</sup> جامع الأحاديث مسند عبد الله ابن مسعود ، (يعقوب بن سفيان، وابن عساكر) ،أخرجه ابن عساكر ج٣٧ص٢٣٢

<sup>٣</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨ص٤٦

<sup>٤</sup> أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب (١) ، و ابن ماجه في المقدمة باب(١٧)، و أحمد في المسند (١٩٦١٥) .

<sup>٥</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج٤١٨ص٢١٨ ، و ينظر أيضا ص٣٠١

ولا شك ان من أراد أن يرفع قوما دون قوم لا بد من أن يكون عليهما بمختلف أحوالهم، خبيراً بها لذا جاءت فاصلة الآية "وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"<sup>١</sup>.

بعلمه وخبره بأحوال العباد. خبير وعالم بمن يستحق الرفعة والدرجات. ويجوز ان تكون الآية تهديد لمن لم ينفذ أوامر الله وينصاع لها.

"دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" قرئ بالتاء والياء<sup>٢</sup>.

"خَبِيرٌ" أي عالم بظاهره وباطنه فإن العلم مزينا بالعمل بامثال الأوامر واجتناب النواهي وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه، وإن كان على غير ذلك فكذلك، وقدم الجار ومدخوله وإن كان علمه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبيها على مزيد الاعتناء بالأعمال، لا سيما الباطنة من الإيمان والعلم اللذين هما الروح الأعظم، لأن المقام لنزول الإنسان عن مكانه بالتفصح والانخفاض والارتفاع، ولا يخفى ما في ذلك من حظ النفس الحامل على الجري مع الدسائس، فكان جديراً لمزيد الترهيب<sup>٣</sup>.

"يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَدَقَةٌ"

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾"

قال تعالى معظماً لرسوله ﷺ و ناهياً عن إبرامه ﷺ بالسؤال والمناجاة، ونافعاً للفقراء والتميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا، ولما نهى عما يحزن من المقال والمقام، وكان المنهي عنه من التناجي إنما هو لحفظ قلب رسول الله ﷺ عما يكدره فهو منصرف إلى مناجاتهم غيره، وكان ذلك مفهماً أن مناجاتهم له ﷺ لا حرج فيها، وكان كثير منهم يناجيه ولا قصد له إلا الترفع بمناجياته فأكثرُوا في ذلك

<sup>١</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم، ج٨/ص٦٤

<sup>٢</sup> الكشاف للزمخشري ج٤/ص٣٧٠

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧/ص٤٩٧

حتى شقا عليه ﷺ ، وكان النافع للإنسان إنما هو كلام من يلائمه في الصفات ويشاكله في الأخلاق، وكان رسول الله ﷺ أبعد الناس من الدنيا تقذرا لها لأجل بغض الله لها، أما من أراد أن ينجيه بالتصدق ليكون ذلك إمارة على الاجتهاد في التخلق بأخلاقه الطاهرة من الصروف عن الدنيا والإقبال على الله، ومظهرا له عما سلف من الإقبال عليها فإن الصدقة برهان على الصدق في الإيمان، وليخفف عنه ﷺ ما كانوا قد أكثروا عليه من المناجاة، فلا ينجيه إلا من قد خلص إيمانه فيصدق، فيكون ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة<sup>١</sup>.

(استئناف ابتدائي عاد به إلى ذكر أحوال النجوى وهو من أحوالها المحمودة. والمناسبة هي قوله تعالى: "وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ" فهذه الصدقة شرعها الله تعالى وجعل سببها مناجاة الرسول، فذكرت عقب أي النجوى لاستيفاء أنواع النجوى من محمود ومذموم)<sup>٢</sup>.

"يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا" ما زال الخطاب الحاني من رب العزة لعباده المؤمنين وها هو يناديهم بأحب النداءات التي يحبونها ويفتخرون بها، وتشعرهم بالأمن والأمان، وأقربهم لقلوبهم ونفوسهم لترغيبهم في الاستجابة، وذلك بنعتهم بالصفة التي يجب أن يمتثلوا بها فهم الذين آمنوا لذلك كان يجب عليهم تطبيق هذا الإيمان قولاً وفعلاً واعتقاداً.

وأيضاً تأصيل وتأكيد عرى الإيمان بين المؤمنين وأنها هي الرابط الأقوى والأول فيما بينهم، إذا أن المؤمن الحق هو الذي يرعى مصالح إخوانه كما لو كانت مصالحه فلا يثار بالخير لنفسه بل يجلبه له وإخوانه المؤمنين.

وهنا يعلمهم القرآن أدبا آخر في علاقتهم برسول الله ﷺ - فيبدو انه كان هناك تزامم على الخلوة برسول الله ﷺ ليحدثه كل فرد في شأن يخصه، ويأخذ في توجيهه ورأيه، أو ليستمتع بالانفراد به مع عدم التقدير لمهام رسول الله ﷺ الجماعية، أو عدم

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ص٤٩٨ .

<sup>٢</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ص٣٨ .

الشعور بقيمة وقته، وبجدية الخلوة به، وأنها لا تكون إلا لأمر ذي بال فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعاني بتقرير ضريبة للجماعة من مال الذي يريد أن يخلو برسول الله ﷺ ويقتطع من وقته الذي هو من حق الجماعة. في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة<sup>١</sup>.

"إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً"

(أي إذا أردتم المناجاة معه ﷺ لأمر من الأمور)<sup>٢</sup>. وقال القرطبي: "نَجَّيْتُمُ" أي ساررتهم<sup>٣</sup>. وقد ذكر العلماء ضروب عدة لمناجاته ﷺ ، وقد ذكر معظمها الإمام الفخر الرازي قائلاً: قال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، وأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية شح كثير من الناس فكفوا عن المسألة. قال مقاتل بن حيان: إن الأغنياء غلبوا الفقراء على مجلس النبي ﷺ وأكثروا من مناجاته حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة، فأما الأغنياء فامتنعوا وأما الفقراء فلم يجدوا شيئاً.

و يحتمل أن يكون المراد منه التخفيف عليه، ﷺ لأن أرباب الحاجات كانوا يلحون على الرسول، ويشغلون أوقاته التي هي مقسومة على الإبلاغ إلى الأمة وعلى العبادة ويحتمل أنه كان في ذلك ما يشغل القلب بعض المؤمنين، لظنه أن فلانا إنما ناجى رسول الله ﷺ لأمر يقتضي شغل القلب فيما يرجع إلى الدنيا. ويجوز أنه يميز محب الآخرة عن محب الدنيا، فإن المال محك الدواعي<sup>٤</sup>.

قال علي ؑ: هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابني عنها، قلت يا رسول الله ما الوفاء؟ قال: "التوحيد وشهادة أن لا

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥١٢

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للأوسي ج٤ ص٣٠١

<sup>٣</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٥٥

<sup>٤</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص٢٣٦

إله إلا الله" قالت: وما الفساد؟ قال: "الكفر والشرك بالله" قلت: وما الحق؟ قال: "الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك" قلت: وما الحيلة؟ قال: "ترك الحيلة" قلت: وما علي؟ قال: "طاعة الله ورسوله" قلت: وكيف أدعو الله تعالى؟ قال: "بالصدق واليقين" قلت: وماذا أسأل الله؟ قال: "العافية" قلت: وما أصنع لنجاة نفسي؟ قال: "كل حلالا وقل صدقا" قلت: وما السرور؟ قال: "الجنة" قلت: وما الراحة؟ قال: "لقاء الله" فلما فرغت منها نزل نسخها<sup>١</sup>.

وقد أضاف على ذلك الإمام القرطبي قول زيد بن أسلم: نزلت بسبب أن المنافقين واليهود كانوا ينجون النبي ﷺ ويقولون أنه أذن يسمع كل ما يقال له، كان لا يمانع أحدا مناجاته. فكان ذلك يشق على المسلمين، لأن الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم ناجوه بأن جموعا اجتمعت لقتاله. قال فأنزل الله تبارك وتعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ" الآية. فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الآية فانتهى أهل الباطل عن النجوى لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة<sup>٢</sup>.

ونظّل هنا في سياق السورة المدني إذ كان الخطاب للمنافقين لأن الله تعالى يكشف ما في نفوسهم و يفضح خبثهم و سوء نياتهم .

و بهذه الآية المباركة كانت مزية لعلي ﷺ من مزاياه الكثيرة. الذي هو من حزب الله وأنصاره وجنده وخاصته الذين رضي الله عنهم – إذ لم يعمل بهذه الآية غيره ﷺ، وكذلك عندما استفتاه رسول الله ﷺ حين سأله عن مقدار صدقة المناجاة.

عن ابن عمر ﷺ: كان لعلي ثلاث ولو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزوجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

<sup>١</sup> الحاكم و ابن أبي شيبة .

<sup>٢</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٥٥



(وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ﷺ ونفع للفقراء وتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا ودفع للتكاثر عليه ﷺ من غير حاجة مهمة)<sup>١</sup>.

"فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً"

في الكلام استعارة تمثيلية، أصل التركيب يستعمل فيمن له يدان أو كناية بتشبيه النجوى بالإنسان، وإثبات اليدين تخييل، وفي "بَيْنَ" ترشيح على ما قيل، ومعناه قبل.

"فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً" قال الزحيلي: استعارة، استعار اليدين

لما يكون قبل الشيء، أي قبل نجواكم، وهي استعارة بالكناية، حيث شبه النجوى بالإنسان وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اليدان ويصح أن يكون في التركيب استعارة تمثيلية<sup>٢</sup>.

هذا أمر من الله تعالى بتقديم صدقة قبل مناجاته ﷺ الفاء للمسارعة أي أنه قبل

المناجاة يجب تقديم الصدقة وذلك تطهير للنفس وتهديبا لها، قال تعالى: "صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" [التوبة: ١٠٣]. قال ابن كثير: (يقول تعالى أمرا

عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم مناجاة رسول ﷺ أي: يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام)<sup>٣</sup>.

قال علي ؑ: لما نزلت دعاني رسول الله ﷺ فقال: "ما تقول في دينار؟

"قلت: لا يطيقونه. قال: "كم"؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: "إنك لزهيد". فلما رأوا

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسي ج ٤ ص ٣٠١

<sup>٢</sup> التفسير المنير للزحيلي ج ٢٨ ص ٤٤

<sup>٣</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٩٤

ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا. أما الفقير فلعسرتة، وأما الغني فلشحه<sup>١</sup>. وقيل: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقيل: ما كان إلا ساعة من نهار. وعن علي<sup>عليه السلام</sup>: إن في كتاب لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم<sup>٢</sup>.

قال ابن عباس: هي منسوخة بالآية آتي بعدها وقيل: هي منسوخة بالزكاة<sup>٣</sup>. ولقد أجمع المفسرون أن هذه الآية لم يعمل بها أحد غير علي رضي الله عنه لما روي عنه، والله أعلم.

أخرج الحاكم وصححه، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وغيرهم رضي الله عنه أنه قال: إن في كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها بعدي، آية النجوى "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً" كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت النبي<sup>صلى الله عليه وسلم</sup> قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت "ءَأَشْفَقْتُمْ" الآية<sup>٤</sup>.

فكان عمله<sup>صلى الله عليه وسلم</sup> بهذه الآية مزية من مزاياه العظام الكثيرة، إذ خص بها وحده وعلى ذلك أجمعت كتب التفسير وهو المشهور كما ذكره الإمام الألويسي<sup>٥</sup>.

وظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا لأن الأمر للوجوب، ويتأكد ذلك بقوله في آخر الآية "فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" فإن ذلك لا

<sup>١</sup> أخرجه الترمذي (٣٣٠٠) وابن حبان (٦٩٤١) و أبو يعلى (٤٠٠) والبزار من رواية علقمة الأنماري به و أتم منه .و قال بعد قوله : "إنك لزهيد" : "فنزلت أشفقتكم الآية ، قال :متى خفف الله عن هذه الأمة "قال الترمذي :حسن غريب :إنما نعرفه من هذا الوجه .و قال البزار : لا يحفظ عن علي إلا بهذا الإسناد .و أما أوله و أخره فأخرجه الطبري (٣٣٧٩٥) و ابن مردويه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال :إن المسلمين ...سبق ذكر الحديث .

<sup>٢</sup> أخرجه الحاكم (٤٨٢-٤٨١١٢) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي به و أتم منه .و أخرجه ابن أبي شيبه من رواية ليث بن أبي سليم عن علي بلفظ المصنف .

<sup>٣</sup> الكشاف للزمخشري ج٤ ص٣٧٢

<sup>٤</sup> أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٢٤١٢) حديث رقم ٣٧٩٤ و ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٧٣٦٦) حديث رقم ٣٢١٢٥ من طريق مجاهد عن علي ...به، و قال الحاكم : هذا حديث صحصح عاى شرط الشيخين و لم يخرجاه .  
<sup>٥</sup> ينظر في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألويسي ، نقل بتصرف ج٤ ص٣٠٢ .

يقال إلا فيما يفقده يزول بوجوبه، ومنهم من قال إن ذلك ما كان واجبا، بل كان مندوبا واحتج عليه بوجهين:

الأول: أنه تعالى قال "ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطَهَّرُ" وهذا إنما يستعمل في التطوع لا في الفرض. والثاني: أنه لا يلزم من كون الآيتين متصلتين في التلاوة، كونهما متصلتين في النزول، وإن كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ، ثم اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ، فقال الكلبي: ما بقي ذلك التكليف إلا ساعة من نهار ثم نسخ، وقال مقاتل بن حيان: بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ<sup>١</sup>.

ذكر الإمام النيسابوري في تفسيره: قال بعضهم: هذه الصدقة مندوبة لقوله: "ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ" ولأنه أزيل العمل به بكلام متصل وهو قوله "ءَأَشْفَقْتُمْ" والأكثر على أنها كانت واجبة لظاهر الأمر، والواجب قد يوصف بكونه خيرا ولا يلزم من اتصال الآيتين في القراءة اتصالهما في النزول<sup>٢</sup>.

وعن قتادة أنه ساعة من نهار، ولم يحدد مقدار تلك الصدقة لينفق كل ذي سعة من سعته، فكلا بما تجود به نفسه وتستطيعه يداه.

وعن ابن عباس: أن صدقة المناجاة شرعت قبل الزكاة ونسخت بوجوب الزكاة، وظاهر قوله في الآية التي بعدها "فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ" إن الزكاة حينئذ شرع مفرد معلوم، ولعل ما نقل عن ابن عباس إن صح عنه أراد أنها نسخت بالاكْتفاء بالزكاة<sup>٣</sup>.

فالحكمة ظاهرة من هذه الصدقة وجلية فحكمة الصدقة عموما لا تخفى على لبيب، أما صدقة مناجاته فكانت لحاجتها في ذلك الوقت إذ كانت المدينة مليئة بالفقراء وأهل الصفة والمهاجرين كثر وكان حرص المسلمون على سؤال النبي ﷺ شديد

<sup>١</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص٢٣٦

<sup>٢</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦ ص٢٧٥

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨ ص٣٩

لاهتمامهم بأمور دينهم وتعلم كل ما يفيدهم، فكانت الصدقة نفعا يومي لهؤلاء الفقراء والمحتاجين.

"ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ"

"ذَلِكَ" أي هذه الصدقة التي أمرتم بها.

"خَيْرٌ لَّكُمْ" (أي لأنفسكم لما فيه من مضاعفة الأجر والثواب والقيام بحق الإخاء، بالعود على ذوي المسكنة بالمواساة والإغناء. "وَأَطْهَرٌ" أي لأنفسكم من رذيلة البخل والشح ومن حب المال ولإيثاره الذي قد يكون من شعار المنافقين وكان الأمر بالتصدق المذكور، نزل لتمييز المؤمن من المنافق، فإن المؤمن تسخو نفسه بالإنفاق كيفما كان، والثاني يغص به ولو في أضر الأوقات).<sup>١</sup> وذكر ابن عاشور: (وأما "وَأَطْهَرٌ" فهو اسم تفضيل لا محالة، أي أطهر لكم بمعنى: أشد طهرا، والطهر هنا معنوي، وهو طهر النفس وزكاؤها لأن المتصدق تتوجه إليه أنوار ربانية من ﷺ فتكون نفسه زكية كم قال تعالى: "تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" [التوبة: ١٠٣] ومنه سميت الصدقة زكاة).<sup>٢</sup> وقال الإمام السيوطي: "أَطْهَرٌ" لذنبوكم<sup>٣</sup>. فهي طهر للنفس والمال.

فهذه الآية كما هي السابقة من الآيات في هذه السورة في آيات لتهديب نفس المؤمنين وتأديبهم والتوسعة بين المؤمنين بعضهم البعض في مجالسهم وحديثهم وصدقتهم كذلك وقبل ذلك كله التوسعة في قلوبهم على بعضهم البعض.

<sup>١</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج ١٩ ص ٦٥

<sup>٢</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٤١

<sup>٣</sup> تفسير الجلالين للمحلي و السيوطي ص ٥٤٤

فالأيات جميعها تنمي روح الجماعة والعمل كفريق واحد بل كجسد واحد، في نفس المؤمنين بل تحثهم وتأمروهم بذلك وهي حريصة لجعل مجتمعها جسد واحد يشعر ببعضه البعض ويحنو على بعضه، يعامل الفرد فيها الجماعة على أنها ذاته، وهي كذلك تبادلته ذات المشاعر والمعاملة.

إن هذا التكليف كان له من الفائدة إعظام الرسول ﷺ وإعظام مناجاته فإن الإنسان إذا وجده الشيء مع المشقة استعظمه، وإن وجده بالسهولة استحقره<sup>١</sup>.

وهذه لطيفة رائعة من لطائف الرازي التفت إليها هو الإمام الألويسي وهي إعظام حق رسول الله ﷺ . وإعطائه حقه في كل زمان ومكان، إذ المؤمنون في ذلك الوقت حديثو عهد بالإسلام وكان لابد لهم من دروس في توفير وإجلال نبيهم ﷺ ، وغيرهم من المنافقين الذين كانوا يجب أن يعلموا قدر ومكانة نبي الأمة ﷺ ، عند ربه سبحانه وتعالى، ومن ثم عند المؤمنين.

"فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

روي عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً" قال لي النبي ﷺ : "دينار"، قلت: لا يطيقونه. قال: "نصف دينار" قلت: لا يطيقونه. قال: "فكم" قلت: شعيرة. قال: "إنك لزهيد" فنزلت "ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَاتٍ" قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة<sup>٢</sup>. وذكر القرطبي: ومعنى قوله: شعيرة. يريد وزن شعيرة من ذهب<sup>٣</sup>.

(وعرف الله أن أهل الباطل لا يقدمون بين يدي نجواهم صدقة، فانتهى أهل

الباطل عن النجوى، وشق ذلك على أصحاب الحوائج والمؤمنين، فشكو ذلك إلى

<sup>١</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج ١٥ ص ٢٣٥، و يرجع لتفسير الألويسي أيضا ج ١٤ ص ٣٠١-٣٠٢

<sup>٢</sup> أخرجه الترمذي ٣٣٠٠ بهذا اللفظ و الطبري ٣٣٧٩٦ من حديث علي ، و قال الترمذي: حسن غريب انتهى . و مداره على علي بن علقمة الأنماري قال البخاري: في حديثه نظر . فالخبر غير قوي .

<sup>٣</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٩ ص ٢٥٦

رسول الله ﷺ ، وقالوا: لا نطيعه فخفف الله ذلك عنهم ونسخها آية<sup>١</sup> "فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ"<sup>١</sup>.

(أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به قبل النجوى غفر الله لكم المغفرة التي كانت تحصل لكم لو تصدقتم لأن من نوى أن يفعل الخير لو قدر عليه كان له أجر على نيته واتفق العلماء على أن حكم هذه الآية منسوخ)<sup>٢</sup>.

وهذا من كمال رحمته على عباده المؤمنين إذ هو العالم بحالهم إذ كان الفقراء كثر لا يستطيعون دفع تلك الصدقة وكان هذا الحكم حزنا لهم، وأيضا كان تصفية لنفوس المؤمنين من الشح وحب المال، وإذ يأخذ الفقير الثواب والأجر على نيته إن أراد دفعها، وردع للغني الذي امتنع عن الدفع لتلك الصدقة لشح في نفسه وعدم بذل العطاء في سبيل الله ومرضاته.

"ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ<sup>٣</sup> فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>٤</sup> وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"

"ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ<sup>٣</sup>" (عتاب لطيف رقيق من المولى عز وجل إلى عباده المؤمنين، يخبرهم بعلمه الواسع واطلاعه على قلوبهم التي خشيت الإنفاق وشق عليها ذلك وثقل. فبعد أن شق الأمر عليهم وعلم الله منهم وكان الأمر قد أدى غايته، وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها. فخفف عنهم ونزلت هذه الآية برفع هذا التكليف، وتوجيههم إلى العبادات والطاعات المصلحة للقلوب)<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> أحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص١٤٨

<sup>٢</sup> التحرير و التنبير لابن عاشور ج٢٨ ص٤١

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥١٢

لما دل ختم الآية على التخفيف، وكان قد يدعي مدعون عدم الوجدان كذبا فيحصل لهم حرج، وكان تعالى شديد العناية بنجاة هذه الأمة، دالا على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه فقال موبخا لمن يشح على المال نادبا إلى الخروج عنه من غير إيجاب: "ءَأَشْفَقْتُمْ"<sup>١</sup>.

وفيهما من علم الله وإحاطته بما يدور في خلجات نفوس عباده.

(قال المفسرون: على أن هذه الآية ناسخة للتي قبلها فقط وجوب تقديم الصدقة لمن يريد مناجاة الرسول ﷺ وروي ذلك عن ابن عباس واستبعده ابن عطية. والاستفهام مستعمل في اللوم على تجهم تلك الصدقة مع ما فيها من فوائد لنفع الفقراء)<sup>٢</sup>.

قال ابن عباس: "ءَأَشْفَقْتُمْ" أي بخلتم بالصدقة والإشفاق الخوف من المكروه.

( وحاصل قول أبي مسلم أن ذلك التكليف كان مقدرًا بغاية مخصوصة، فوجب انتهاؤه عند الانتهاء إلى الغاية المخصوصة، فلا يكون هذا نسخًا، وهذا الكلام حسن ما به بأس، والمشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله "ءَأَشْفَقْتُمْ" ومنهم من قال: إنه منسوخ بوجوب الزكاة. انتهى)<sup>٣</sup>.

قال ابن عطية: الإشفاق: الفرع من العجز عن الشيء المتصدق به أو من ذهاب المال في الصدقة وله وجوه كثيرة يقال فيها الإشفاق<sup>٤</sup>.

أي أيها المؤمنون هل خفتم العيلة والفقير إذا امتثلتم للأمر وقدمتم النجوى قبل نجواكم لرسول الله ﷺ ، أليس الذي أمركم وشرع لكم تلك الصدقة هو أعلم بحالكم من أنفسكم وهو علام الغيوب.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٥٠٠ .

<sup>٢</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص ٤٢

<sup>٣</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص ٢٣٧

<sup>٤</sup> المحرر الوجيز لابن عطية ج١٥ ص ٢٨٠

"فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا" ما أمرتم به وشق عليكم. "وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ" أي خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذه بترك الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذه بالذنب عن التائب عنه، قاله النسفي<sup>١</sup>. رفع الحكم ونسخ لأن المؤمنين وعوا الحكمة من تشريع الصدقة فكفوا المناجاة التي تنقل على رسول الله ﷺ .

قال المفسرون على أن هذه الآية ناسخة للتي قبلها فسقط وجوب تقديم الصدقة لمن يريد مناجاة الرسول ﷺ وروى ذلك عن ابن عباس واستبعده ابن عطية<sup>٢</sup>.

قال الزحيلي: وليس في الآية إشارة إلى وقوع تقصير من الصحابة في تقديم الصدقة، فقد يكون عدم الفعل، لأنهم لم ينجأوا، ولا يدل أيضا قول: "وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ" على أنهم قصرُوا، لأن المعنى أنه قد تاب عليهم برفع التكاليف عنهم تخفيفا، ومثل هذا لا يجوز أن يعبر عنه بالتوبة، لأن حزب الله الذي يطيعه فيما أمر ويطبّق شرائعه ولا يخالف حدوده<sup>٣</sup>. قال ابن عباس: نسخت بالآية التي بعدها آية "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَةً.. " نسخت بقوله تعالى: "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُنُكُمْ صَدَقَتٍ".

وهذا من عظيم رحمته تعالى بعباده المؤمنين إذا رفع عنهم هذا الحرج قال تعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" [الحج: ٧٨]. رفع التكاليف والمشقة عن عباده المؤمنين. قال الإمام القرطبي: قوله تعالى: "فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ" أي نسخ الله ذلك الحكم. وهذا الخطاب لمن وجده ما يتصدق به "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" فنسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة، وهذا يدل على جواز

<sup>١</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٤ ص٤٦٤

<sup>٢</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج٢٨ ص٤٢٠ .

<sup>٣</sup> التفسير المنير للزحيلي ج٢٨ ص٤٨٤



النسخ قبل الفعل، وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف، لأن الله تعالى قال: "فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا" وهذا يدل على أن أحدا لم يتصدق بشيء<sup>١</sup>. انتهى.

ولكن هذا الرأي اختص به الإمام القرطبي وحده. ولم يقول به غيره من أئمة التفسير. وهو مخالف لما ذكر آنفا من أن الإمام علي وحده من عمل بهذه الآية.

والظاهر أن النسخ إنما وقع بعد الصدقة، فقد تصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما تقدم، ولم يوجد مقتضى للمناجاة لدى بقية الصحابة الذين تراثوا وفهموا علة التكليف<sup>٢</sup>. قاله الزحيلي.

"فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ"

هذا أمر من الله تعالى بعد العفو عن صدقة المناجاة لعلو همة المؤمنين في إقامة شرائع هذا الدين الحنيف، إذ لا ينبغي أن يتبادر إلى أذهان المسلمين أن العفو في كل أمرا استصعبوه وثقل على نفوسهم. فإقامة الصلاة ودفع الزكاة من أركان الإسلام الأولى المفروضة عليهم فرضا واجبا مؤكدا.

"ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا" مستعمل في العتاب على تجاهلهم تلك الصدقة مع ما فيها من فوائد لنفع الفقراء والمعنى إذا وقع منك التثاقل عن امتثال الامر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه<sup>٣</sup>.

"فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ" أي إذا أفرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمتابعة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك التفريط<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج٩ ص٢٥٧

<sup>٢</sup> التفسير المنير للزحيلي ج٢٨ ص٤٨

<sup>٣</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٢٨ ص٤٧

<sup>٤</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ ص٢١٩

علم الله تعالى ضيق صدر كثير منهم عن إعطاء الصدقة في المستقبل، مع كثرة المسائل، لدوام الوجوب، فخفف الله عنهم، وأمر بمتابعة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله تعالى في فرائضه، ورسوله ﷺ في سننه، والله محيط بأعمال عباده ونياتهم<sup>١</sup>.

فإنها دعوة منه سبحانه وتعالى وأمر في عدم التساهل في العبادات المفروضة والتي خص بالذكر منها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وسائر الشعائر. والحرص عليها وخصت بالذكر أولاً لعظم شأنها الذي لا يخفى على مؤمن يعرف حقوق ربه وواجبات دينه.

"فَأَقِمْوْا" بسبب العفو عنكم شكراً على هذا الكرم والحكم "الصَّلَاةَ" التي هي طهارة لأرواحكم ووصلة لكم بربكم "وَأَتُوا الزَّكَاةَ" التي هي نزاهة لأبدانكم وتطهير ونماء لأموالكم وصلة بإخوانكم وتعين على نواب الدارين، والصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة. ولما خص أشرف العبادات البدنية وأعلى المناسك المالية، عم فقال حاثاً على زيادة النور والبرهان الذين بهما تقع المشاكلة في الأخلاق فتكون المناجاة عن أعظم إقبال وإنفاق فقال: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ" أي الذي له الكمال كله فلم يشركه في إبداعه لكم على ما أنتم عليه أحد، "وَرَسُولَهُ" الذي عظمته من عظمته في سائر ما يأمر به فإنه ما أمركم لأجل إكرام رسولكم ﷺ إلا بالحنيفية السمحة، وجعل المحافظة على ذلك قائمة مقام ما أمركم به، ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على النجوى<sup>٢</sup>.

"وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ" هذا أمر عام بعد تخصيص الصلاة والزكاة، يشمل كل ما أمر به الله تعالى ونهى عنه وذلك في كتابه الكريم من أوامر ونواهي.

<sup>١١</sup> التفسير المنير للزحيلي ج٢٨ ص٤٩

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٥٠٠

"وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"

فهو العالم بحال عباده وهي الحقيقة التي من أول السورة وهي حقيقة علمه عز وجل المطلق والتام، فهو خبير بما يعمل عباده لأنه العالم بكل خلقه ظاهرا وباطنا.

وعن أبي عمرو "يعملون" بالتحية<sup>١</sup>. أي بالياء.

فهو الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلمًا محيطًا بأعمالكم ونياتكم. فهو وعد ووعيد.

(وفي هاتين الآيتين والروايات التي ذكرت أسباب نزولها نجد لونا من ألوان الجهود التربوية لإعداد هذه الجماعة المسلمة في الصغير والكبير من شؤون الشعور والسلوك)<sup>٢</sup>.

فالأيات منذ بداية السورة تدور حول روح الجماعة والعمل والجماعي وتخلص النفس المؤمنة من العمل الفردي والأنانية المطلقة وتهذب النفس بالتفكير بالآخرين وترتقي بها إلى السمو، وعدم العمل على المصلحة الذاتية فقط بل العمل بروح الجسد الواحد والفريق المتكامل الذي لا ينفك جزء منه عن كله.

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَحَلِفُونَ

عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾"

و لما أخبر بإحاطة علمه ردعا لمن يفتن بطول حلمه، دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين قال الإمام برهان الدين البقاعي: الذي هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق ﷺ تنبيها على أنه لا

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج ١٤ ص ٣٠٢

<sup>٢</sup> في ظلال القريب لسيد قطب ج ١٦ ص ٣٥١٣

يفهم ذلك حق فهمه غيره: "أَلَمْ تَرَ" ودل على بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال: "إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا"<sup>١</sup>.

(بدأت أول السورة بالكلام عن عقوبة الذين يحادون الله ورسوله، ثم أكد على موضوع علم الله بكل شيء، ومن ذلك حديث الناس، ثم كان الحديث عن مناجاة، وأدب خطاب رسول الله ﷺ، ثم يأتي الكلام عن تولي الكافرين الذي هو قطع لما أمر الله به أن يوصل من موالاته أهل الإيمان، وبهذا تكون الآيات قد تحدثت عن أهم مظهرين من مظاهر محادة الله ورسوله، التناجي الظالم، والموالات للكافرين)<sup>٢</sup>.

ولا تزال السورة في شمولها لعلم الله المطلق بالوجود وإحاطته بخلقه إذ هو الأعم بحال المنافقين وخبائهم حيث يعرض حالهم ويفضح أمرهم ويكشف سرهم. وينبه المسلمين ويهذب نفوسهم بأن لا يحذوا حذو هذه الفرقة الضالة.

( الجملة مستأنفة استئنفاً ابتدائياً لأنها عود إلى الغرض الذي سيقى فيه آيات "إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" بعد أن فصل بسمتطردات كثيرة بعده)<sup>٣</sup>.

والاستفهام للتعجب من حال هؤلاء المنافقين الذي والوا واجتمعوا مع اليهود بدون رابط بينهما سوى الكره والعداء للإسلام والمسلمين ورسول الله ﷺ .

وها هي الآيات تفضح أولئك المنافقين وتهتك استارهم للمؤمنين وتبين خيانتهم، إذ في تلك الأيام التي نزلت فيها الآيات الكريمة كان النفاق في المدينة بالغا أشده، وكان اليهود كذلك كثيرين ومتحزبين ضد الإسلام والمسلمين وذلك قبل إجلائهم من المدينة ففي هذه الآية ليحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معا ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنون فيقول تعالى:

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٥٠١

<sup>٢</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى ج ١٠ ص ٥٧٩٢

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٤٣

"أَلَمْ تَرَ " أي تنظر يا رسولنا إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود  
تولاهم المنافقون ولاية نصره وتحزب ضد الرسول والمؤمنين <sup>١</sup>. وما حملهم على  
ذلك إلا اشتراك الفريقين في عداوة الإسلام والمسلمين <sup>٢</sup>.

واجتماعهم مع بعضهم البعض كان اجتماع فساد وضلال ترأسهم الشيطان  
وضل أعمالهم وجمعهم على الشر والفتنة يسيرهم كيفما شاء ولما شاء وهم بذلك لا  
يعقلون ولا يفقهون. قال تعالى: "قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" [الإسراء: ٦٣].

فهم في جملة من هو أذل خلق الله، لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز  
الخصم الآخر، فلما كانت عزة الله غير متناهية، كانت مذلة من ينازعه فير متناهية  
أيضا. وقال النسفي: (هم في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم) <sup>٣</sup>.

قال قتادة: هم المنافقون تولوا اليهود. وقال السدي ومقاتل: وهم اليهود تولوا

المنافقين، ويدل على الأول قوله: "غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ" فإن المغضوب عليهم هم  
اليهود، ويدل على الثاني قوله: "مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ" فإن هذه صفة المنافقين  
كما قال الله فيهم: "مُذَبَّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ" <sup>٤</sup>  
[النساء: ١٤٣]. ودل على القول الأول قوله تعالى في فاتحة الكتاب "غَيْرِ  
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" [الفاتحة: ٧] وذكر المفسرون بأن المغضوب  
عليهم هم اليهود. وفي الحديث "مثل المنافق مثل الشاة العثرة بين غنيمين - أي

<sup>١</sup> أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج ١٥ ص ٢٩٦

<sup>٢</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٤٣

<sup>٣</sup> مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج ٤ ص ٤٨٤

<sup>٤</sup> فتح القدير للشوكاني ج ١٥ ص ٢٣٨

المتردة بين قطيعين- لا تدري إيهما تتبع"¹.

"وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ"

أي يحلفون أنهم مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الإخبار إلى اليهود، والجملة عطف على تولوا داخلة في حكم التعجيب من فعلهم².

و كلا الأمرين من أكاذيبهم المفتراة فإذا حلفوا على أنهم مسلمون فهم كاذبون بشهادة الله تعالى "مَا هُمْ مِنْكُمْ" وإذا حلفوا أنهم ما نقلوا أخبار المسلمين لليهود فهم كاذبون بدليل حديث رسول الله ﷺ عن ابن عباس. كأن كثرة إيراد حلف المنافقين في القرآن مقصودها صرف المؤمن عن تصديق الكلام إلى تأمل الأفعال.

"يَحْلِفُونَ" مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في

غاية القبح، واستدل به على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر بمطابقته للواقع وما لا يعلم مطابقته له، وبحيث فيه بأنه يجوز الكذب أن يراد بالكذب ما خالف اعتقادهم – حيث أن الله تعالى يعلم ما في نفوسهم وتضمرة قلوبهم – والكذب الذي حلفوا عليه ودعواهم الإسلام حقيقة، وقيل إنهم ما شتموا النبي ﷺ بناء على ما روي " أن كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين، قال: إنكم سيأتكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان فإذا جاءكم فلا تكلموه، فلم يلبث أن طلع عليهم رجل أزرق

¹ أخرجه مسلم في صحيحه (٤٦١٤/١١٧٢١٤٦١٤) و أحمد في مسنده (٤٧١٢) حديث ٥٠٧٩ و القضاعي في مسند الشهاب (٢٨٦١٢) حديث ١٣٧٤ جميعا من طريق عبيد الله نافع عن ابن عمر .. به، و ايضا القضاعي في مسند الشهاب (٢٨٥١٢) حيث رقم ١٣٧٢ من طريق سلم بن قتيبة عن إبراهيم بن الحارث بن حاطب عن نافع عن ابن عمر .. به، و النسائي في سننه (١٢٤/٨) حديث رقم ٥٠٣٧ من طريق يعقوب عن موسى بن عقبة عن نافع ابن .. به، جميعا عبيد الله، إبراهيم بن الحارث، موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر .. به .  
² فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٢٣٨

فقال ﷺ حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني أتك بهم، فانطلق فدعاهم فحلفوا<sup>١</sup> فنزلت<sup>١</sup>.

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد، والبخاري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن ابن عباس إلا أن آخره فأنزل الله "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ<sup>ط</sup>" الآية. قال الألويسي: ولعله يؤيد أيضا اعتبار كون الكذب دعواهم أنهم ما شتموا، وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف<sup>٢</sup>.

وقال ابن عاشور: الكذب الخبر المخالف للواقع وهي الإخبار التي يخبرون بها عن أنفسهم في نفي ما يصدر منهم في جانب المسلمين<sup>٣</sup>.

و كان المنافقون يحلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبين فيما حلفوا وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم - عيادا بالله منه - فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، إذا جاءوا الرسول ﷺ حلفوا له بالله إنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقا، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك<sup>٤</sup>.

قال الإمام الزمخشري: فإن قلت: فما فائدة قوله: "وَهُمْ يَعْلَمُونَ"؟ قلت: الكذب: أن يكون الخبر على وفاق المخبر عنه، أو لم فالمعنى: أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه، وهم عالمون بذلك متعمدون له، كمن يحلف بالغموس<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٠١١) حديث رقم ٣٢٧٧ والحاكم في المستدرک (٥٢٤١٢) حديث ٣٧٩٥ والضياء في المختارة (١٨١١٠) حديث ١٨٢ جميعا من طريق سماك عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس و قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، و قال الهيثمي في المجمع (١٢٢١٧) و قال: رواه أحمد و البخاري و رجال الجمع رجال الصحيح .

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألويسي ج ١٤ ص ٣٠٤-٣٠٥

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٤٤٤

<sup>٤</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٩٥

<sup>٥</sup> الكشاف للزمخشري ج ١٤ ص ٣٧٢

"أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" <sup>ط</sup>

بعد أن عاد السياق إلى المنافقين الذين يتولون اليهود، يصور بعض أحوالهم ومواقفهم، ويتوعدهم بافتضاح أمرهم، وسوء مصيرهم، وانتصار الدعوة الإسلامية وأصحابهم على الرغم من كل تدابيرهم<sup>١</sup>.

قول الإمام البقاعي: فلما أخبر عن حالهم، أتبعه الإخبار عن مآلهم فقال: دالا على أن من وافق مغضوبا عليه أشرك نفسه في استحقاق غضب من هو غضبان عليه، فمن تولى مغضوبا من قبل الله استوجب غضب الله وكفى بذلك هوانا وحرنا وحرمانا<sup>٢</sup>.

وهذا الجزاء المخصص لهم، هو حساب على عملهم المخزي المشين وهو نفاقهم و- أيضا - كذلك موالاتهم لليهود ومعاداتهم للإسلام والمسلمين، فاستحقوا عليه هذا العذاب المتفاقم لأن ذنبهم كان عظيما ومتفاقما في الكفر وهو أسوء وأضر من الكفر ذاته، وقد بين الله عز وجل نوع عذابهم الشديد في محكم تنزيله: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" [النساء: ١٤٥]. "إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"

تعليل لإعداد العذاب الشديد لهم، أي أنهم عملوا فيما مضى أعمالا سيئة متطاولة متكررة كما يؤذن به المضارع من قوله "يَعْمَلُونَ"<sup>٣</sup>.

(أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة، وهي موالات الكافرين ونصحهم، ومعادات المؤمنين وغشهم)<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥١٣

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ ص٥٠٢

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٤٤

<sup>٤</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٤/٤



"مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"

(أي يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين ونصحهم للكافرين وعبئهم للإسلام وأهله، واجترأهم على الأيمان الكاذبة، وأصروا على ذلك حتى زادهم التمرن عليه جرأة على جميع المعاصي)<sup>١</sup>.

وقيل هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة. قاله الزمخشري<sup>٢</sup>.

"أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" ﴿١١﴾

لما دلت هذه الجملة على سوء أعمالهم ومداومتهم عليها، أكد ذلك بقوله "أَخَذُوا"<sup>٣</sup>.

(هذه الحملة القوية على المنافقين الذين يتولون قوما غضب الله عليهم -اليهود- تدل على أنهم كانوا يمنعون في الكيد للمسلمين، ويتآمرون مع ألد أعدائهم عليهم، كما تدل على أن سلطة الإسلام كانت قد عظمت، بحيث يخافها المنافقون، فيضطرون - عندما يواجههم رسول الله ﷺ والمؤمنون بما يكشفه الله من تدابيرهم ومؤامراتهم - إلى الحلف بالكذب لإنكار ما ينسب إليهم من مؤامرات وأقوال، وهم يعلمون أنهم كاذبون في هذه الأيمان. إنما يتقون بأيمانهم ما يتوقعونه من مؤخذاتهم بما ينكشف من دسائسهم: "أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً" أي وقاية. وبذلك يستمرون في دسائسهم للصد عن سبيل الله<sup>٤</sup>. وقرأ الحسن "إيمانهم" بكسر الهمزة أي إيمانهم الذي أظهره للنبي ﷺ وخلص المؤمنين)<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٥٠٢.

<sup>٢</sup> الكشف للزمخشري ج٤ ص ٣٧٣.

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٥٠٢.

<sup>٤</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص ٣٥١٣.

<sup>٥</sup> روح المعني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج٤ ص ٣٠٥.

والآية جملة مستأنفة استئنافا بيانيا عن جملة "وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" لأن ذلك يثير سؤال سائل أن يقول: ما ألجأهم إلى الحلف على الكذب، فأجيب أن ذلك لقضاء مآربهم وزيادة مكرهم. ويجوز أن تجعل الجملة خبرا ثانيا لأن في قوله: "إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" وتكون داخلة في التعليل. وهذا الجزاء على صدهم الناس عن سبيل الله وهذا معنى شديد العذاب لأجل عظيم الجرم، كقوله تعالى: "الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ" [النحل: ٨٨].<sup>١</sup>

(وقرأ الجمهور "أَيْمَانَهُمْ" بفتح الهمزة جمع الأيمان بفتح الهمزة جمع يمين، وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم، من المسلمين توقيا من القتل، فجعلوا هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمائهم كما يجعل المقاتل الجنة وقاية له من أن يصاب بسيف أو رمح أو سهم).<sup>٢</sup>

"جِنَّةٌ": جن أصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال: جن الليل وأجنه وجن عليه فجنه ستره وأجنه جعل له ما يجنه كقولك قبرته وأقبرته وسقيته وأسقيته. وجن عليه وكذا ستر عليه قال عز وجل: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا" [الأنعام: ٧٦] والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والمجن والمجنة الترس الذي يجن صاحبه قال عز وجل: "اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً" [المنافقون: ٢].<sup>٣</sup>

فسواء كانت أيمانهم التي كانوا يحلفون بها أو إيمانهم الذي ادعوه وناققوا به، فهو مخالف لما في قلوبهم، وكان هذا أو ذاك فإنه لحمايتهم وحماية دمائهم وأموالهم

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٤٤٤-٤٥٠

<sup>٢</sup> فتح القدير للشوكاني ج ١٥ ص ٢٣٨

<sup>٣</sup> مفردات ألفاظ القرآن الكريم للأصفهاني، كتاب النون ص ٢٥٥

من القتل والقصاص، ولذلك استحقوا هذا العذاب المتفاقم المخزي المذل لهم يذهب  
بعزهم وكبرهم جراء عملهم المخزي - والعياذ بالله - .

"فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل: الأول عذاب  
القبر وهذا عذاب الآخرة) <sup>١</sup>. بذلهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة <sup>٢</sup>.

"لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ" <sup>٣</sup>

لما كان لهم أموال وأولاد يعتزون بها، قال مستأنفا دالا على أن من استتر  
بجنة دون لتسلم دنياه وراه تكشف لسهام التقدير من حيث لا يشعر، ثم لا دينه يبقى  
ولا دنياه تسلم <sup>٤</sup>.

وهو مناسب لقوله "اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً" فكما لم تفهم أيمانهم العذاب لم تغن  
عنهم أموالهم ولا أنصارهم شيئا يوم القيامة.

و عن مقاتل: أنهم قالوا: إن محمدا يزعم أن ينتصر يوم القيامة لقد شقينا إذن  
فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة فنزلت هذه الآية <sup>٥</sup>.  
هؤلاء هم المنافقون - والعياذ بالله - الذين غرتهم الدنيا والمال، وظلوا عاكفين على  
عهد الكفر والنفاق فهم مصرين على عملهم الخبيث لذلك مستحقون في كل آية هذا  
التنكيل والخزي والوعيد بأشد صنوف العذاب. قال ابن كثير: لن يدفع ذلك عنهم بأسا  
إذا جاءهم <sup>٥</sup>.

فعرهم وكبرهم الذي استبدوا ومارسوا طغيانهم به في الدنيا وغرورهم سيكون  
وبالا عليهم يوم القيامة، لا يرد بأس ذلك اليوم ولا يدفعه، بل سيكون حسرة عليهم

<sup>١</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦ ص٢٠

<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨ ص٤٩

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ ص٥٠٣ .

<sup>٤</sup> ذكره القرطبي في الجامع لاحكام القرآن ج٩ ص٢٥٨

<sup>٥</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٥

ووبالا مقيمون في دار العذاب أدلاء مخذولين ليسو بخارجين من النار مقيمون بها أبد الأبدین. فهم أصحاب النار، أي حق عليهم أنهم أصحاب النار. وصاحب الشيء ملازمه فلا يفارقه إذ قد تقرر من قوله: "أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا". ومن قوله: "فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" أنهم لا محيص لهم عن النار<sup>١</sup>.

"يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ<sup>ط</sup> وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ<sup>ع</sup> إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ" ﴿١٨﴾

لما كان إفسادهم لذات البين سرا، وحلفهم على نفي ذلك جهرا مع الإلزام بقبول ما ظهر منهم في دار العمل يأمر الجزاء، قال نافيا لذلك معزيا للمؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد كشف الغطاء وتحقيق الأمور، لأن الإنسان يبعث على مات عليه، لأن ذلك جبلته التي لا ينفك عنها، ولا ينفعم ذلك، ذاكرًا ظرف الخلود وإظهار التعذيب<sup>٢</sup>.

يصور مشهدهم يوم القيامة في وضع مزر مهين، وهم يحلفون لله كما كانوا يحلفون للناس: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ<sup>ط</sup>". .. مما يشير إلى النفاق قد تأصل في كيانهم، حق ليصاحبهم إلى يوم القيامة. وفي حضرة الله ذي الجلال الذي يعلم خفايا القلوب وذوات الصدور "وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ<sup>ع</sup>". .. وهم لا يستندون إلى شيء. أي ويدمغهم بالكذب الأصيل الثابت:

"إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ"<sup>٣</sup>.

(ثم أخبر عن حالهم العجيبة الشأن وهو أنهم يحلفون يوم المحشر لعلام الغيوب كما يحلفون لكم في الدنيا وأنتم بشر يخفى عليكم السرائر)<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> انظر التحرير و التنوير لابن عاشور نقل بتصرف، ج٢٨ ص٤٥-٤٦.

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٥٠٣.

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥١٣.

فيبين الله حال هؤلاء المنافقين يوم يبعثهم الله يوم القيامة بأنه لا يختلف عن حالهم في الدنيا من الحلف الكاذب<sup>١</sup>. لأن الإنسان طبعه الذي كان به وهو شاب يظهر في آخر عمره - في شبيهه -، وكذلك يظهر يوم القيامة، لأنه طبع على قلبه وتملكه.

يوم القيامة هو يوم الحساب فهم من قالوا "لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسَبَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا صَلَاةً فَابْتِئَسَ الْمُصِيرُ" فهذا يوم جزاؤهم وحسابهم كلهم جميعا لم يغادر منهم أحدا. هذا متصل بقوله: "وَيُحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ" إلى قوله: "اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً" وحلفهم لله في الآخرة إشارة إلى ما حكاه الله عنهم في قوله: "ثُمَّ لَمَّا تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ" [الأنعام: ٢٣].

( وهذا يقتضي توغلهم في النفاق ومرونتهم عليه وأنه باق في أرواحهم بعد بعثهم لأن نفوسهم خرجت من عالم الدنيا متخلقة به، فإن النفوس إنما تكتب تزكية أو خبثا في عالم التكليف وحكمة إيجاد النفوس في الدنيا هي تزكيته وتصفيه أكارها لتخلص إلى عالم الخلود والطهارة، فإن هي سلكت مسلك التزكية تخلصت إلى عالم الخلود زكية يزيداها الله زكاء وارتياضا يوم البعث وإن انغمست مدة الحياة في حماة النقائص وصلصال الرذائل جاءت يوم القيامة على ما كانت عليه تشويها لحالها لتكون مهزلة لأمر المحشر)<sup>٢</sup>.

وفي حديث جابر بن عبد الله بن مسلم أن النبي ﷺ قال: " يبعث كل عبد على ما مات عليه"<sup>٣</sup>. قال عياض في الكمال: هو عام في كل حالة مات عليها المرء. قال: السيوطي: يبعث الزمار بمزماره . وشارب الخمر بقده. قلت ثم تتجلى لهم الحقائق على ما هي عليه إذا تصير العلوم على الحقيقة. فالمراد أن كذبهم عليكم لا

<sup>١</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج١٦ ص٢٧٧

<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨ ص٤٩

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥١

<sup>٤</sup> صحيح مسلم - الرقم: ٢٨٧٨

يمائله كذب، حتى قصرت صفة الكاذب عليهم بضمير الفصل في قوله: "إِنَّهُمْ هُمُ  
الْكَذِبُونَ" وهو قصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بكذب غيرهم<sup>١</sup>.

فيحلفون على الكذب كما كانوا يحلفون للمؤمنين في الدنيا، فتجاسروا على  
الكذب بين يدي علم الغيوب، وظنوا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب بين يدي الله عز  
وجل كما كانت تروجه عند المؤمنين<sup>٢</sup>.

قال ابن عباس: إن المنافق ليحلف لله يوم القيامة كذبا كما يحلف لأوليائه في  
الدنيا كذبا. أما الأول: كقوله: "وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ" [الأنعام: ٢٣] وأما الثاني:  
فهو كقوله: "وَتَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لَمِنْكُمْ" [التوبة: ٥٦] والمعنى أنهم لشدة  
توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيامة أنه يمكنهم ترويح كذبهم بالأيمان الكاذبة على علام  
الغيوب، فكان هذا الحلف الذميمة يبقى معهم أبداً، وإليه الإشارة بقوله: "وَلَوْ رُدُّوا  
لَعَادُوا لِمَا بُوْءُوا عَنْهُ" [الأنعام: ٢٨]<sup>٣</sup>.

"فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ" (أي يحلفون لله يوم القيامة على الكذب كما  
يحلفون لكم في الدنيا، وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم، فإن يوم  
القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة، فكيف يجرون  
على أن يكذبوا في ذلك الموقف ويحلفون على الكذب)<sup>٤</sup>.

"كَمَا تَحْلِفُونَ لَكُمْ" (في الدنيا أنهم مسلمون مثلكم، والتشبيه بمجرد الحلف لهم  
في الدنيا)<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٤٧-٤٨

<sup>٢</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨ ص٤٩

<sup>٣</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص٢٣٩

<sup>٤</sup> فتح القدير للشوكاني ج١٥ ص٢٣٩

<sup>٥</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج٤ ص١١٤-٣٠٦

"لَكُمْ<sup>ط</sup>" (لكونكم لا تعلمون الغيب مع توقعهم أن الله يفضحهم كما فعل لهم ذلك

مرارا، وحلفهم ناشئ عن اعتقاد بعدهم من القبول فإنه لا يحلف ذلك إلا من يظن أنك تكذبه.

ولما أفهم ذلك أن أمورهم لا حقائق لها إلا في أخبارهم ولا في إيمانهم ولا في حساباتهم، "أَلَا إِنَّهُمْ" أي خاصة "هُمُ الْكَذِبُونَ" أي المحكوم بكذبهم في حساباتهم وفي أخبارهم في الدارين لعراقتهم في وصف الكذب حيث لا يستحون من الكذب عند الله).<sup>١</sup>

فهم كاملون في الكذب المتهاكون عليه البالغون فيه إلى حد لم يبلغ غيرهم إليه بإقدامهم عليه والأيمان الفاجرة في موقف القيامة بين يدي الرحمن).<sup>٢</sup>

"أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ<sup>ج</sup> أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ<sup>ج</sup> أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٠﴾"

ولما كان هذا الانهماك فيما لا يغني مما يحصل لسامعه غاية العجب من وقوع عاقل فيه مرة الدهر، فضلا عن ملازمته، أخبر الحامل لهم عليه، فقال مستأنفا: "أَسْتَحْوَذَ"<sup>٣</sup>.

(ثم يكشف علة حالهم هذه فقد استولى عليهم الشيطان كلية "فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ" والقلب الذي ينسى ذكر الله يفسد ويتمحض للشر: "أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ" الخالص للشيطان الذي يقف تحت لوائه، ويعمل باسمه، وينفذ غايته. وهو الشر الخالص الذي ينتهي إلى الخسران الخالص. وهي حملة شديدة تناسب الشر والأذى

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ص٥٠٤.

<sup>٢</sup> فتح القدير للشوكاني ج١٥ص٢٣٩.

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ص٥٠٤.

والفتنة التي يدبرونها للمسلمين مع أعدائهم الماكرين. وتطمئن قلوب المسلمين. والله سبحانه وتعالى يتولى عنهم الحملة على أعدائهم المستورين)<sup>١</sup>.

( استولى "عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ" بطاعتهم له)<sup>٢</sup>.

هذا استمرار لوصف عذابهم الذي استحقوه، وصف أعمالهم الشنيعة وهذا هو السبب لأعمالهم تسير الشيطان وسيطرته عليهم، فهو المحرض لهم.

والاستحواذ: الاستيلاء والغلب، وهو استفعال من حاذ حوذاً، إذا حاط شيئاً وصرفه كيف يريد. يقال: حاذ البعير إذ جمعها وساقها غالباً لها. فاشتقوا منه استفعال للذي يستولي بتدبير ومعالجة، ولذلك لا يقال: استحوذ إلا في استيلاء العاقل لأنه يتطلب وسائل استيلاء. ومثله. والسين والتاء للمبالغة في الغلب مثلها في: استجاب. والأحوزي: القاهر للأمور الصعبة. وقالت عائشة: "كان عمر أحوزياً نسيج وحده"<sup>٣</sup>.

قال الشاه الكرمانى<sup>٤</sup>: علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكير في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل قلبه عن التفكير والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها<sup>٥</sup>.

أي ملكهم الشيطان لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته وأقطاعه، وصار هو محيطاً بهم من كل جهة، غالباً عليهم ظاهراً وباطناً، من قولهم حذت الإبل أي استوليت عليها، وحاذ الحمار العنة – إذ جمعها وساقها غالباً لها، والحوذ: السوق

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ ص٣٥١٣

<sup>٢</sup> تفسير الجلالين للمحلي و السيوطي ص٤٤٥

<sup>٣</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٤٨

<sup>٤</sup> الشاه الكرمانى: هو عبد الرحمن بن محمد إميرويه، أبو الفضل الكرمانى، فقيه حنفي انتهت إليه رئاسة المذهب بخراسان مولده بكرمان عام ٤٥٧ هـ، ووفاته بمرور عام ٥٤٣ هـ (الإعلام ج٣ ص٣٢٧).

<sup>٥</sup> مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤ ص٣٤٨



السريع، منه الأحوذى: الخفيف في المشي لحدقه، وجاء على الأصل على حكم الصحيح لأنه لم يبين على حاذ كافتقر فإنه لا مجرد له<sup>١</sup>.

(في معنى لم يمكنهم من ذكره عز وجل بما زين لهم من الشهوات فهم لا يذكرونه أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم)<sup>٢</sup>.

"فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ" (أي أوامره في العمل بطاعته. وقيل: زواجه في النهي عن معصية. والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة، ويكون بمعنى الترك، والوجهان محتملان هنا "أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ" طائفته ورهطه)<sup>٣</sup>.

(والذكر يطلق على نطق اللسان باسم اللسان أو كلام ويطلق على التذكر بالعقل. وقد يخص هذا الثاني بضم الذال وهو هنا مستعمل في صريحه وكنايته، أي مستعمل في لازمه وهو العبادة والطاعة لأن المعنى أنه أنساهم توحيد الله بكلمة الشهادة والتوجه إليه بالعبادة. والذي لا يتذكر شيئا لا يتوجه إلى واجباته)<sup>٤</sup>. وإنما عبر بالنسيان على مدى إهمالهم لهذا الذكر<sup>٥</sup>.

"حِزْبُ الشَّيْطَانِ" ( أي أتباعه وجنده وجماعته وطائفته وأصحابه والمصدقون به والمتحيزون إليه لدفع ما حزبه أي نابه واشتد عليه، المبعدون المحترقون لأنهم تبعوه، ولم يخافوا في مجازيته وإنفاذ ما يريد لومة لائم مع أنه كله نقائص ومعائب، وهم مطبوعون على بغضه وتركوا له الكمال كله)<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٥٠٤-٥٠٥

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي ج١٤ ص٣٠٦

<sup>٣</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٥٩

<sup>٤</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٤٩

<sup>٥</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨ ص٥٠

<sup>٦</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص٥٠٥

(جملة "أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ" نتيجة وفذلكة لقول: "أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ

الشَّيْطَانُ" فإن الاستحواذ يقتضي أنه صيرهم من أتباعه. واسم الإشارة لزيادة تميزهم لئلا يتردد في أنهم حزب الشيطان)<sup>١</sup>.

"أَلَا اللَّهُ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (في بيعهم، لأنهم باعوا الجنة بجهنم، وباعوا الهدى بالضلالة)<sup>٢</sup>.

"أَلَا اللَّهُ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ"

(أي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم، وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق وإظهار المتضايقين معا في موقع الإضرار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى)<sup>٣</sup>.

(أي الكاملون في الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران لأنهم باعوا الجنة والهدى بالضلالة وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا بالإيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة)<sup>٤</sup>.

(يشير القرآن للمناققين بـ"أُولَئِكَ" الذي للبعيد في قوله "حِزْبُ الشَّيْطَانِ"

للدلالة على بعدهم عن الله، وحزب الشيطان طائفته وأنصاره وجنده ورهطه فخسروا بناء على ذلك السعادة في الدارين)<sup>٥</sup>.

ولذا أكد القرآن خسارتهم ألا وإن التي للتنبيه وعمم القرآن خسارتهم دون

تحديد للخسارة في جانب دون جانب لإفادة شمول خسارتهم وذلك قوله تعالى: "ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون".

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٤٩

<sup>٢</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٥٩

<sup>٣</sup> روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي ج١٤ ص٣٠٦

<sup>٤</sup> فتح القدير للشوكاني ج١٥ ص٣٩

<sup>٥</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٥٩

"إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾"

هذه الآيات في هذا المقطع عبارة عن استئناف لبيان علة خسارة حزب الشيطان، وذلك أنهم حادوا الله ورسوله فعادوه وخالفوا أمره فهم في ناحية والهدى في ناحية أخرى لأنهم في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة<sup>١</sup>.

ولما بين ما أوصلهم إليه نسيان الذكر من الخسار، بين أنه أوقعهم في العداوة، فقال معللاً الخسار والنسيان والتحزب، وأكد تكديبا لحالفهم على نفي ذلك مظهرا موضع الإضمار للتنبيه على الوصف الموقع للهلاك<sup>٢</sup>.

أخبر تعالى عباده المؤمنين مرشدا لهم إلى أقوم طريق وأكمل الأحوال فيقول:  
"إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" أي يخالفونهما في أمرهما ونهيهما وما يدعون إليه من دين الحق، أي المخالفون في زمرة الأذلين في الدنيا والآخرة<sup>٣</sup>.

موقع هذه الآية بعد ما ذكر من أحوال المنافقين يشبه موقع آية "إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ". فالذين يحادون الله ورسوله المتقدم ذكرهم المشركون المعلنون بالمحادة. وأما المحادون المذكورون في هذه الآية فهم المسرون للمحادة المتظاهرون بالموالاة، وهم المنافقون فالجملة استئناف بياني بينت شيئا من الخسران الذي قضى به على حزب الشيطان الذي هم في مقدمته. وبهذا تكتب هذه الجملة معنى يدل البعض من مضمون جملة "أَلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ"، لأن الخسران يكون في الدنيا والآخرة، وخسران

<sup>١</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨/ص٥١

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧/ص٥٠٥.

<sup>٣</sup> أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج١٦/ص٢٩٩

الدنيا أنواع أشدها على الناس المذلة والهزيمة، والمعنى: أن حزب الشيطان في الأذلين المغلوبين.

وكونهم أذلين لأنهم أعداء رسول الله ﷺ فهم أعداء القادر على كل شيء فعدوه لا يكون عزيزا. قاله ابن عاشور<sup>١</sup>.

(ولما كان أولئك المنافقون يأوون إلى اليهود شعورا منهم بأنهم قوة تخشى وترجى. ويطلبون عندهم العون والمشورة. فإن الله يبئسهم منهم، ويقرر أنه كتب على أعدائه الذلة الهزيمة، وكتب لنفسه ولرسوله الغلبة والتمكين، وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانا من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق)<sup>٢</sup>.

فنتيجة بعدهم ومشاققتهم لله ورسوله أنهم بعدوا عن كل خير وصلاح ولذلك هم في الخسران، بل أشد الخسران وهو الذل والمهانة، فكل من دانت رأسه للأرض خشوعا وذلا لربه ورغبة ورهبة إليه، زادت رفعتة وعلوه عند ربه عز وجل وعلا ذكره في السماء والأرض.

و كل من بعد رأسه عن الأرض وعلت تكبرا وكفرا خزاه الله وحط من قدره في السماء والأرض.

"إِنَّ الَّذِينَ تَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان وعبر عنهم بالموصول ذما لهم بما في حيز الصلة، وإشعارا بعلّة الحكم "أُولَئِكَ" الموصوفون بما ذكر في "فِي الْأَذْلِينَ" أي في جملة من هو أدل خلق

<sup>١</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٥٠

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج ١٦ ص ٣٥١

الله عز وجل من الأولين والآخرين معدودون في عدادهم لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر، وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من حاده كذلك<sup>١</sup>.

قال عطاء: يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة.

"فِي الْأَذْلِينَ" (في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم)<sup>٢</sup>. وعلل

الإمام برهان الدين البقاعي فعلهم هذا بأنهم لما كانوا لا يفعلون ذلك إلا كثرة أعوانهم وأتباعهم، فيظن من رأيهم أنهم الأعداء الذين لا أحد أعز منهم، قال تعالى نافيا لهذا الغرور الظاهر: "أُولَئِكَ" أي الأبعاد الأسافل في "الْأَذْلِينَ" أي الذين يعرفون أنهم

أذل الخلق بحيث يوصف كل منهم بأنه الأذل مطلقا من غير مفضل عليه ليعم كل من يمكن منه ذل، وذلك في الدنيا والآخرة. قال الحسن: إن للمعصية في قلوبهم لذلا، وإن طقطقت بهم اللجم<sup>٣</sup>.

(أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الذلين في الدنيا والآخرة)<sup>٤</sup>.

"كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦٦﴾"

لما أنزلهم بالحضيض الأسفل، علل ذلك بما يدل على أن سبحانه لا شريك له بإتمام كلماته بنصر أوليائه على ضعفهم وخذلان أعدائه على قوتهم لأنه سبحانه غيب محض لا دلالة عليه إلا بأفعاله<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع للمثاني للأوسي ج ٤ ص ١٦٠-٣٠٦

<sup>٢</sup> الكشف للزمخشري ج ٤ ص ٣٧٣

<sup>٣</sup> نظم الدرر في التناسب الآيات و السور للبقاعي ج ٧ ص ٥٠٥-٥٠٦

<sup>٤</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٩٦

<sup>٥</sup> نظم الدرر في التناسب الآيات و السور للبقاعي ج ٧ ص ٥٠٦

فقد حوت هذه الآية من المهابة والعزة ما الله به عليم، إذا ذكر عز وجل لفظ الجلالة مرتين. والأول: أي قضى فهو كائن لا محالة، لأن الله كتبه وقضاه وأمر به. والثاني: للتأكيد بحرف إن ذكر بعده لفظ الجلالة الله الشامل لكل عظمة وقدرة. أي أن الله العظيم الذي ملك كل شيء والقاضي بما يريد هو الغالب المنتصر الذي تكون العزة له ولمن تبع طريقه وابتغاه وسلك خطى نبيه ﷺ .

ولما تبين نلهم، بين عز المؤمنين فقال تعالى: "كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي<sup>ع</sup>"

وهذه الآية تكون لحزب الله الذي وصفه في الآية الأخيرة من السورة، فلما كانت عزة المؤمنين لأنهم عبيد الله وأتباعه المؤمنين الموحدين به، كانت لهم العزة والمنعة وإن طال الأمد. فهو تعالى مانع حزبه من أن يذل<sup>١</sup>.

والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة. فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو وقعة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل. الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم.

وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعده هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون، وأن الله ورسوله هم الغالبون، وأن هذا الكائن والذي لا بد أن يكون. ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون.

فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك، واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد. وإذا كانت هناك فترات عاد الإلحاد والشرك إلى الظهور في بقاع الأرض - كما يقع الآن - فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة. فضلا على أن فترات الوثنية والإلحاد

<sup>١</sup> زارد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص ١٤١

إلى زوال مؤكد. لأنها غير صالحة للبقاء والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد.

وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان في صورها المتنوعة، من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة، بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع الكناية، ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين، يحميهم من الانهيار، ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها ونوبانها في الأمم الهاجمة عليها، ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تقضي عليه وتحطمه حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل<sup>١</sup>. وما يحدث في العالم الإسلامي خير شاهد على ذلك، فكأن العلامة سيد قطب قرء الأحداث وتنبئ بها، من حال ذلك الزمن الذي يعيش فيه.

"كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي<sup>٢</sup> إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" قال القاسمي: أي حزب الشيطان المحادين<sup>٣</sup>.

"كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ" قال الزحيلي: .. كَتَبَ : أجرى مجرى القسم، ولذا أجيب بجواب القسم فهي قوله: "لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي" : في موضع رفع بالعطف على الضمير في "لَأَغْلِبَنَّ". وإنما جاز العطف على الضمير المرفوع المستتر لتأكيد بقوله: أنا. وإذا أكد الضمير المنفصل أو المستتر، جاز العطف عليه<sup>٣</sup>.

(جملة "كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ" علة لجملة "أَوْلَيْتِكَ فِي الْأَذَلِّينَ" أي لأن الله

<sup>١</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٤١٤-٣٥١

<sup>٢</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج١٩ ص٦٩

<sup>٣</sup> التفسير المنير للزحيلي ج٢٨ ص٥٦

أراد أن يكون رسوله ﷺ غالبا لأعدائه وذلك من آثار قدرة الله التي لا يغلبها شيء وقد كتب لجميع رسله الغلبة على أعدائهم، فغلبتهم من غلبة الله إذ قدرة الله تتعلق بالأشياء على وفق إرادته، وإرادة الله لا يغيرها شيء، والإرادة تجري على وفق العلم ومجموع توارد العلم والإرادة والقدرة على الموجود هو المسمى بالقضاء. وهو المعبر عنه هنا "كَتَبَ اللَّهُ" لأن الكتابة استعيرت لمعنى: قضى الله ذلك وأراد وقوعه في الوقت الذي علمه فهو محقق الوقوع لا يتخلف)<sup>١</sup>.

"كَتَبَ اللَّهُ" (أي أثبت في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم، وعن قتادة قال: وأيما ما كان فهو جار مجرى القسم فلذا قال سبحانه: "لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي" أي بالحجة والسيف وما يجري مجراه أو بأحدهما، ويكفي في الغلبة بما عدا الحجة تحققها للرسول عليهم السلام في أزمنتهم غالبا فقد أهلك سبحانه الكثير من أعدائهم بأنواع العذاب كقوم نوح، وقوم صالح، وقوم لوط، وغيرهم، والحرب بين نبينا محمد ﷺ وبين المشركين وإن كان سجالاتا طويلا إلا أن العاقبة كانت له ﷺ وكذا لأتباعهم بعدهم ملك وسلطنة وأغراض دنيوية فلا تكاد تجد مجاهدا كذلك إلا منصورا غالبا، وخص بعضهم الغلبة بالحجة لأطرادها وهو خلاف الظاهر، ويبعده سبب النزول، فعن مقاتل: لما فتح الله تعالى مكة للمؤمنين، والطائف وخيبر، وما حولها قالوا: نرجو أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم، فقال عبد الله بن أبي: أتظنون الروم فارس كبعض القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك، فنزلت "كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي"<sup>٢</sup>. وهذا لا يمنع من أن يغلب الأعداء في الدنيا فترة من الزمن لكن العاقبة في النهاية للمؤمنين،

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٥١

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للأوسى ج٤ ص٣٠٦-٣٠٧



فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، والفاصلة القرآنية "إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

عَزِيزٌ" تعليل لهذه الغلبة فالله قوي صاحب قوة غير متناهية عزيز قاهر لا يغلب)¹.

(لأن الله أراد أن يكون رسوله ﷺ غالباً لأعدائه، وذلك من آثار قدرة الله التي لا يغلبها شيء وقد كتب لجميع رسله الغلبة على أعدائهم، فغلبتهم من غلبة الله إذ قدرة الله تتعلق بالأشياء على وفق إرادته وإرادة الله لا يغيرها شيء)².

(قرء نافع وابن عامر "أنا ورسلي" بفتح الياء، والباقون لا يحركون، قال أبو علي: التحريك والإسكان جميعاً جائزان)³.

(أي قد حكم وكتب وكتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبديل بأن النصر له وكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة)⁴.

(جملة "إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" تعليل لجملة "لَأَغْلِبَنَّ" لأن الذي يغالب الغالب

مغلوب)⁵. "قَوِيٌّ" قال البقاعي: (فهو يفيض من باطن قوته ما يظهر به ظاهر قدرة أوليائه، فإن القوي من له استقلال باطن بما يحمله القائم في الأمر ولو ضوعف عليه ما عسى أن يضاعف وحمائته مما يتطرق إلى الإجلال بشدة وبطش منبعث عن ذلك الاستقلال الباطن، وما ظهر من أثر ذلك فهو قدرة، فلا اقتدار يظهر من الخلق إلا باستناد إلى القوة بالله، الذي بيده ملكوت كل شيء، فلذلك كان بالحقيقة لا قوي إلا هو. ولما كان القوي من المخلوقات قد يكون غيره أقوى من غيره ولو في

¹ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج ١٨ ص ٥١

² التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٥١

³ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج ١٥ ص ٢٤٠

⁴ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٢٩٦

⁵ التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٥١

وقت، نفى ذلك بقوله "عزير" أي غالب غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات، ثابت له هذا الوصف دائما<sup>١</sup>.

"لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي<sup>ج</sup> إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" ذكر البغوي في تفسيره: نظير قوله: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَامِتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ" [الصفات: ١٧١-١٧٢] قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة<sup>٢</sup>.

ولما ظهر كالشمس أن من والاه سبحانه كان فائزاً، ومن عاداه كان خاسراً، كانت نتيجته قطعاً التحذير من موالاته أعداء الله في سياق النفي المفيد للمبالغة في النهي والزجر عن قربانه<sup>٣</sup>.

ثم في آخر السورة تجيء القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون، أو الميزان الدقيق للإيمان في النفوس:

"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ<sup>ج</sup> أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ  
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ<sup>ط</sup> وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا<sup>ج</sup>  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ<sup>ج</sup> أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ<sup>ج</sup> أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"

الخطاب للنبي ولعامة المؤمنين ولكل أحد يصلح له.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٥٠٦

<sup>٢</sup> معالم التنزيل للبغوي ج١٤ ص ٢٨٥

<sup>٣</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧ ص ٥٠٦

وقد بسطت آيات الموالاتة في القرآن في عدة مواضع، وذكرت مرارا وتكرارا بصور شتى تبين عقيدة الولاء لله وحزبه، والبراء من أعداء الله وأوليائه الشيطان، وما ذلك إلا لعظم هذه العقيدة التي هي محك إيمان المؤمن، إذ لا يكون المرء إلا مع من أحب في الدنيا وكذلك في الدار الآخرة كما ذكر ذلك في الحديث: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال"¹.

وقال ﷺ: "المرء مع من أحب يوم القيامة"².

(والمراد تجد قوما كاملي الإيمان على هذه الحال، فالنفي باقي على حقيقته، والمراد بموادة المحادين موالاتهم ومظاهرتهم)³.

(المعنى أنه لا يجتمع الإيمان مع وداد أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه وهذا على وجهين أحدهما: أنهما لا يجتمعان في القلب، فإذا حصل في القلب وداد أعداء الله، لم يحصل فيه الإيمان، فيكون صاحبه منافقا، والثاني: أنهما يجتمعان ولكنه معصية وكبيرة، وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب هذا الوداد كافرا بسبب هذا الوداد بل كان عاصيا في الله، فإن قيل: أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاشرتهم، فما هذه المودة المحظورة؟؟

قلنا المودة المحظورة هي إرادة منافسه دينا ودنيا مع كونه كافرا، فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه، ثم إنه تعالى بالغ في المنع من هذه المودة من وجوه: أولها: ما ذكر أن هذه المودة مع الإيمان لا يجتمعان. وثانيها قوله: " وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ " والمراد أن الميل إلى هؤلاء أعظم أنواع الميل مع هذا يجب أن يكون هذا الميل مغلوبا مطروحا بسبب الدين. وثالثها: أنه تعالى عدد نعمه على المؤمنين، فبدأ بقوله: "أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ "

¹: تخريج أحاديث المصاييح - الصفحة أو الرقم: ٣١٧/٤ خلاصة حكم المحدث: رجاله الصحيحين إلا موسى بن وردان قال الذهبي صدوق .

² الراوي: صفوان بن عسال المرادي المحدث: الترمذي : سنن الترمذي - الصفحة أو الرقم: ٣٥٣٥ حسن صحيح

³ روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي ج ٤ ص ٣٠٧

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المعنى أن من أنعم الله عليه بهذه النعمة العظيمة كيف يمكن أن يحصل في قلبه مودة أعداء الله.

المسألة الثانية: والنعمة الثانية قوله: "وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ" وبه قولان. الأول: قال ابن عباس: نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصره روحا لأن بها يحيا أمرهم والثاني: قال السدي: الضمير في قوله "مِّنْهُ" عائد على الإيمان. والمعنى أيدهم بروح من الإيمان يدل عليه قوله: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا" [الشورى: ٥٢].  
النعمة الثالثة: "وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا" وهو إشارة إلى نعمة الجنة. النعمة الرابعة: قوله تعالى: "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" وهي نعمة الرضوان، وهي أعظم النعم وأجل المراتب، ثم لما عدد هذه النعم ذكر الأمر الرابع من الأمور التي توجب ترك المواد مع أعداء الله، فقال: "أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ" وهو في المقابلة قوله فيهم "أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ" <sup>١</sup>.

قال الأصفهاني: (الود محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود لأن التمني هو تشتهي حصول ما توده، في المودة التي تقتضي المحبة المجردة في قوله: "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" [الشورى: ٢٣]. وقوله: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِيرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" فنهى عن موالاته الكفار وعن مظاهرتهم كقوله: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ" إلى قوله: "بِالْمَوَدَّةِ"

<sup>١</sup> مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ٢٤٠-٢٤١

[المتحنة: ١] أي بأسباب المحبة من النصيحة ونحوها. وفلان وديد فلان: مواده. والود الود وأصله يصح أن يكون وتد فأدغم وأن يكون لتعلق ما يشتد به أو لثبوته في مكانه فتصور منه معنى المودة والملازمة)<sup>١</sup>.

(المراد بنفي الوجدان: نفي المادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه، والزجر عن ملاسته، والتوصية بالتصلب، في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم، والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم)<sup>٢</sup>.

(ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله تعالى أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما أرى يا رسول الله. هلا تمكني من فلان - قريب لعمر- فأقتله، وتمكن عليا من عقيل، وتمكن فلانا من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين)<sup>٣</sup>.

( قد كان للمنافقين قرابة بكثير من أصحاب النبي ﷺ ، وكان نفقاهم لا يخفى على بعضهم فحذر الله المؤمنين الخالصين من موادة من يعادي الله ورسوله ﷺ . ورويت ثمانية أقوال متفاوتة قوة الأسانيد استقصاها القرطبي في نزول هذه الآية وليس يلزم أن يكون للآية سبب نزول فإن ظاهرها أنها متصلة المعنى بما قبلها وما بعدها من ذم المنافقين وموالاتهم اليهود، فما ذكر فيها من قصص لسبب نزولها وإنما هو من أمثلة لمقتضى حكمها. وافتتاح الكلام بـ "لَا تَجِدُ" يثير تشويقا إلى معرفة حال هؤلاء القوم وسيساق في شأنهم من حكم والخطاب للنبي ﷺ . والمقصود منه أمره بإبلاغ المسلمين أن مودة من يعلم أنه محاد لله ورسوله هي مما ينافي الإيمان ليكف عنها عسى أن يكون متلبسا بها. والموادة أصلها: حصول المودة في جانبين والنهي هنا إنما هو عن مودة المؤمنين الكافرين لا عن مقابلة الكافر المؤمنين بالمودة،

<sup>١</sup> مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٥٤٩-٥٥٠، كتاب الواو

<sup>٢</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج ١٩ ص ٧٠

<sup>٣</sup> ذكره ابن كثير بسنده في تفسيره ، ج ٤ ص ٢٩٦

وإنما جيء بصيغة المفاعلة كناية عن كون الود صادقا لأن الواد الصادق يقابله المودود بمثله ويعرف ذلك بالشواهد المعاملة.

وسواء كان ذلك المحارب كافرا أصليا أو منافقا، وذلك في سياق السورة التي تتحدث في سياقها الرئيسي عن المنافقين الذين يحادون الله ورسوله من خلال التناجي بالباطل وموالاتة الكافرين، لتبين أن الإيمان لا يجتمع مع الموالاتة لأعداء الله<sup>١</sup>.

"يُؤَادُونَ" قال البقاعي: (أي يحصل منهم ودا لا ظاهرا ولا باطنا بما أشار

إليه الإدغام وأقله الموافقة في المظاهرة)<sup>٢</sup>.

وأكد ذلك الإمام سيد قطب بقوله: "(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ" [الأحزاب: ٤]، وما يجمع إنسان في قلب واحد ودين: ودا لله ولرسوله، وودا لأعداء الله ورسوله، فإما إيمان أو لا إيمان أما هما معا فلا يجتمعان<sup>٣</sup>. وقال القاضي أبو السعود: الجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد قبله باعتبار لفظهما)<sup>٤</sup>.

(استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم. قال أشهب بن مالك: لا تجالس القدرية وعادهم في الله، لقوله تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ". وقلت: في معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان. وعن الثوري أنه قال كانوا يرون أنها نزلت في من كان يصاحب السلطان - وبمثله قال ابن كثير - عن عبد العزيز بن أبي رواد<sup>٥</sup> أنه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها. وعن النبي ﷺ

<sup>١</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى ج ١٠ ص ٥٧٩٦

<sup>٢</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج ١٧ ص ٥٠٦

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج ١٦ ص ٣٥١

<sup>٤</sup> تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج ١٦ ص ٢٢١

<sup>٥</sup> عبد العزيز بن رواد، أبو عبد الرحمن حدث عن عدة من كبار التابعين، أو أعلاهم منهم عطاء و عكرمة و نافع و صدقة بن يسار و الضحاك و غيرهم عاش إلى زمن المنصور ت ١٥٨ هـ (حلية الأولياء ١٩١٨).

أنه كان يقول: "اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فأني وجدت فيما أوحيت ". "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" إلى قوله "أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ" (١).<sup>٢</sup>

( وروي أن سهلا قال: من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ، ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن، ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها أدله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب<sup>٣</sup>).

وبين الإمام القاسمي أيضا أنه يفهم من قوله تعالى: "يُؤَادُونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" وقوله في آية أخرى: "لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ" [الممتحنة: ١]. (أخبر عنهم قبل التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. فتشمل الآية المشركين وأهل الكتاب المحاربين المحادين لنا، أي الذين على حد منا، ومجانبة لشؤوننا، تحقيقا لمخالفتنا، وترصدا للإيقاع بنا. وأما أهل الذمة الذين أظهرنا، ممن رضي بأداء الجزية لنا بالمعنى الذي ذكرناه، ولذا كان لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وجاز التزوج منهم، ومشاركتهم، والاتجار معهم، وعبادة مرضاهم<sup>٤</sup>).

يقول ابن عاشور: (إن الذي يحاد الله ورسوله إن كان متجاهرا بذلك معلنا به، أو مجاهرا بسوء معاملة المسلمين لأجل إسلامهم لا لموجب عداوة دنيوية، فالواجب على المسلمين إظهار عداوته قال تعالى: "إِنَّمَا يَنهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ<sup>٥</sup> وَمَنْ

<sup>١</sup> أخرجه الديلمي ٢٠١١ من طريق الحسن عن معاذ مرفوعا، و هذا منقطع الحسن لم يدرك معاذ. و أخرجه ابن مردويه كما في الدر ٢٧٤/٦٦ عن كثير بن عطية عن رجل مرفوعا به و هذا رواه لجهالة ذلك الرجل. و قال العراقي: أسانيد كلها ضعيفة. راجع الإحياء ١٤٩١٢ و ٢٩٨١٤

<sup>٢</sup> نقله الإمام القرطبي في الجامع، ج ٩ ص ٢٦١

<sup>٣</sup> مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج ١٤ ص ٣٤٩

<sup>٤</sup> محاسن التأويل للقاسمي ج ٩ ص ٧١

يَتَوَهَّمُ فَأُوْتَيْتِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [ الممتحنة: ٩ ] ولم يرخص في معاملتهم بالحسنى إلا لاتقاء شرهم إن كان لهم بأس قال تعالى: "لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً" [ آل عمران: ٢٨ ] وأما من عدا هذا الصنف فهو الكافر الممسك شره عن المسلمين، قال تعالى: "لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" [ الممتحنة: ٨ ] .<sup>١</sup>

"وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ"

فإن قضية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يحشر المرء فيه مع من أحب أن يهجروا الجميع بالمرة وليس المراد بمن ذكر خصوصهم وإنما المراد الأقارب مطلقاً، وقدم الآباء لأنه يجب على أبنائهم طاعتهم ومصاحبتهم في الدنيا بالمعروف، وثنى بالأبناء لأنهم أعلق بهم لكونهم أكبادهم، وثلث بالإخوان الناصرون لهم.

أخاك أخاك من لا أخ له كساع إلى الهيجاء بغير سلاح.

وختم بالعشيرة لأن الاعتماد عليهم والتنصر بهم بعد الأخوان غالباً.

وقرأ أبو رجاء (و عشائرهم) بالجمع<sup>٢</sup>. قرء أبو العلية وزر بن حبيش "و عشيراتهم" بألف وكسر التاء على الجمع، ورواها الأعمش عن أبي بكر عن عاصم "وَأَيْدَهُمْ" قواهم ونصرهم بروح منه، قال الحسن: أو بنصر منه. وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه. وقال ابن جريج: بنور وإيمان وبرهان وهدى. وقيل برحمة من الله. وقال بعضهم: أيدهم بجبريل عليه السلام<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> التحرير و التنوير لابن عاشور ج ٢٨ ص ٥٣

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن و السبع للمثاني للألوسي ج ٤ ص ٣٠٨-٣٠٩

<sup>٣</sup> الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٢٦١



فالمؤمن يطيع ربه ويقيم شعائر دينه، ولكن ربما يظل قلبه معلق بمن يحب من بني جلدته، ويكون هذا الأمر غصة مريرة في قلبه، وهما حامله في نفسه وحيرة بين بقاء محبة أهله وخلانه في قلبه وبين محبة ربه ودينه، وكل ذلك الله مطلع عليه وعالم به.

فمن رحمته عز وجل التي وسعت كل شيء حسم سبحانه ذلك الأمر ونهاه وشفا صدور القوم المؤمنين وقدم لهم الأمر الفاصل في تلك المشاعر وذلك القلب الذي يكاد يزيغ بصاحبه عن طريق الحق والصواب. فرده الله عز وجل إلى صف المؤمنين واختاره للصالح والخير للعبد المؤمنين ولدينه القويم فكانت التخلية مما سوى الله ومن ثم التخلية بالله لا شريك له في المحبة والعمل إذ أن جميع الحركات مبناهما على المحبة فالمحبة أساس العمل لذلك- كانت محبة الله تعالى هي المحرك في جميع العبادات والشعائر للمؤمنين.

(وقد رتبت أصناف القرابة في هذه الآية على طريقة من الأقوى إلى من دونه لئلا يتوهم أن النهي خاص بمن تقوى فيه ظنة النصيحة له والائتمار بأمره)<sup>١</sup>.

(روابط الدم والقرابة هذه تقطع عند حد الإيمان: إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء الله، ولواء الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي تربط بالعروة الواحدة وبالحب الواحد)<sup>٢</sup>.

وحيث أن حزب الله المؤمنون حقا تركوا المحبين ومن بهم العزة والتعاضد ووجهوا طاعتهم وقلوبهم ومحبتهم وتعاضدهم بالله وحده، لذلك استحقوا أن يكونوا حزبه وأهله وخاصته، واستحقوا الجزاء الذي بشرهم به ووعدهم إياه، وكذلك النصر الذي بشرهم به.

<sup>١</sup> التحرير و التتوير لابن عاشور ج٢٨ص٥٣

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦ص٣٥١

وهؤلاء هم حزب الله تعالى وجنده وعبيده الذين سلموا له ووحده بالتوحيد الخالص، الذين توكلوا عليه حق التوكل فنصرهم وأيدهم وتبادل الرضا معهم.

فهم ليسوا فقط تاركين لأهلهم وذويهم وأقاربهم، بل هم كارهون وغاضبون عليهم يعادونهم ويحاربونهم حتى يكونوا معهم في حزب الله الذي ارتضاه لهم، أو يظلموا أعدائهم في الدنيا والدين.

( فلا مكان فيها لوداد أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحدا أمتنع أن يحب مع ذلك عدوه وهذا على وجهين:

أحدهما: أنهما لا يجتمعان في القلب فإذا حصل في القلب وداد أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان فيكون صاحبه منافقا.

والثاني: أنهما يجتمعان ولكنه معصية وكبيرة، وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب الوداد، بل كان عاصيا في الله) <sup>١</sup>.

لأن تلك القلوب المؤمنة أصبحت مليئة بمحبة ربها عز وجل لا فراغ بها لغيره فهي ملاذا للإيمان وأهله.

فأصبحت جميع الحركات مبناها على المحبة فالمحبة أساس العمل <sup>٢</sup>.

فإن الجمع بين الإيمان الخالص وموادة من حاد الله ورسوله غير ممكن ولو كان المحادون أقرب الأقربين، قال جار الله: هذا من باب التمثيل والغرض أنه لا ينبغي أن يكون وحقه أن يمتنع ولا يوجد <sup>٣</sup>.

ووضح الإمام الشوكاني السبب لذلك فقال: ( فإن الإيمان يزجر ذلك ويمنع منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة، فهم جنده الذين يمثلون أوامره ويقاثلون أعداءه وينصرون أوليائه وفي إضافتهم إلى الله سبحانه تشريف لهم

<sup>١</sup> التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥ ص٢٤٠

<sup>٢</sup> القول المفيد على كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، طبعة مصححتة منقحة ١٤٢٤هـ - ج١ ص١٥٥

<sup>٣</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦ ص٢٧٧

عظيم وتكريم فخيم<sup>١</sup>. فمودة الكفار تقدر في صحة الإيمان، وأن كان مؤمنا لم يوال كافرا وإن كان أباه أو ابنه أو أحدا من عشيرته<sup>٢</sup>.

فلا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا إذا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه فلا تجد شيء أدخل في الإخلاص من موالاته أولياء الله ومعاداة أعدائه، بل هو الإخلاص بعينه أثبتته فيها بما وفقهم فيه وشرح لهم صدورهم<sup>٣</sup>.

وفي محبة من آمن وموالاته، وبغض من لم يؤمن ومعاداته، \_ ولو كان أقرب الناس إليه \_ . فهذه هي حقيقة الإيمان الذي يجد ثمرته من كان به. والمقصود منه أهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرسا طيبا لا يتزلزل ولا يتأثر بالشبه والشكوك، هم الذين قواهم الله بروح منه أي: وحيه ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني.

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى لا تفيد شيئا ولا يصدق صاحبها<sup>٤</sup>.

قال في البحر: (بدأ بالأبائ لأن طاعتهم واجبة للأولاد، ثم بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب، ثم بالإخوان لأن بهم التعاضد، ثم بالعشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة والتغلب على الأعداء كما قال قائل:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا)<sup>٥</sup>.

يقول تعالى أن أولئك العالون في كمالاتهم الروحية هم جند الله وأوليائوه، الفائزون يوم القيامة بالنجاة من النار ودخول الجنة<sup>١</sup>.

<sup>١</sup>فتح القدير للشوكاني ج٥ص٢٤٠

<sup>٢</sup> زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص ١٤١١

<sup>٣</sup> الكشاف للزمخشري ج٤ص٣٧٤

<sup>٤</sup> تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي ص٨٤٨

<sup>٥</sup> البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج١٨ص٢٣٩

فهم لا يجدون في أنفسهم عوجا عنه، ولا يجدون في خطاهم تخلفا عن خطاه،  
ولا يجدون في قلوبهم شيئا إلا الله. ..كانوا كما جاء عنهم في هذه السورة "لَا تَجِدُ  
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...".

"أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ" كتابة الإيمان في القلوب نظير قوله:  
"كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي" وهي التقدير الذي لا تخلق آثاره، أي هم  
المؤمنون حقا الذين زين الله الإيمان في قلوبهم فاتبعوا كماله وسلخوا شعبه.  
(أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصه. وقيل حكم لهم بالإيمان فذكر  
القلوب لأنها موضعه - موضع الإيمان) -<sup>٢</sup>. (فهم استكملوا أجزاء الإيمان بحذافيرها  
ليسوا ممن يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض)<sup>٣</sup>.

"أُولَئِكَ" أي الذين لم يوادوهم، كتب في قلوبهم الإيمان أثبت الإيمان في  
قلوبهم، وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الإيمان لأن أعمال الأعضاء لا تثبت  
في القلب<sup>٤</sup>. وأكد ذلك قوله تعالى: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلُوبُنَا لَمْ نَكُنْ نَدْرِكُ الْقُلُوبَ  
أَسَلَّمْنَا وَلَمَّْا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" [الحجرات: ١٤] كما ذكر القاضي أبو  
السعود في تفسيره .

(أي أحياهم به فلا انفكك لذلك عنهم في وقت من الأوقات فأنتم لهم استقامة  
المناهج ظاهرا وباطنا، فقهروا بالدلائل والحجج، وظهروا بالسيف المغني للمنهج،  
وعملوا الأعمال الصالحة فكانوا للدنيا كالسرج، فلا تجد شيئا، أدخل في الإخلاص من

<sup>١</sup> أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥ ص٣٠٠

<sup>٢</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٤ ص٢٨٥

<sup>٣</sup> غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦ ص٢٧٨

<sup>٤</sup> التفسير المنير للزحيلي ج٢٨ ص٥٦، و يرجع أيضا إلى تفسير القاضي أبي السعود ج٦ ص٢٢١

موالان أولياء الله ومعادة أعدائه بل هو عين الإخلاص<sup>١</sup>. يبين سيد قطب سبب إخلاصهم ذلك بأن ما يكون أن يعزموا هذه إلا بروح من الله. وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمدهم بالقوة والإشراق ويصلهم بمصدر القوة والإشراق.

"وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ" قال الزحيلي: (مجاز مرسل، لأنه سبب للحياة الطيبة الأبدية)<sup>٢</sup>.

"وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ"

(الجنة. الجنة. الجنة هي جزاءهم وثوابهم، دار لهم في الآخرة دار الخلد المقيم التي وعد المتقون، هي لهم دار القرار بأنوارها التي تروي قلوبهم التي قطعت كل أواصر كانت متعلقة بها في الدنيا فقد تركوا الفاني في الدنيا فكان جزاءهم الخلد في النعيم المقيم. وبعد دخولهم لتلك الجنان جعلنا الله من أهلها وساكنيها – جاءهم رضوان الله عز وجل عليهم بأن أكرمهم بما يفوق خيالهم وعقولهم وبالذي وعدهم به فكان وعده حقا وصدقا، كان منهم الرضا عما أثابهم به فكان الرضا بين الله وعباده المؤمنين هو ذلك الخلق يوم القيامة)<sup>٣</sup>.

وفي ذكر الرضا المتبادل سر بديع فسرره الإمام ابن كثير بقوله: (ولما سخطوا على القرائب والعشائر في الله، عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم، والفضل العظيم)<sup>٤</sup>.

و لما كان ذلك لا يلذ إلا بالدوام قال: "خَالِدِينَ فِيهَا"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ص٥٠٧-٥٠٨

<sup>٢</sup> التفسير المنير للزحيلي ج٢٨ص٥٦

<sup>٣</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ص٣٥١٦

<sup>٤</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ص٢٩٧.

<sup>٥</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧ص٥٠٨

"رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ" يقول النسفي: بتوحيدهم الخالص وطاعتهم "وَرَضُوا عَنْهُ"  
" بثوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا<sup>١</sup>.

( فهذه صورة وضيئة راضية مطمئنة، ترسم حال المؤمنين هؤلاء، في مقام عال رفيع، وفي جو راض وديع ربهم راض عنهم وهم راضون عن ربهم. انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به فتقبلهم في كنفه، وأفسح لهم جنباه، وأشعرهم برضاه فرضوا. رضيت نفوسهم هذا القرب وأنست به واطمأنت إليه)<sup>٢</sup>.

(وقوله تعالى: "رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ" عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض سبحانه عليهم من آثار رحمته عز وجل العاجلة والآجلة، وقوله تعالى: "وَرَضُوا عَنْهُ" بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وأجلا، وقوله تعالى: "أَوْلَيْتِكَ حِزْبُ اللهِ" تشریف لهم ببيان اختصاصهم به تعالى وقوله سبحانه: "أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" بيان لاختصاصهم بسعادة الدارين والكلام في تحلية الجملة- بإلا. وإن-)<sup>٣</sup>.

( رضى الله عنهم حاصل من الماضي ومحقق الدوام فهو مثل الماضي في قوله "وَأَيَّدَهُمْ"، ورضاهم عن ربهم كذلك حاصل في الدنيا بثباتهم على الدين ومعاداة أعدائه، وحاصل في المستقبل بنوال رضى الله عنهم، ونوال نعيم الخلود. وأما تحويل التعبير إلى مضارع في قوله "وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ" فلأنه الأصل في الاستقبال)<sup>٤</sup>.

"حِزْبُ اللهِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"

فهم جماعته المتجمعة تحت لوائه المتحركة بقيادته المهدية بهديه المحققة لمنهجها. وحرف التنبيه يحصل منه تنبيه المسلمين إلى فضلهم وتنبيه من يسمع ذلك

<sup>١</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٤ ص٤٩-٣٤

<sup>٢</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦ ص٣٥١

<sup>٣</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للأوسى ج٤ ص٣٠٩

<sup>٤</sup> التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٥٥

من المنافقين إلى ما حبا الله به المسلمين من خير الدنيا والآخرة لعل المنافقين يغبطونهم فيخلصون للإسلام<sup>١</sup>.

لأن من عادى أعداء الله وأقام حدود الله وشرعه، وأطاعه فيما أمر هو ورسوله ﷺ كان لا بد أن يكون في زمرة الحق، وهذا نوع آخر من أنواع الجزاء الوفي الذي أعده عز وجل لعباده المؤمنين، ذكر أوله "جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا<sup>٢</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ<sup>٣</sup>" ثم ها هو سبحانه وتعالى يجازيهم بهذا الشرف العظيم الذي لا يكون بعده شرف، إذ يكون المؤمن في حزب ربه العظيم ذو الجلال والإكرام، وغيبضا بعد ذلك وعد منه تعالى بالفلاح لعباده، وجزاء لهم ولعملهم وطريقهم الذي اختار سلوكه هو طريق الخير الذي انتهى بهم إلى الفلاح في الدنيا والآخرة وأكد ذلك بفنون التأكيد وحلى الجملة بها.

(أي عباد الله وأهل كرامته)<sup>٢</sup>. أي جنده وأنصار الحق الذي أنزل ودعاة الخلق إليه<sup>٣</sup>. (فهم جنده الذين يتمثلون بأوامره ويقاتلون أعدائه، وينصرون أوليائه، وفي إضافتهم إلى الله تعالى تشریف عظيم لهم وتكريم فخيم)<sup>٤</sup>.

(فهم الباقيون في النعيم المقيم، الفائزون بكل محبوب الأمنون من كل مرهوب. قاله النسفي)<sup>٥</sup>.

وهذا طباق آخر في السورة، إذ بعد ما ذكر في الآيات السابقة حزب الشيطان وصفاته - والعياذ بالله - ها هو يذكر هنا في هذه الآية حزب الله تعالى - جعلنا الله منهم - وصفاته.

<sup>١</sup> يرجع للمصدر السابق .

<sup>٢</sup> تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٧

<sup>٣</sup> الأساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠ ص٥٧٦

<sup>٤</sup> فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٢٤٠

<sup>٥</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٤ ص٣٤٩

فالشیطان أخزاه الله - قد ترأس حزب أهل النار الضالین الهالکین وترأس العمل بها، وعمل علیها ایضاً، فقد حاد الله عز وجل ووقف موقف المعاند المتحدي لربه جلا وعلا.

وأما الفرقة الناجية حزب المؤمنین الأتقیاء الذین شرفهم ربهم عز وجل بإضافة حزبهم إليه وسماهم "حزبَ الله" أي حزب الهداية والصالح والخیر، حزب وفرقة الذین تبعوا دین ربهم وأطاعوه وكانوا على الحنیفیه التي شرعها ورضیها لهم.

وهو ختام السورة بهذا المحك موالاة أولیاء الله ومعاداة أعدائه هو المحك والاختبار لإیمان المؤمنین، بل هو البوابة للدخول في حزب الله والانضمام له والکنف تحت لوائه والسير في طریق الفلاح والحیة به.

سواء كان ذلك المحارب كافراً أصلياً، أو منافقاً، وذلك في سياق السورة التي تتحدث في سياقها الرئيسي عن المنافقین الذین یحادون الله ورسوله من خلال التناجی بالباطل، وموادة الكافرين لتبين أن الإیمان الحقيقي لا یجتمع مع الموالاة لأعداء الله<sup>١</sup>.

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبین أثنتين: حزب الله وحزب الشیطان. وعلى رایتین اثنتين: رایة الحق ورایة الباطل. فإما أن یكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت رایة الحق، وإما أن یكون من حزب الشیطان فهو واقف، تحت رایة الباطل (و هما صفان متوازيان لا یختلطان ولا یتمیعان).

لا نسب ولا صهر، ولا قرابة ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية. إنما هي العقيدة، والعقيدة وحدها. فمن انحاز إلى حزب الله وقف تحت رایة الحق فهو وجميع الواقفین تحت هذه رایة إخوة في الله، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم، وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم، ولكنهم یلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله،

<sup>١</sup> الأساس في التفسیر لسعيد حوی ج ١٠ ص ٥٧٦



فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة. ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة. لا من وطن، ولا من لون، ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر " لقد أنتجت الوشيعة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فانبثت هذه الوشائج جميعا.

وهذه الصورة هي أنسب ختام للسورة التي بدأت بتصوير رعاية الله وعنايته بهذه الأمة في واقعة المرأة الفقيرة التي سمع الله لها وهي تجادل رسول الله ﷺ في شأنها وشأن زوجها. فالانقطاع لله الذي يرعى هذه الأمة مثل هذه الرعاية هو الاستجابة الطبيعية. والمفاضلة بين حزب الله وحزب الشيطان هي الأمر الذي اختارها الله للدور الكوني الذي كلفها إياه<sup>1</sup>.

و الله أعلم بكل دقيق وجليل وإليه المصير وببيده التوفيق والإتمام بالصواب.

<sup>1</sup> في ظلال القرآن لسيد قطب ج ١٦ ص ٣٥١-٣٥١٦

## الخاتمة

إن التناسق الموضوعي من العلوم الجليلة المتعلقة بكتاب الله تعالى، يتناول جانباً مهماً من جوانب الإعجاز القرآني، وهو جانب الربط بين موضوعات القرآن الكريم بشكل عام، أو الربط بين موضوعات السورة الواحدة، مما يشكل نسقاً متكاملًا للسورة القرآنية بحيث تبدو وكأنها حلقة عقد منتظم أوله بآخره.

و تبدو أهمية هذه الدراسة من خلال الرد على أولئك النفر الحاقدين من أعداء الإسلام الذين ما إن تسنح لهم الفرصة لبث سمومهم في هذا الدين، وقولهم أن القرآن الكريم عبارة عن خليط متنافر لا يقوم على أساس منهج البحث العلمي، والترتيب المنطقي لمحتوياته.

وقد تجلّى هذا البحث من خلال بيان:

- التناسق الموضوعي، تعريفه لغة واصطلاحاً، أنه: هو بناء السورة الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين آياته.

- هناك علاقة متكاملة بين التناسق الموضوعي وعلم المناسبات القرآنية، لكن لا يصح أن يعرف التناسق بمعنى المناسبات على إطلاقه.

- يعتبر علم المناسبات من العلوم القائمة على أساس أن ترتيب سور القرآن الكريم وآياته من الأمور الثابتة عن النبي ﷺ بالتوقيف، وهذا هو الرأي الراجح الذي عليه أكثر أهل العلم.

- تبين لي من خلال دراسة المناسبة الخارجية بين سورة المجادلة، والسورة التي قبلها، والتي بعدها، عظمة هذا الكتاب الكريم الذي لا يمكن أن ترى فيه تفاوتاً أو اختلافاً، بل كله يكاد أن يكون وحدة موضوعية متكاملة لا تنافر فيه ولا اضطراب، مناسب بعضه لبعض من أوله إلى آخره، في منتهى الترابط

والانتلاف، وكأن كل سورة من هذه السور تستدعي ما بعدها، وأن ما بعدها قد اقتضاها ما قبلها، تتكامل في موضوعاتها، وتتناسب في سياقاتها، وأساليبها.

- المحور الرئيسي لسورة المجادلة كما ذكر أهل العلم بيان حكم الظهار وذكر النجوى والأمر بالتوسع في المجالس وبيان فضل العلم وأهله، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حزب الرحمن وحزب الشيطان.

- من خلال دراسة التناسق بين موضوعات سورة المجادلة، تبين لي عظمة الترابط بين موضوعاتها التي تعالج قضايا مختلفة، وكيف تلتقي تلك الموضوعات برمتها في محور واحد يسمى (الموضوع الكلي للسورة)، فهو يمثل نقطة انطلاق لكل مقاطع السورة، وبهذا فإن السورة تمثل وحدة موضوعية تعالج الموضوع الأساسي الذي سيقته من أجله.

- كما تبين من خلال هذا البحث أن السورة القرآنية الواحدة يتناسق أولها مع آخرها، ومطلعها مع خاتمتها، ومعنى هذا أن السورة التي تعالج قضية من القضايا في مطلعها، فإنها لا شك تختم بنفس الأمر الذي بدأته في أولها.

- كما تناولت بالدراسة مناسبة آيات الآداب الرفيعة والتنظيمات لآيات المجادلة ، التي تضمنتها آيات السورة المباركة.

- توصلت في بحثي هذا من الفائدة العظيمة من ذكر لفظ الجلالة في كل آية من آيات سورة المجادلة، والمعاني العظيمة التي تهدف إليها الآيات الكريمة المتضمنة لهذا الاسم العظيم.

وعليه فإن القرآن الكريم بحر لا ساحل له، فمهما بحث في علومه الباحثون، وولج في أعماقه المفسرون، فإنه يظل غضا طريا، ربما تنقضي الأعمار، ويأتي الجيل بعد الآخر، دون أن يستطيع أحد أن يلم بعلومه، مما يدل دلالة عظيمة انه من لدن عليم خبير، فهو بحق معجزة الله الخالدة.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في تقديم بعض الشيء لخدمة كتاب  
الله من خلال هذه الرسالة، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات من تابعتني فيها  
وأرشدني، ومن قرأها فنفعتني بما يصحح خطأها، أو يقيم بناءها، إنه سميع مجيب.  
وآخر دعوانا بما ابتدأنا أن الحمد لله رب العالمين.

## الفهارس العامة

- أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.
- ثالثاً: فهرس الأعلام.
- رابعاً: المصادر والمراجع.
- خامساً: فهرس المحتويات.

## فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١	"غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"	٧	الفاتحة	٢٢٦
٢	"يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ"	٢١	البقرة	١٠٣
٣	"سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ"	٢١١	البقرة	٤٢
٤	"إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ"	٢٤٨	البقرة	٤٢
٥	"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ"	٢٥٨	البقرة	١٦٩
٦	"وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"	٢٨١	البقرة	٣٥
٧	"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"	٣٠	البقرة	١٠٣
٨	"يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ"	٧٤	ال عمران	٥٦
٩	"يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا"	١٠٢ - ١٠٣	ال عمران	٨٤ - ٨٥

١٨٦	آل عمران	١٥٦	"يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ"	١٠
١٨٩	آل عمران	١١٤	"لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ"	١١
١٩٨	آل عمران	١٢١	"مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ"	١٢
٢٠٢	آل عمران	١٣٨ ١٣٧	"يَعْكُفُونَ" "يَعْرِشُونَ"	١٣
٢٠٦	آل عمران	١٨	"شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِالْقِسْطِ"	١٤
٢٥٣	آل عمران	٢٨	"لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً"	١٥
١٢	النساء	٨٢	"وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"	١٦
١٢٢	النساء	١١٤	"لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ"	١٧
١٤٥	النساء	٢١	"وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُم إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ	١٨

			مِنْكُمْ مِيثِقًا غَلِيظًا "	
٢٢٦	النساء	١٤٣	"مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ" ج "	١٩
٢٢٩	النساء	١٤٥	"إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا "	٢٠
٨٧	المائدة	٥٦	"وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ "	٢١
٨٤	الأنعام	١٠٦	"اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "	٢٢
٢٣١	الأنعام	٧٦	"فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا "	٢٣
٢٣٤ - ٢٣٥	الأنعام	٢٣	"ثُمَّ لَمَّا تَكَنَّ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ "	٢٤
٢٣٥	الأنعام	٢٨	"وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ "	٢٥
٥٦	الأنفال	٢٥	"وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً "	٢٦
٨٢	التوبة	٦	"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ "	٢٧
٢١٣ - ٢١٧	التوبة	١٠٣	"صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "	٢٨



٢٣٥	التوبة	٥٦	"وَتَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لَمِنكُمْ"	٢٩
١٩١	يونس	٥٣	"بِدَنِكَ نُنَجِّيكَ فَالْيَوْمَ"	٣٠
١١٥	هود	١٣ - ١٤	"أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرهٗ قُلْ فَاتُوا بَعْشِرِ سُوْرٍ مِّثْلِهٖ مُفْتَرِيْتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴿١٣﴾ فَالْمَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"	٣١
١٤٢	هود	٩٢	"وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا"	٣٢
٤٢	هود	١٠٣	"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً"	٣٣
١٧٣	يوسف	٨٠	"فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ حَلَصُوا نَجِيًّا"	٣٤
١٣٨	يوسف	٨٦	"إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ"	٣٥
٣٥	الحجر	٩	"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"	٣٦
١٩٢	الحجر	٤٢	"إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ"	٣٧
٤٠	الحجر	٨٧	"وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ "	٣٨
٢٣١	النحل	٨٨	"الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ"	٣٩
١٥٠	الإسراء	٨	"وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَاُ"	٤٠
١٧٣	الإسراء	٤٧	"وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ"	٤١
٢٢٦	الإسراء	٦٣	"قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِيْنَ أَخْرَجْتَنِي"	٤٢

			إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا "	
١٤٢	الكهف	٢٠	"إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ "	٤٣
١٦٦	الكهف	٤٩	"وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۗ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ "	٤٤
١٧٣	مريم	٥٢	"وَقَرَّبْتَهُ نَجِيًّا "	٤٥
١٣٩	طه	٤٦	"إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى "	٤٦
١٦٩	طه	٧	"يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى "	٤٧
٢٠٥	طه	١١٤	" رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا "	٤٨
٨٦ - ١٧٣	الأنبياء	٣	"لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ "	٤٩
٢٢١	الحج	٧٨	"وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ "	٥٠
١٦١	الفرقان	٤٣	"أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا "	٥١
١٤٣	الفرقان	٥٥	"وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا "	٥٢
١٧٢	النمل	٥٣	"وَأَخْبَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا "	٥٣
٧٣ -	النمل	٥٩	"وَسَلَّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ "	

١٨٢				
١٧٢	النمل	٩٣	"فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ"	٥٤
٢٠٦	العنكبوت	٤٣	"وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"	٥٥
٤٢	الروم	٢٢	"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الْسِّنَتِكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ"	٥٦
٨٥	الروم	٢١	"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"	٥٧
٢٦	لقمان	٢٧	"وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"	٥٨
٨٦ - ٨٩	الأحزاب	٣	"وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ"	٥٩
١٤٦	الأحزاب	٤	"ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ"	٦٠
٢٥١	الأحزاب	٤	"(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ"	٦١
١٤٣	سبأ	٢٢	"وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ"	٦٢
١٤٢	فاطر	٤٥	"مَا تَرَكْ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ"	٦٣
١٥٠	يس	٣٩	"حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ"	٦٤

٢٤٧	الصفات	١٧١ - ١٧٢	"وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ"	٦٥
١٥	ص	٢٩	" كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ "	٦٦
٢٠٦	الزمر	٩	" هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ "	٦٧
١٢	فصلت	٤٢	" تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "	٦٨
٢٤٩	الشورى	٥٢	" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا "	٦٠
٢٥٠	الشورى	٢٣	" قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ "	٧٠
٢٥٨	الحجرات	١٤	" قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ "	٧١
٥٨ - ١١٣	الحديد	٤	" وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ "	٧٢
١٠٠	الحديد	٤	" يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ كُنْتُمْ مَا "	٧٣
١٠٢	الحديد	١	" سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ "	٧٤
١٠٢ - ١٠٣	الحديد	٧	" ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ "	٧٥
٩٩	الحديد	١٢	" يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرانُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ "	٧٦

			تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" "	
١٠٤	الحشر	١	"سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"	٧٧
١٠٥	الحشر	٢١- ٢٢- ٢٣- ٢٤	"﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"	٧٨
٢٥٣	المتحنة	٨	"لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ تَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"	٧٩
٢٥٣	المتحنة	٩	"إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"	٨٠
٢٥٠ - ٢٥٢	المتحنة	١	"يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ" إلى قوله: "بِالْمَوَدَّةِ"	٨١

١٤٣	التحريم	٤	" وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ <sup>ط</sup> "	٨٢
٢٣١	المنافقون	٢	" اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً"	٨٣
١٤٢	الانشقاق	١٠	" وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ "	٨٤
٣١	البلد	١٠	" وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ "	٨٥
١٤٢	الشرح	٣	" الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ "	٨٦

## فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين	٨
٢	لا يشكر الله من لا يشكر الناس.	٢٢
٣	ضعوا آية كذا في موضع كذا	٤٠-٢٥
٤	ضعها في رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة	٣٥
٥	من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة"	٣٨
٤	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت خولة إلى الرسول...	١٠٠
٥	"من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة"	٣٩
٦	ما منعك أن تأتني" فقلت كنت أصلي .	٤٠
٧	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف .	٤٠
٨	عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لا أسمع كلام خولة ...	٦٨
٩	خولة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة، قالت ...	٦٨
١٠	لما روي عن خولة بنت ثعلبة قالت: والله في وفي أوس بن الصامت أنزل الله - عز وجل- صدر سورة المجادلة ...	٦٩
١١	عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت: " ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت ﷺ فجننت رسول الله ...	٧٠
١٢	أن خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها رآها زوجها وهو أوس بن الصامت ...	٧٠
١٣	كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به لمم	٧١

٧٢	" كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادة فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون ...	١٤
٧٢	أن يهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليكم ...	١٥
٧٣	أن أناسا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم ...	١٦
٧٤	عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك ...	١٧
٧٥	كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر ...	١٨
٧٦	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس ولكن أفسحوا يفسح الله لكم .	١٩
٧٧	إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه ...	٢٠
٧٨	عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة ...	٢١
٧٨	كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال: ...	٢٢
٧٩	أن النبي ﷺ قال: لأصحابه: " يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان ...	٢٣
٨٠	فقال له رسول الله ﷺ : "متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري .	٢٤
٨٠	أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها ...	٢٥
٨١	عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول، جلس إلى النبي ...	٢٦
٧٣	" أن أناسا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام	٢٧



	عليك يا أبا القاسم، فقال ﷺ : وعليكم، قالت عائشة...	
١٣٤	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه ...	٢٨
١٣٤	أن خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت، أراد زوجها موافقتها يوماً فأبت، فغضب وظاهر منها ...	٢٩
١٥٣	أن رجلاً ظاهر من امرأته، ثم واقعها قبل أن يكفر فأتى النبي ...	٣٠
١٥٦	عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة ...	٣١
١٩١	"إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه .	٣٢
١٩٥	كان ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر ...	٣٣
١٩٨	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا وتوسعوا .	٣٤
١٩٨	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .	٣٥
٢٠٠	"قوموا إلى سيديكم .	٣٦
٢٠٠	من سره أن يمتثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار .	٣٧
٢٠٠	" لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضاً .	٣٨
٢٠٤	من تواضع لله رفعه ..	٣٩
٢٠٤	ليليني منكم أولو الأحلام والنهي .	٤٠
٢٠٦	يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء .	٤١
٢٠٧	أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم .	٤٢
٢٠٧	وقيل يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فقال: "العلم بالله عز وجل" فقيل: أي العلم تريد ...	٤٣

٢٠٧	العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما،...	٤٤
٢٠٧	فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب .	٤٥
٢٠٧	فضل العالم على العابد كفضلي على أديناكم .	٤٦
٢٠٧	من جاءه الموت و هو يطلب العلم ليحيى به الإسلام ...	٤٧
٢٠٧	بين العالم و العابد مائة درجة بين كل درجتين حضر ...	٤٨
٢٠٨	يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء .	٤٩
٢٠٨	من التمس طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة .	٥٠
٢٠٩	من تواضع لله رفعه .	٥١
٢١٢	سألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابني عنها ...	٥٢
٢١٤	لما نزلت دعاني رسول الله ﷺ فقال : "ما تقول في دينار ...	٥٣
٢٢٦	مثل المنافق مثل الشاة العثرة بين الغنمين ...	٥٤
٢٢٧	أن رسول الله جاسا في ظل حجرة من حجره و عنده ...	٥٥
٢٣٥	يبعث كل عبد على ما مات عليه .	٥٦
٢٤٨	المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال .	٥٧
٢٤٨	المرء مع من أحب يوم القيامة .	٥٨
٢٥٢	اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة ...	٥٩

## فهرس الأعلام

م	الاسم	الصفحة
١	محمد ﷺ	٣-٨-١١-١٢-٢٣-٢٥-٣١-٣٥-٣٨-٤٠-٤١-٤٣-٤٧-٤٨-٥٠-٥١-٥٨-٥٩-٦٠-٦٢-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٧-٨٨-٨٩-٩١-٩٢-١٠٠-١٠٨-١١٢-١١٣-١١٤-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٧-١٢٨-١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤٥-١٥٣-١٥٥-١٥٧-١٦٤-١٧٠-١٧١-١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٩١-١٩٣-١٩٥-١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢١٨-٢٢٠-٢٢١-٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٣٠-٢٣٥-٢٤١-٢٤٣-٢٤٨-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٦٢-٢٦٤
٢	أبو بكر الصديق	٢٥١
٣	عمر بن الخطاب	٢٧-٨٠-٢٠٥-٢٠٨-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٨-٢١٥-٢٢٢-٢٣٨-٢٥١

٢٢٣-٢١٩-٢٠٩-٧٧-٦١	علي بن أبي طالب	٤
-١٤٠-١٣٤-١٠٩-١٠٠-٧٤-٧٣-٦٨ ٢٣٨-١٧٢-١٧١-١٤٩	عائشة رضي الله عنها	٥
٣٦	أبي بن كعب	٦
٢٠٠-٧٣-٧٠	أنس بن مالك	٧
٢٠٩-٢٠٦-١٩٢-٨٠-٥٩-٥٠	عبد الله بن مسعود	٨
٨٠	حمزة بن أبي طالب	٩
٨٠	مصعب بن عمير	١٠
٨٠	عبدة بن الجراح	١١
٢١٤-١٩٩	ابن عمر	١٢
٧٤-٧٢	عبد الله بن عمرو	١٣
٨١	عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول	١٤
٢٥٥	الربيع بن أنس	١٥
-٧٧-٧٣-٧١-٦١-٥٣-٥٢-٥١-٣٥ -١٧١-١٥٣-١٥١-١٣٥-١٢٧-٩٠-٧٨ -٢١٣-١٨٥-١٨٤-١٨١-١٨٠-١٧٥ -٢٢٩-٢٢٨-٢٢٢-٢٢١-٢١٧-٢١٦ ٢٥٠-٢٣٦	ابن عباس	١٦
٩٠-٥٣-٥٢	ابن الزبير	١٧
١٣٥-٧٠	عبادة بن الصامت	١٨
-١١٢-١٠٨-٧١-٧٠-٦٩-٦٨-٦٧ -١٣٨-١٣٦-١٣٥-١٣٤-١٣٣-١١٨ ١٩٠-١٥٦	خولة بنت ثعلبة	١٩
-١٣٤-١١٢-٧١-٧٠-٦٩-٦٨-٦٧-٥٨	أوس بن الصامت	٢٠

١٣٦-١٣٥		
٢٥٣	الثوري	٢١
-١٨١-١٨٠-١٥٣-٧٣-٦١-٥٣-٥١ ٢٤٧-٢٠٨-٢٠٤	مجاهد	٢٢
-٢١٥-٢١٣-١٩٦-١٧٢-٨٠-٧٦-٧٢ ٢٢٧-٢١٧	مقاتل بن حيان	٢٣
٢٠٤-١٩٦-١٨٠-١٦٢-٦١-٥٢	قتادة	٢٤
٢٠٤-١٧٥-١٧٢	الضحاك	٢٥
١٧٥	ابن جرير	٢٦
١٢١	أحمد ابن حنبل	٢٧
٨١-٨٠	ابن حجر	٢٨
٥٢	أبو بكر الانباري	٢٩
٢٥٥-٨١-٦١	ابن جريج	٣٠
٩٦	ابن فارس	٣١
٢٢٥-١٣٥-٥١-٤٥-٤٣	أبو عمرو	٣٢
١٣٥	الكسائي	٣٣
١٣٥	ابن محيصة	٣٤
٢٠٠-٦٦	ابن تيمية	٣٥
٩٠-٥٣-٥٢	أبو جعفر بن الزبير	٣٦
١٥٦-١٥٥-١٥١	الشافعي	٣٧
١٦١-٧٤	أبو مسلم الأصفهاني	٣٨
١٦٣-١٦١	المبرد	٣٩
١٥٧-١٥١	الفراء	٤٠
٧٤-٧٢-٦٨	الطبراني	٤١

١٨٢	يحيى بن وثاب	٤٢
٢٣٦	عياض	٤٣
٢٤٧-٢٠٣	ابن عامر	٤٤
٢٠١	سعد بن معاذ	٤٥
٢٥٣	أشهب بن مالك	٤٦
٢٥٥	زر بن حبيش	٤٧
١٥١-٧١	أبو العالية	٤٨
٢٢٩-١٣٥-٩٠-٧٠-٦٨-٥١	البيهقي	٤٩
٩٠-٥٢	ابن الضريس	٥٠
٩٠	أبو الشيخ	٥١
٥٣	ابن فرس	٥٢
٢٢٩-٢١٦-٥٦-٦٨	ابن المنذر	٥٣
٤٥	أبي عمرو الداني	٥٤
٢٠٠-١٥٣-٦١-٥٣-٥٢	عكرمة	٥٥
٢٢٩-٧٨-٧٢	أبي حاتم	٥٦
٢٢٩-١٣٥-٩٠-٦٨-٥٣	ابن مردويه	٥٧
٢٢٩-٧٤-٧٢	البزار	٥٨
٢٥٠-٢٢٧-٨١-٧٨	السدي	٥٩
٢٣٩	الشاه الكرماني	٦٠
٢١٧-١١٩-٥٢	الكلبي	٦١
١٤٥	أبو قلابة	٦٢
٢٥٢	الثوري	٦٣
٢٨٢	عبد العزيز بن رواد	٦٤
٣٦	محمد بن الهمداني	٦٥

٢٤٧-١٥٨	الزجاج	٦٦
٣٥	الطبيي	٦٧
٥١	سهل	٦٨
١٠	عز الدين عبد السلام	٦٩
٢٦	عبد الحميد الفراهي	٧٠
١٩١	ابن عمرو	٧١
٣٦	الخفاجي	٧٢
٩	ولي الدين الملوي	٧٣
٣٦	القزويني	٧٤
٢٢٨-٢١٥-٢٠٥-٦٨	ابن المنذر	٧٥
١٥٦-١٤٤	أبي حنيفة	٧٦
١٣٨	يعقوب عليه السلام	٧٧
٢٠٧-١٥٩	إبراهيم عليه السلام	٧٨
١٨٢-١٧٩	رويس	٧٩
١٣٥	الماوردي	٨٠
١٠٠	النسائي	٨١
١٩٨-٧٧	الترمذي	٨٢

## المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤- سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- ٦- المسند: أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة - القاهرة، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ٧- مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٨- مسند أبي يعلى الموصلي، المؤلف: أبو يعلى الموصلي K المحقق: حسين سليم أسد، طبعة دار المأمون للتراث.
- ٩- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠- الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد



بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات،  
الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

١١- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

١٢- العلل ابن أبي حاتم المؤلف: ابن أبي حاتم الرازي المحقق: سعد بن عبد الله الحميد - خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦

١٣- المنتقى من السنن المسندة: أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت.

١٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٥- المستدرک على الصحيحين المؤلف: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، المحقق: مقل بن هادي الوادعي، الناشر: دار الحرمين سنة النشر: ١٤١٧ - ١٩٩٧ الطبعة الأولى.

١٦- سنن النسائي الكبرى المطبوع: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ).

١٧- الثقات: المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية.

١٨- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

١٩- المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.

٢٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢١- صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٢- أخبار وأشعار لأبي عبد الله الحميدي عن شيوخه (مطبوع ضمن مجموع باسم الفوائد لابن منده!): أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (المتوفى: ٤٨٨هـ)، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٣- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

- ٢٤- مسند الحميدي المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ) حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الداراني، الناشر: دار السقا، دمشق - سوريا.
- ٢٥- الأحاد والمثاني: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية - الرياض.
- ٢٦- المغني عن حمل الأسفار في تخريج مافي الأحياء من الأخبار، المؤلف عبد الرحيم بن الحسين العراقي الناشر: دار صادر - الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- ٢٧- التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه: د. زياد خليل الدغامين، دار عمان - الأردن، ط ١٤٢٨، ١هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٨- مباحث في التفسير الموضوعي بقلم: أ.د مصطفى مسلم. طباعة دار القلم - دمشق. الطبعة السادسة. ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٩- تراثنا الفكري في ميزان الاشرع والعقل: محمد الغزالي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية.
- ٣٠- القول المفيد على كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين طباعة: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٤هـ. الطبعة الثانية.
- ٣١- مقاصد القرآن وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني لمحمد عبد السلام الحضير. جامعة الشارقة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١١-١٢ جماد الأولى ٤-٢٥-٢٦-٢٣هـ - ٢٠١٠م. (٢).
- ٣٢- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

٣٣- لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل ابن منظور (٧١١هـ)، ط١، دار صادر -بيروت.

٣٤- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا.

٣٥- المعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٣٦- مفردات ألفاظ القرآن تصنيف العلامة الراغب الأصفهاني. (٤٢٠هـ). راجعه وعلق عليه: نجيب الماجدي. شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان-بيروت. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٧- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر -بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٨- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، دار إحياء التراث العربى -بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٣٩- تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى الزبيدي، المطبعة المحمدية - مصر.

٤٠- الصحاح، تاج اللغة، وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطاء، دار العلم -بيروت ١٤٠٧هـ.

٤١- الإتيان في علوم القرآن. تأليف: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه: فواز أحمد زمرلي. دار الكتاب العربى لبنان -بيروت ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

٤٢- مناهل العرفان في علوم القرآن بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني. دار المعرفة المعرفة للطباعة وللنشر والتوزيع. لبنان-بيروت ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. الطبعة الثالثة.

٤٣- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.  
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية لبنان-بيروت. ١٤٢٥هـ-  
٢٠٠٤م. الطبعة الأولى.

٤٤- البيان في عد آي القرآن: المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو  
عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر:  
مركز المخطوطات والتراث - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-  
١٩٩٤م.

٤٥- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية "نقد مطاعن ورد شبهات": د. فضل  
حسن عباس، دار البشير للنشر والتوزيع.

٤٦- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة: أبو عبد الله  
محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي  
(المتوفى: ٢٩٤هـ)، تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، دمشق -  
سوريا.

٤٧- كتاب دلائل النبوة: المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي  
الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى:  
٥٣٥هـ)، المحقق: محمد محمد الحداد، الناشر: دار طيبة - الرياض.

٤٨- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تأليف: الإمام الأجل أبي جعفر محمد  
بن أحمد بن إسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري المعروف بأبي  
جعفر النحاس (٣٣٨هـ). ورواية أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأدوفي  
النحوي، نسخة مصححة ومقرؤه على العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي.  
طباعة مؤسسة الكتب الثقافية لبنان - بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. الطبعة  
الأولى.

٤٩- دراسات في علوم القرآن الكريم. تأليف: أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان  
الرومي أستاذ الدراسات القرآنية كلية المعلمين بالرياض مكتبة التوبة.  
المملكة العربية السعودية. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. الطبعة التاسعة.

- ٥٠- أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. اعتنى به: وليد الزكري. شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع لبنان-بيروت. ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. الطبعة الأولى.
- ٥١- النشر في القراءات العشر، تأليف: الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (٨٣٣هـ). اعتنى به: نجيب الماجدي. طباعة المكتبة العصرية لبنان-بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.
- ٥٢- إحياء علوم الدين، للإمام: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، وبذيله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للإمام: زين الدين أبي الفضل العراقي. (٨٠٦هـ). تحقيق وتوثيق ومراجعة: أحمد عناية أحمد زهوة.
- ٥٣- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
- ٥٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل: المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ٥٥- فقه السنة، تأليف: سيد سابق، طباعة مكتبة الخدمات الحديثة، الموزعون شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية. الناشر: دار الكتاب العربي بيروت - لبنان. ١٤٤١هـ-٢٠١٠م.
- ٥٦- موقع ملتقى أهل الحديث الإلكتروني -الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم-داحمت الحريري.
- <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=3>
- .787
- ٥٧- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ). طباعة دار الكتب العلمية -بيروت-٢٠٠٩م.

- ٥٨- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، المكتبة الشاملة الإصدار الأول.
- ٥٩- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.
- ٦٠- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، (٥١٦هـ): طباعة دار الكتب العلمية لبنان-بيروت ٢٠١٠م، الطبعة الثانية.
- ٦١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. للإمام محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨هـ). و بذيله "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" لابن منير الاسكندراني. "الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف" لابن حجر العسقلاني. ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي. طباعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٦٢- الانتصاف على حاشية الكشاف، ابن المنير المرزوقي، المحقق: عادل أحمد - علي معوض - فتحي حجازي، الناشر: مكتبة العبيكان: ١٤١٨ - ١٩٩٨ الطبعة: الأولى.
- ٦٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٤- أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٣هـ). تحقيق تخريج: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي لبنان- بيروت ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- ٦٥- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، طباعة ونشر وتوزيع: دار ابن حزم، لبنان - بيروت. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. الطبعة الأولى الجديدة.
- ٦٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي. (٦٠٤هـ) طباعة دار الكتب العربية بيروت - لبنان. ٢٠٠٩م.
- ٦٧- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طباعة دار الكتاب العربي لبنان- بيروت ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- ٦٨- تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: الإمام عبد الله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ)، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار. طباعة دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان. الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٦٩- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ). طباعة دار الجيل لبنان-بيروت.
- ٧٠- البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
- ٧١- غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تأليف: العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٧٢٨هـ). ضبط وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية لبنان - بيروت. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. الطبعة الأولى.
- ٧٢- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى:



٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٣- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٧٤- بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، المجلي الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٧٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٧٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ). تحقيق: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي. طباعة دار الكتب العلمية لبنان-بيروت. ٢٠١١م-١٤٣٢هـ. الطبعة الرابعة.

٧٧- تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم: جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي (٨٦٤هـ). وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ). مذيلا بكتاب: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. مؤسسة الريان. لبنان-بيروت. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. الطبعة الخامسة.

٧٨- حاشية على تفسير الجلالين للشيخ أحمد بن محمد الخلوتي المالكي، الشهير بالصاوي ( ١٢٤١ هـ ) ، طبعة المطبعة الأهلية بمصر الطبعة الأولى ١٣٤٥ هـ ١٣١٨ هـ.

٧٩- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٨٠- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للقاضي أبي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (٩٨٢هـ). وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية. لبنان - بيروت ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م. الطبعة الأولى.

٨١- فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ). راجعه وعلق عليه: الشيخ هشام بخاري، والشيخ خضر عكاري. طباعة المكتبة العصرية لبنان - بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. الطبعة الثانية.

٨٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ). تحقيق وتخرىج: السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران. طباعة ونشر وتوزيع: دار الحديث مصر - القاهرة. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨٣- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل تأليف: الإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح. طباعة دار الحديث مصر - القاهرة. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٤- التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبى أبو القاسم. تحقيق محمد سالم هاشم . الناشر : دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م . عدد المجلدات ٢ .

٨٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف الإمام العلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، قدم له: الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، والشيخ: محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به تحقيقا ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مركز الفجر للطباعة والنشر

والتوزيع مصر- القاهرة، بالتعاون مع أولى النهى للإنتاج الإعلامي والتوزيع. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. الطبعة الأولى.

٨٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تأليف: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي. طباعة دار الكتب العلمية لبنان- بيروت-٢٠٠٦م -١٤٢٧هـ. الطبعة الثالثة.

٨٧- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. مؤسسة التاريخ لبنان- بيروت. الطبعة الأولى

٨٨- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

٨٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه "نهر الخير على أيسر التفاسير" تأليف: أبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، الطبعة الأولى الخاصة بالمؤلف: طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة وبهامشها نهر ١٤١٤هـ-١٩٩٣م. المدينة المنورة.

٩٠- الأساس في التفسير لسعيد حوى. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. مصر -القاهرة. الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٩١- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، تأليف: السيد الإمام محمد رشيد رضا (١٩٣٥م). خرج أحاديثه وشرح غريبه: إبراهيم شمس الدين. طباعة دار الكتب العلمية. لبنان-بيروت ١٤٢٦هـ\٢٠٠٥م. الطبعة الثانية.

٩٢- صفوة التفاسير بقلم: خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني. طباعة شركة أبناء شريف الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر لبنان-بيروت ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. الطبعة الأولى.

٩٣- في ظلال القرآن لسيد قطب. طباعة دار الشروق. مصر-القاهرة. الطبعة الشرعية التاسعة والثلاثون. ١٤٣٢هـ\٢٠١١م.

- ٩٤- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. بإشراف أ. د مصطفى مسلم. جامعة الشارقة. كلية الدراسات العليا والبحث العلمي . ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ٩٥- تفسير المراغي، المؤلف صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا، خرج أحاديثه بإسـل منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ٩٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
- ٩٧- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وحقق أحاديثه: د. أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم- قطاع الثقافة - القاهرة.
- ٩٨- الهويميل: التركي بن سعد بن فهيد. خواص القرآن الكريم، رسالة علمية للدكتوراه، بإشراف دابدر بن ناصر البدر، دار ابن الجوزي ١٤٢٩ هـ.
- ٩٩- بطاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الباز، دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ .
- ١٠٠- القنوجي: صديق بن حسن. أبجد العلوم، دار ابن حزم -بيروت ١٤٢٣ هـ.
- ١٠١- من كتاب نساء حول الرسول للدكتور بسام محمد حمامي . دار دانية للطباعة و النشر ، سنة ١٩٩٣ م .

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع	م
٣	ملخص الرسالة	١
٥	مقدمة البحث	٢
١٢	أهمية الموضوع	٣
١٥	أسباب اختيار الموضوع	٤
١٦	الدراسات السابقة	٥
١٩	هيكل الرسالة	٦
٢٢	شكر وتقدير	٧
٢٣	الإهداء	٨
٢٤	الباب الأول: التناسق الموضوعي في سورة المجادلة. مقدمة تعريفية.	٩
٢٥	تمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحاً.	١٠
٣٠	الفصل الأول: التعريف بسورة المجادلة واسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزولها وفيه مباحث:	١١
٣١	المبحث الأول: التعريف بالسورة.	١٢
٣٢	المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء.	١٣
٣٨	المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.	١٤
٣٩	المبحث الرابع: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.	١٥
٤٦	الفصل الثاني: المكي والمدني في سورة المجادلة ووجه اختصاصها بما اختصت به.	١٧

٤٧	المبحث الأول: المكي والمدني في السورة.	١٨
٥٥	المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.	١٩
٦٣	الفصل الثالث: أسباب نزول سورة المجادلة والجو العام فيها، ومقاصد السورة وأهدافها.	٢١
٦٤	المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة.	٢٢
٨٢	المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.	٢٣
٩٣	الباب الثاني: التناسق الموضوعي دراسة تطبيقية	٢٤
٩٥	الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة، والموضوع الكلي فيها	٢٥
٩٦	المبحث الأول: تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح.	٢٦
٩٨	المبحث الثاني: مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها.	٢٧
١٠٥	المبحث الثالث: مناسبة عنوان السورة لموضوعها.	٢٨
١٠٩	المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.	٢٩
١١١	الفصل الثاني: الموضوع الكلي للسورة.	٣١
١١٤	الفصل الثالث: موضوعات السورة وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.	٣٢
١١٧	المبحث الأول: المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.	٣٣
١٢٣	المبحث الثاني: تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم	٣٤

	البعض عامة، ومنها ما هو خاص معه ﷺ . وتنقيح نفوسهم وتنقية قلوبهم، وذلك من موالة غير المؤمنين من اليهود والمنافقين، وفضحهم، وعذابهم في الآخرة. وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل وورود النهي عن موالة من حاد الله ولو كانوا أقرب الأقربين. ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.	
١٣١	الباب الثالث: التفسير التحليلي لسورة المجادلة، في ضوء تناسقها الموضوعي.	٣٥
٢٦٤	الخاتمة	٣٦
٢٦٨	فهرس الآيات القرآنية	٣٧
٢٧٧	فهرس الأحاديث الآثار	٣٨
٢٨١	فهرس الأعلام	٣٩
٢٨٦	المصادر والمراجع	٤٠
٢٩٩	فهرس المحتويات	٤١